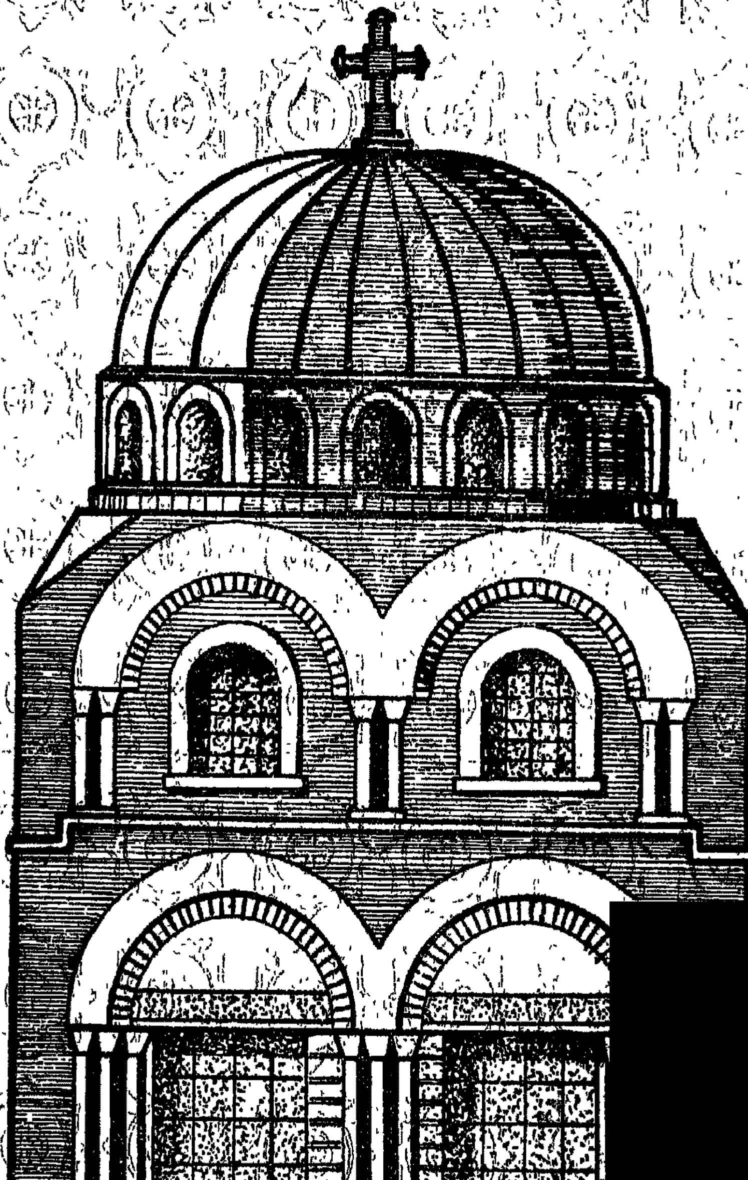
ميخائيل مكسي



القدس عبر التاريخ

اهداءات ٢٠٠١

اد. محـمـــد ديــــاب

جراح بالمستشفى الملكي المصرى

القدس عبر التاريخ

دراسة جغرافية تاريخية أثرية للمدينة المقدسة

محلاة بالرسوم والصور والخرائط

بقلم

ميخائيل مكسى اسكندر

مراجعة وتقديم

الأنبا غريغوريوس

١٩٧٢

القدس عبر التاريخ

دراسة جغرافية تاريخية أثرية للمدينة المقدسة

محلاة بالرسوم والصور والخرائط

بقلم

ميخائيل مكسي إسكندر

مراجعة وتقديم

الأنبا غريغوريوس

١٩٧٢

بطريركية الاقباط الارثوذكس
المعهد العالى للدراسات القبطية
دير الانبا رويس ـ العباسية
القاهرة : ت ٨٢٢٩٢٠

تقـديم لكتاب
القدس عبر التاريخ
للأستاذ ميخائيل مكسى اسكندر

هذا الكتاب قيم جدا ووافٍ بالغرض الذى كتب من أجله . إنه خلاصة محترمة لمجموعة كتب يشتمل على معلومات ثمينة جغرافية وانثروبولوجيه وجيولوجية وتاريخية ودينية للمدينة المقدسة مؤيدة بالأسانيد العلمية صار بها الكتاب نفسه مرجعاً يطمأن اليه فى ما يلزم الباحث أن يقف عليه بخصوص القدس، هذه المدينة التى صارت بحق أشهر مدينة فى العالم .

ان كتاب الأستاذ ميخائيل مكسى اسكندر يتميز بالمعرفة الدقيقة كما يتميز بالأمانة العلمية وأن متن الكتاب وحواشيه تدل بوضوح على مدى الجهد المشكور الذى بذله المؤلف فى إعداد مادة هذا الكتاب من أوثق المصادر وأعلمها فى عبارات مركزه لايقوى عليها إلا قلة من الناس ومع ذلك فأن المؤلف كان موفقا بصورة غير عادية فى عرض موضوعات الكتاب عرضا شيقا جذابا أشهد إنه نادر بالنسبة لمثل هذا الطراز من الكتب . والكتاب كله قصة محبوكة فيها وحدة وفيها منطق وفيها غائية .

وهو دفاع مجيد عن حق العرب فى حكم المدينة الخالدة ضد المزاعم اليهودية الصهيونية ولقد أبرز المؤلف بالأدلة المقنعة أنه بحكم العرب للقدس تمتع المسيحيون على إختلاف طوائفهم بحرية العبادة كاملة بصورة استحقت ثناءهم دائماً .

إن البحث الهادف الذى نقدمه اليوم هو موضوع الساعة . إنه نور كشاف أمسك به المؤلف فأنار الطريق للراغبين فى الوصول الى الحق الذى لاينالـه الباطل لامن بين يديه ولامن خلفه .

أننى أهنىء الكاتب الباحث على توفيقه وأرجو لبحثه مايستحق من نجاح .

الأنبا غريغوريوس

أسقف عام للدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى

مقدمة الكاتب

ليس أحب إلى قلوب العرب - من مسيحيين ومسلمين - إلا تلك البقعة المقدسة ، التى يحنون لرؤياها والعبادة فيها .

انها القدس العزيزة على قلب كل عربى ، لأنها موطن الرسالات السماوية ، وبها آثارها المقدسة . وقد أدمعت عيوننا عندما سمعنا بالنبأ المفجع ، حينما سقطت فى يد اسرائيل سنة ١٩٦٧ ، وحرم العرب من الحج اليها ، رغم أنها أرضهم ، وحق الجهاد فى سبيل انقاذها بالنفس والمال والقلم . لهذا جلت بقلمى وقلبى فى المكتبات عامين كاملين ، لإعداد هذا الكتاب ، الذى بين يديك الآن ، والذى أقدمه إلى كل الذين حرموا من زيارة الأماكن المقدسة ، بعد العدوان الأخير عليها ، لكى يعيشوا بخيالهم فيها ، لحين دخولهم إياها بعد النصر القريب باذن الله .

وقد تضمنت هذه الدراسة جغرافية وتاريخ المـــدينة المقدسة ، وأحوالها الدينية والاجتماعية والسياسية ، وأفردت باباً لشرح المقدسات المسيحية والاسلامية الكثيرة ، التى تزخر بها المدينة المقدسة ، متضمناً الخرائط والصور التوضيحية لها ، لتكون دليلا فيما بعد لمن يزورها بعد تحريرها بعون الله .

وقد انبريت - عن صدق وإيمان - للدفاع عن عروبة القدس ، ودحض كل الإفتراءات والدعايات الصهيونية ، السياسية والدينية حيالها ، مستنداً فى ذلك على المراجع القديمة المسيحية (العربية والأجنبية) ، وكذلك كتابات اليهود المنصفة لحق العربى المبين ، مع الإستعانة بالإثباتات المستمدة من التوراة والتلمود والإنجيل ، والآثار الدينية والتاريخية .

وانى أكرر الشكر للحبر الجليل الأسقف الأنبا غريغوريوس الذى تفضل - رغم كثرة مشاغله - بمراجعة أصول هذا الكتاب ، بما عرف عنه من دقة فى البحث العلمى ، كما أنوه بالنصائح النافعة التى أسداها إلى أساتذة المعهد العالى للدراسات القبطية وعلى رأسهم القس الدكتور يوسف عبده ، والدكتور زاهر رياض ، والاستاذة ايريس حبيب المصرى ، والدكتور جورج ميشيل ، وأقدم الشكر أيضاً لرابطة القدس للأقباط الأرثوذكس على تقديمها صور الآثار المقدسة ، وأذكر بالعرفان بالجميل للأخ المبارك الأستاذ ميلاد سعيد كيرلس على معاونته فى كتابة الخرائط والرسوم ، والأخ الخادم برسوم حنين أمين مكتبة المعهد على صادق تعاونه فى هذا المجال ، والفنان المهندس ألفى عزيز على رسم الغلاف .

الجيزة فى ٢٢ / ٢ / ١٩٧٠ — المؤلف

الباب الاول

جغرافية القـــدس

أسماء المدينه المقدسه :

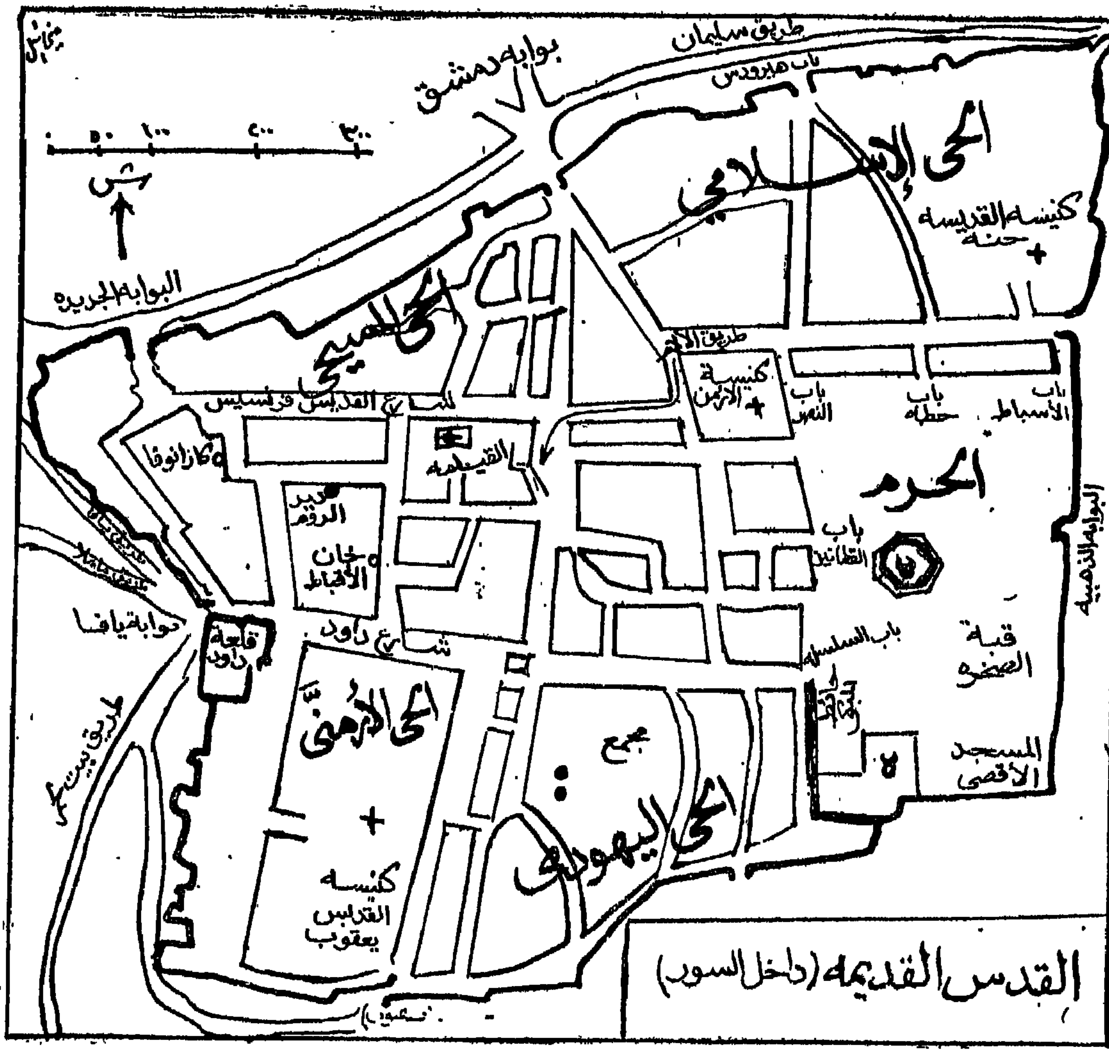
سميت المدينة المقدسة بأسم أورشليم ، وهو اسم اختلف العلماء فى أصله فقيل إنه مركب من كلمة يروشليم العبرية ، التى تعنى أساس السلام ، أو من كلمتى يروش وشليم أى ملك السلام ، وقيل أن ملكى صادق (الذى ظن البعض أنه سام بن نوح [1]) كان أول من بناها وحكمها [2] ودعاها ساليم كما ورد فى التوراة (تك ١٤ : ١٨) ، وأن ابراهيم الخليل سماها يرى (أو : أور ur نسبة إلى المدينة الكلدانية بجنوب العراق ، التى هاجر منها لفلسطين نحو ١٩٢١ ق م) ، ثم جعل الإسمان إسماً واحداً إكراماً لهما . إلا أن المؤرخ اليهودى يوسيفوس قد ذكر أنها سميت فى عهد أب الأنبيـــاء بساليم أو سوليما ، وسميت بأسم أوريسالمو Urusalimu فى ألواح تل العمارنة الفخارية (التى وجدت بمصر سنة ١٨٨٧م وهى ترجع للقرن ١٤ ق م [4]) . وقيل أن أصل الكلمة يبوش شاليم أى يبوس سليمان فوقع فيه الإبدال والحذف . ورأى آخرون أن سليمان الحكيم دعاها بذلك فى أول حكمه لأنها كانت فى الأصل تسمى يبوس ، وكانت عاصمة اليبوسيين قبل أن يستولى عليها داود النبى ، وأكد ذلك ما ورد فى التوراة (سفر القضاة ١٩ : ١٠) كما ورد هذا الاسم فى آثار الفراعنة « يابيثى » .

إلا أن أحدث الآراء هو أن الكنعانيين قدسموها بساليم نسبة إلى إله كنعانى مشهور [5] وقال الفيروزبادى شلم ، شاليم اسم البيت المقدس . ومنها اشتق الاوربيون كلمة أورشليم Jerusalem ، وذكر ياقوت فى قاموسه أوريشليم (بكسر اللام) [6] . وبعد ما دمرها الرومان (٧٠م) وحولوها إلى مدينة رومانيـــة صرفة سموها إيليا كابتولينا AELia Captolina ومعناها بيت الله [7] ، وظلت فى أوائل الفتح العربى تعرف باســم إيلياء [8] ، ثم أعاد العرب تسميتها ببيت المقدس والقدس ، والبيت المقدس ، لقدسيتها فى نظر الأديان السماوية ، وقد تسمت بهذا الإسم فى التوراة (نحميا ١١ : ١) كما سميت بمدينة داود ، صهيون ، مدينة الله (مزمور ٤٦ : ٤) ، أريئيل (أشعياء ٢٩ : ١) ، وغيرها . أما فى العصر التركى فقد سميت بالقدس الشريف .

الموقع والتضاريس :

تقع القدس على هضبة ممتدة جنوب السلسلة الجبلية الفلسطينية ، على ارتفاع ٧٥٠ مترا فوق سطح البحر المتوسط ، وتبعد عنه ٣٣ ميلا ، ١١٥٠ متراً فوق سطح البحر الميت وتبعد عنه ١٥ ميلا ، وتنحصر المدينة بين تلين مستطيلين يسيران متوازيين من الشمال إلى الجنوب وسط هضبة اليهودية الوسطى ، ولها أربع قمم أولها فى الشمال الغربى وتسمى قمة أكرا وارتفاعها ٧٩٠م والغربية صهيون ٧٧٧م ، وفى الشرق قمة موريا ٧٤٤م ، أما فى الشمال الشرقى فتقع صخرة بزيتا ، وهى استمرار للتل الشرقى نحو الشمال[٩] وقيل أن سبب تعمير هذه المدينة قديماً على يد اليبوسيين فى هذا المكان المقفر - هو وجود عين ماء ، ما زالت موجودة حتى اليوم ، تسمى عين العذراء (فى الجنوب الشرقى من القدس) ، فأمكن إقامة سور منيع حولها ، بالاضافة إلى موقعها العسكرى الحصين ، الذى ليس سببه المرتفعات بل الوهاد العميقة فى الصخر (العمق ٢٠ - ٢٥ قدم)[١٠] ، وتحميها الوديان من ثلاث جهات . وينحدر السطح عموماً نحو الشرق والجنوب ، وأهم أوديتها إثنان يسيران متوازيين من الشمال للجنوب ، أولها وادى هنوم وعرضه ٢٠٠ ياردة فقط والآخر وادى قدرون (أو يهوشافاط) . ويفصل القدس عن جبل الزيتون . وكانت نواة المدينة القديمة بين هذين الواديين ، اللذين يقع بينهما واد أصغر هو وادى تريبيون (وهى كلمة تعنى وادى باعة الجبن) ويسمى حالياً وادى ربابة ، ويمتد إلى بركة سلوام فى الجنوب الشرقى . وإذا نظرنا المدينة من أعلى - بعد أن اتسعت خارج الأسوار القديمة - نجد أن لها أربع قمم ، فى الشمال قمة كرم السيد وارتفاعها ٢٦٨٠ قدماً . وقمة جبل الطير وتقل ٤٠ قدماً عن الأولى (وهى المسماة بجبل الزيتون) ، وتقع فى شرق القدس القديمة أما القمة الجنوبية فتسمى بطن الهواء (أو جبل الفساد أو الخراب) وارتفاعها ٢٤٣٠ قدماً (١ مل ١١ : ٧) ، (٢ مل ٢٣ ، ١٣) .

ومن الجدير بالذكر أن وادى قدرون يمتد من شمال القدس نحو الشرق ، ويلتوى نحو الجنوب منحدراً بسرعة ، وكان له قديماً فرع يصل حتى بستان جثسيمانى إمتلأ بالأتربة كما كان له فرعان داخل القدس - طبقاً للحفائر التى قام بها وارين[١١] Warren وولسن Wilson ويلاحظ أن التلال القديمة لها بعض الارتفاعات داخل القدس القديمة ، تتفق تقريباً مع الأحياء التى تنقسم اليها ، وهى الحى المسيحى فى الشمال الغربى ، الحى الأرمنى فى الجنوب الغربى ، الحى الاسلامى فى الشرق والشمال الشرقى ، والحى اليهودى فى الجنوب (انظر الخريطة) .



ولهذه الأحياء شوارع ضيقة منحدرة لها منعطفات وممرات كثيرة (١٢)، وقد إمتد العمران خارج الأسوار القديمة منذ منتصف القرن الماضى فقط، فشيدت المبانى على التلال المحيطة بالقدس، مثل جبل الزيتون فى الشرق وجبل المشارف (أو أسكوبس) فى الشمال، وتقوم عليه حالياً أجمل منازل المدينة، ومنشآت عبرية مثل الجامعة العبرية ومستشفى هداسا، ومقابر الانجليز فى الحرب العالمية الأولى، كذلك إمتد العمران إلى جبل القطمون فى الجنوب الغربى من أسوار القدس، حيث شيدت فى شرقه محطة السكة الحديد فى سهل فسيح يعرف بالبقعة، وبجواره جبل المكبر (أو جبل المؤامرة) فى الجنوب الشرقى من المدينة. وقد أصبحت هذه المناطق هى حدود القدس الجديدة (خارج

الاسوار) ، التى تمتاز بمبانيها الحديثة العالية وشوارعها الواسعة المرصوفة ، وقد احتلت اسرائيل أجزاء منها سنة ١٩٤٨م ، وبالقدس الحديثة العربية ١٤ حديقة وميدان عام (مساحتها ٧٧ دونم مربع) (١٣) .

أما مساحة القدس القديمة (داخل الاسوار) فتبلغ ٨٦٨ دونم (أى ٨٦٨ر٠٠٠ متر مربع) ، والقدس الجديدة (خارج الاسوار) ١٩٣٣١ دونم . وكان العرب قبل حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ يملكون ٨٨ر٥٪ من المساحة الكلية للمدينة ،واليهود ١١ر٥٪ فقط فى القدس القديمة ، وفى المدينة الجديدة كان للعرب ٥٣ر٨ ٪ من المساحة واليهود ٢٦ر١٪ وللحكومة ٢ر٩ ٪ ، ١٧ر١ ٪ طرق وميادين عامة وسكك حديدية (١٤) وكان بالقدس سنة ١٩٤٧ (بالقطاع العربى الاردنى) ٢٠٥ مدرسة (منها ٣٧ مدرسة مسيحية خاصة) ، كما ضمت المدينة ٤٩ مكتبة كبيرة ، وأنشىء بها متحف حكومى للآثار سنة ١٩٣٨ ، ويقع فى الزاوية الشمالية الشرقية للسور ، أما المتحف الاسلامى فقد شيد سنة ١٩٢٣م بداخل أبنية الحرم الشريف ، وأدخلت التليفونات سنة ١٩١٨ .

وللقدس عدة طرق مرصوفة تربطها ببقية الضفة الغربية الأردنية ، ولها مطار على بعد ١٠ ك م فى طريق رام الله فى الشمال ، وكان بها قبل حرب فلسطين سنة ١٩٤٧ نحو ٥٢٣ شركة صناعية وزراعية ، ١٦ بنكا حكوميا وأجنبيا (١٥)

أسوار القدس القديمة :

أول من أحاط المدينة بسور هو اليبوسيون العرب سكان القدس (نحو ٢٥٠٠ ق.م) وقام داود وسليمان بترميمه بعد استيلائهما على المدينة ، وفى عهدهما كان يمتد هذا السور اليبوسى من الأحياء الغربيه فى البلدة القديمة ، حتى التلال الواقعة شرقى الحرم الشريف ، وكان عليه آنذاك ٦٠ برجاً ، وبعد ذلك خرب يرآش ملك إسرائيل جزءاً منه يوم أن تغلب على أمصيا ملك يهوذا (٧٩٠ ق.م) ، وبنى الملك منسى السور الثانى أثناء الاحتلال الاشورى لفلسطين (٦٤٤ ق.م) ، ثم دخل داخل السور أحياء جديدة ، هى التى تقع عليها اليوم حارة النصارى ، وكان عليه ١٤ برجاً ، وقد هدمة الملك نبوخذنصر (٥٨٦ق م) فأعاد نحميا الذى ترميمه فى عهد الفرس (٤٤٠ ق.م) وكان يقوم بالبناء ليلا خوفاً من بطش جيرانه الحورانيين والعمونيين العرب (١٦) وفى عهد بطليموس الاول هدم جزءاً منه (٣٢٠ ق.م) ودك انطونيوس أبيفانوس جنبا منه (١٦٨ ق.م) وأتى بومبى الرومانى على ما تبقى منه (٦٣ ق.م) وقيل أن جزءاً من سور نحميا ظل حتى استخدمه

الملك هيرودس فى تحصين قصره ، الذى كان يقع فوق دير مار يعقوب وكنيسة المسيح فى جنوب غربى المدينة القـديمة ، وفى عهده بدىء فى انشاء السور الثالث (٣٧ ق.م) وتوسعت المدينة فضمت مناطق الباب الجديد وقبور السلاطين وباب الساهرة فى الشمال الغربى ، وكان لهذا السور ٩٠ برجاً ، وقد دمر تيطس الرومانى جانبـاً منه (٧٠ م) وكذلك فعل أدريانس (١٣٥م) ، ومن بقاياه الحالية جزء من مدرسة المطران على طريق نابلس ، والباب ذو القوس المدفون عند باب العمود . وبعد ذلك شيدت الملكة أفدوكسيا الرومانية سوراً جديداً (٤٣٨ م) وقد أدخلت فى حدود القدس قرية سلوام ولكن هدمه الفرس (٦١٤ م) . وعندما أعيد بناؤه فى عهد هرقل كان على أساس ما كان عليه فى عهد أدريانوس . وقام الصليبيون ثم صلاح الدين الايوبى باصلاحه وحفر الأخير حوله خندقاً ، وقد استخدم فى ذلك أسرى الفرنجة [١٧] وتهدم معظمه فى عهد للملك عيسى (١٢١٩م) ، ورممه العادل زين الدين (١٢٢٥ م) ثم قلاوون (١٣٣٠ م) .

أما السور الحالى فقد جـدده السلطان العثمانى سليمان القانونى واستغرق ذلك خمسة أعوام (١٥٣٦ - ١٥٤٠ م) ، وله ٣٤ برجاً ، وطوله ٤ ك.م وطوله من الشمال ٣٩٣٠ قدماً ، ومن الشرق ٢٧٥٥ قدماً ، ٢٠٨٦ قدماً فى الغرب ، ٣٢٤٥ جنوبياً . وبه ٧ أبواب فى الشرق باب الدهرية (الجميل) ، باب ستى مريم (أو اسطفانوس) وسمى قديماً بباب الضأن ، وفى الغرب باب الخليل (أو يافا) وفى الشمال باب العمود (ويسمى أيضاً باب دمشق أو باب النصر) ، باب الساهرة (باب هيرودس) ، الباب الجديد ، وجنوباً باب داود (أو صهيون) وباب المغاربة . وارتفاع السور الحالى ٤٠ قدماً وينغمس أساسه نحو ٣٥ قدماً أخرى فى الأساس ، وحجارته ضخمة ، وأبوابه مشيد عليها أبراج عالية لحمايتها ، وظلت هذه الأبواب حتى سنة ١٨٥٨ م تغلق عندكل غروب وتفتح عند الفجر ولكن بعد تشييد المبانى الجديدة خارج الأسوار كانت تفتح الابواب ليلا [١٨] . وتمتاز المبانى القديمة بالقدس بأنها من الصخور الصلدة ، وتغطى المنـازل بقباب (جمالونات) لتقيها من تجمع الامطار والسيول الشتوية التى تنساب إلى الآبار والخزانات المنزلية التى توجد فى كل منزل .

المنـاخ :

يكثر المطر من أكتوبر حتى مايو ، ويندر بين سبتمبر ويونيه ، ومتوسطه السنوى الحالى ٢٥,٥ بوصة ، وبالقدس ١٨ مرصداً لتسجيل الأمطار (وكان متوسطها فى المائة

سنة الأخيرة ٥٨٣ مم) ، وكثيراً ما يتساقط الجليد من ديسمبر حتى مارس ، ويندر فى أبريل ، ويتكون بكثرة فى يناير فى الليل ، لكنه يذوب أثناء النهار ، والمدى الحرارى من ٢٥ - ١٠٢° ف ، ومتوسط درجـــة الحرارة فى يوليو (الصيف) ٧٧° ف ، وفى يناير ٤٣° ف ومدى الرطوبة الجوية كبير . وفى الربيع والخريف تهب رياح السيروكو ، التى تنفذ للمدينة المقدسة من الفتحة الجنوبية الشرقية آتية من صحراء موآب فى الجنوب [١٩] وتسود الرياح الشمالية الغربية الجافة ، لكن نسيم البحر المتوسط يجلب معه الرطوبة اليها .

موارد الميـــاه :

صرف الميـاه يسير طبقاً لتضاريس السطح أى من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى وبينما نجد أن خط ظل المطر يرتفع إلى ٢٦٧٥ قدماً فإن واديى قدرون وهنوم على ارتفاع ٢٠٦٥ قدماً فوق سطح البحر المتوسط ، وعلى ذلك فليس هناك إذن مياه راكدة فى البرك التى تفيض خلال الفصل المطير ويلاحظ أن جزءاً من صرف ميـــاه الأمطار جوفى ، وعند سقوط المطر الكثير - فى بعض الظروف الاستثنائية - أو عندما تذوب الثلوج فجأة على المرتفعات يتكون مستنقع ضحل فى وادى تريبيون مكوناً ما يسمى ببركة الحمراء . وفى وادى هنوم حفرة طبيعية تنصرف اليها مياه الأمطار .

وقد ورد فى أسفـار العهد القديم (التوراة) ذكر لثـلاثة ينابيع هى جيحون ، عين روجل (حالياً عين أم الدرج) ، دراجون (٢ أخبـار الأيام ٣٢ : ٣٠) ، وما ورد من نصوص ينطبق على النبع الموجود فى وادى قدرون قرب القدس القديمة ويغذى بركة سلوام ويسمى حالياً بعين العذراء (أو عين الخطوات بسبب الهبوط اليه عن طريق سلم حجرى) ويغطيه قوس حجرى لحمايته من الأتربة ، إذ أنه يوجد فى فجوة تنخفض ٧٥ قدماً أسفل أكوام الأتربة المحيطة به ، وفى الشتاء ترتفع مياهه ثلاث أو أربـع مرات يومياً ، وفى الصيف مرة أو مرتين ، وفى الخريف مرة واحدة فقط ، وسبب ذلك أن النبع له مصدران أحدهما دائم والآخر متغير ، وهو يتغذى من المياه الجوفيـة [٢٠] ويقول يوسيفوس أن مياهه حلوة [٢١] ولكنها حالياً تميل إلى الملوحة ، وقـــد سمى نبع عين روجل (يشوع ١٥ : ٧ ، ١٨ : ١٦) ، وهو يوجد فى وسط الحدائق الواقعة جنوب شرق القدس عند اتحاد وادى هنوم بقدرون .

ويوجد بئر آخر يسميه العرب بئر يعقوب وعمقه ١٢٢ قدماً ، وله حوائط صخرية ويمتلىء فى موسم المطر وتخرج منه المياه . وعلى بعد ثلث ميل إلى الجنوب منه يوجد نبع

آخر يسمى بئر دراجون ويسميه نحميا (٢ : ١٣) باسم نبع التين . ومن الجدير بالاشارة فى هذا المجال أنه منذ عهد داود كانت المدينة تحصل على المياه من البرك وبحفر الآبار أو المدينة بانشاء أحواض صناعية لتجميع المطر ، وما زال لها آثار حالياً .

ويذكر نحميا النبى (٣ : ١٦) أنه كان بأورشليم بركة صناعية كبيرة بجوار البرك الطبيعية الموجودة مثل البركة العليا ، التى أشار اليها أشعياء النبى (٣٤ : ٢) ويبدو أنها كانت فى شمال غرب المدينة القديمة ، وبركة حزقيا التى سماها أشعياء البركة السفلية (٢٢ : ٩) أما الخزان الذى ذكره هذا النبى بين الحائطين (٢٢ : ١١) فيرجح وجوده فى وادى تريبيون (ربابة) بين مدينة أورشليم ومدينة داود فى الجنوب . أما بركة شيلا التى ذكرها نحميا (٣:١٥) فقد قرر الكثير من علماء الآثار أنها بركة سلوام [٢٢] جنوبى الاسوار الحالية .

كما كان هناك قناة تمر فى أسفل التل الشرقى بالقرب من بوابة المياه ، كشفها شارل وارين سنة ١٨٦٨م وكانت مياهها تدخل القدس من نبع جيحون عبر تل صخرى ، كما كان هناك نفق إكتشفه الأثرى الألمانى كونراد فون شيك سنة ١٨٩٠ واتضح أن جزءاً منه كان مغطى . أما المصدر الثالث لمياه المدينة القديمة فهو نفق سلوام ، وكان محفوراً فى نفق ملتوى حتى بركة الملك (نحميا ٢ : ١٤) .

وهناك الكثير من المخطوطات القديمة تشير إلى قيام عدة محاولات فى عهد الملك داود وبعده لتوصيل المياه من مسافات بعيدة من جنوب القدس ، عن طريق قنوات طويلة تصب فى نهايتها فى أحواض حجرية ، وليس هناك آبار أو موارد مياه أخرى معروفة الآن غير ذلك [٢٣] وسيأتى تباعاً - مع العرض التاريخى - سرد الجهود التى قام بها الحكام فى هذا المجال .

التربة ومكوناتها :

تستقر القدس على صخور جيرية كريتاسية ، فهى لذلك مدينة صخرية وقد تخلل صخور الزمن الثالث ماعدا تل جبل الزيتون وغيره من التلال الاخرى . وتمتاز التربة باللون الرمادى الغامق . وترابها لا يصلح لتكوين تربة بستانية صناعية . لأن الأمطار الغزيرة تغسلها وتدفعها نحو شقوق الصخر : ولكن فى بعض المناطق - تنتج عن تفكك الصخور - تربة رغوية غنية . ويستخدم الحجر الطباشيرى فى البناء . حيث يمتاز بعدم تشققه وميله إلى البياض . ويتصلب بتعرضه للعوامل الجوية . وهناك مجموعة صخرية

أخرى حمراء رمادية مخططة . ولا توجد على شكل كتل كبيرة كالسابقة . وهناك صخور من نوع آخر لا تنكسر أو تتأثر بالنار ، بينما أن المجموعة الرابعــة هشة ومحمرة بسبب وجود خام الحديد بها .

ومن أهم الحاصلات التى تجود فى هذه التربة أشجار الفاكهة كالتين والزيتون والكروم وقد زرعت الحاصلات البستانية فى مساحات محدودة ، وتعتمد على المياه الجوفية فى الرى وما زال القمح والشعير يسودان السهول المنخفضة ، وينمو نبات أبو النوم ذو الزهرة الحمراء ذات الشريط الاسود المتقطع بشكل صليب ، وكأنه إشارة طبيعية للأرض المقدسة وينمو برياً فى الأودية ، وعلى سفوح الجبال وبين حوائط المبانى ، وعلى جدران الكنائس وفوقها بكثرة(٢٤) وكانت تكثر أشجـــار الزيتون فى شرق القدس على التل المسمى باسمها (جبل الزيتون) ولكنها تعرضت لهجمات الجراد الذى قضى على معظمها(٢٥) ، وتتعرض تربة القدس لزلازل أرضية كثيرة ، فقد تعرضت للهزات الأرضية الكبيرة ٤٦ مرة ، وكان أشدها ما حدث سنة ٧٨٠ ق.م ، وقد وصفه يوسيفوس بأنه شق الجبل فهبطت الطرق وسقطت الأبنية . وقضى زلزال سنة ٣١ ق م على نحو ١٠٠٠٠ نسمة فى عهد هيرودس وفى سنة ٧١٢م دامت الهزات الخفيفة ٤٠ يوماً فى كل الشام كما يقول المؤرخون ، وفى آخر زلزالين ١٩٢٧م ، ١٩٣٧ م تخربت عدة منازل ومات الكثير من السكان .

السكان :

تعرضت القدس فى تاريخها الطويل لظروف سياسية وحربية واقتصادية أثرت فى عدد سكانها ، وليس لدينا سجلا بعددهم فى القرون الأولى ، لكن كان عددهم يتأرجح بين ٢٠ - ٣٠ ألفاً أيام الفتح العربى ، لكنهم بلغوا ٢٠٠٠٠٠ نسمة ايام الصليبيين فى القرن الحادى عشر ، حيث كان نصفهم من السكان العرب الأصليين ، والباقى من الذين وفدوا مع الفتح الصليبى من أوربا ، ولكن سرعان ما انخفض العدد إلى ٤٤٠٠٠ نسمة فقط بعد أن استرد صلاح الدين المدينة المقدسة وطرد الصليبيين منها . وفى احصاء السلطان العثمانى محمد الرابع (١٦٧٠ م) وصلت المدينة إلى ٤٦٠٠٠ نسمة وظل عددها يتزايد بعد ذلك حتى وصل إلى ٩٠٠٠٠ نسمة سنة ١٩١٣م ثم هبط - بسبب ظروف الحرب العالمية الاولى - إلى ٥٠٠٠٠ نسمة ثم ظل عدد السكان فى تزايد ، حتى وصلوا إلى ١٦٤٠٠٠ نسمة طبقاً للجدول التالى :

اجمالى عدد سكان القدس بشطريها	السنة
٤٦ر٠٠٠ نسمة	١٦٧٠ م
٤٥ر٠٠٠ »	١٨٩٠
٥٠ر٠٠٠ »	١٨٩٦
٩٠ر٠٠٠ »	١٩١٣
٥٠ر٠٠٠ »	١٩١٧
٦١ر٠٠٠ »	١٩٢٠
٩٠ر٥٢٦ »	١٩٣١
١٢٥ر٠٠٠ »	١٩٤١
١٥٧ر٠٨١ »	١٩٤٤
١٦٤ر٥٠٠ »	١٩٤٧

أما بالنسبة للسكان اليهود فمن المعروف أنهم سكنوا القدس بعد أن استولى عليها الملك داود وظل عددهم يتأرجح نتيجة الغزوات التى تعرضت لها المدينة بعد ذلك من الاشوريين والبابليين والفرس والرومان ، الذين حرموا عليهم دخولها بتاتاً منذ عهد هدريان سنة ١٣٥م . ثم سمح لهم صلاح الدين بالمعيشة فيها . مع العلم بأن الصليبيين كانوا قد طردوا جميع اليهود منها . ولهذا لم يكن بها فى القرن ١٢م سوى يهودى واحد فقط ـ على حد قول السائح اليهودى بتاحيا الذى زار القدس فى هذا القرن .

ويذكر الرحالة اليهودى الشهير موسى بن نحمان جيروندى أنه لم يجد بها سوى عائلتين إثنتين فقط أثناء زيارته لها (ق ١٣م) وفى عام ١٥٧٢ بلغ عدد اليهود بالقدس ١١٥ يهودياً فقط[٣٦] . ثم زاد عددهم إلى ١٥٠ فى سنة ١٦٧٠م طبقاً لاحصاء السلطان محمد الرابع . ثم قفز عددهم فى أواخر القرن الماضى إلى ٣٠ر٢٠٠ نسمة سنة ١٨٩٠ ثم صاروا ٩٤ر٩٤٢ طبقاً للبيان التفصيلى الآتى : ـ

السكان	عام ١٨٩٠م	١٩٢٠م	١٩٤٤م
مسلمون	٧٫٦٠٠	١٦٫٠٠٠	٣٢٫١٢٨
مسيحيون	٧٫٢٠٠	١٥٫٠٠٠	٢٨٫١٤٦
يهـود	٣٠٫٢٠٠	٣٠٫٠٠٠	٩٤٫٩٤٢
آخرون	—	—	١٫٨٦٥
جملة	٤٥٫٠٠٠	٦١٫٠٠٠	١٥٧٫٠٨١

وترجع هذه الزيادة المفاجئة فى أعداد اليهود (فى القدس الجديدة) إلى الهجرة التى شجعت عليها الوكالة اليهودية والمساعدات التى قدمها لهم الانجليز أيام الإنتداب على فلسطين وطبقاً للتقرير الذى قدمه جون مارتن لهيئة الأمم المتحدة بليك سكسس سنة ١٩٤٧ يتضح أن توزيع السكان كان كالآتى : (٢٧)

المكان	عربى	يهودى	جملة السكان
القدس القديمة (داخل السور)	٣٣٫٦٠٠	٢٫٤٠٠	٣٦٫٠٠٠
الجزء العربى من القدس الجديدة	٣٠٫٠٠٠	٩٫٠٠٠	٣٩٫٠٠٠
الجزء اليهودى من القدس الجديدة	١٫٥٠٠	٨٨٫٠٠٠	٨٩٫٥٠٠
جملة عامة	٦٥٫١٠٠	٩٩٫٤٠٠	١٦٤٫٥٠٠

وبعد أن خضعت القدس القديمة (داخل الأسوار) للحكم الأردنى سنة ١٩٤٨م هجرها اليهود إلى القطاع اليهودى (خارج الأسوار) ثم رجعوا اليها بعد العدوان الأخير (١٩٦٧) رافضين بصلافة الخروج منها ، ومصرين على جعلها عاصمة لهم ، متحدين بذلك قرارات الأمم المتحدة ، والرأى العام العالمى ، كما سيجىء تفصيلياً فيما بعد .

مصادر الباب الأول

١ - دائرة معارف البستاني مجلد / ٤ (بيروت ١٨٨٠م) ص ٦٢٣ .

٢ - عارف باشا العارف : تاريخ القدس ج ١ (القاهرة ١٩٥١) ص ١٦٧ ؛

٣ - The works of Flavius Josephus, Trans. by whiston(London) - 12 , 3 ,610

٤ - Marmorosch, Old and New places in Palestine, p. 54.

٥ - Encyclopedia Britannica, 1964, Vol, 13, p. 607

٦ - ياقوت الحموى معجم البلدان ص ٤٢٤

٧ - Viatar, Palestine, p. 18.

٨ - السيوطى : إتحاف الإخصا فى فضائل المسجد الاقصى ص ١٢

جبرائيل الخورى وسليم ميخائيل : آثار الأدهار (بيروت سنة ١٨٧٥) ص ٣٧٠

Stimpson, George, Abook about the Bible. p.216.

٩ - Harmsworth's Universal Encyclop. vol, 15.

١٠ - سليم سعيد : مذكرات غير منشورة بعنوان « جغرافية وشعوب الكتاب المقدس » (١٩٦٢) ص ٣٧

١١ - Warren, Jerusalem, p. 231.

Eugene Hoade, Guide To The Holy Land, p, 127.

١٢ - Schaff-Herzog Encyclop. Vol. 6, p. 130.

١٣ - عارف - المرجع السابق ص ١٩١ (مصلحة تسوية الأراضى بحكومة فلسطين)

١٤ - المرجع السابق ص ١٩٢

١٥ - مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين - حقائق عن قضيـــة فلسطين - (القاهرة ١٩٥٧) ص ٢٤٠

١٦ - يوسف الحاج : هيكل سليمان ص ١٤٨

١٧ - القاضى مجير الدين : الأنس الجليل ج ١ ص ٣٢٨

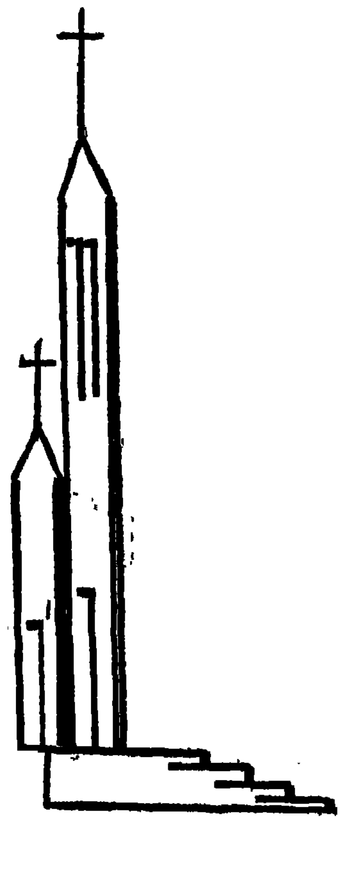
١٨ - Valentine, Palestine, Past and Present, p. 33

١٩ - Harmsworth, Op. cit, .p. 4406.

٢٠ - Schaff, Op. cit, Vol, 6 .p, 131.

٢١ - Josephus, Antiquities, 7 , 14 , 4.

٢٢- Op. cit, p. 131.
٢٣- I bid, p. 132.
٢٤- I bid, p. 132.
٢٥- دليل رابطة القدس القبطية الأرثوذكسية ص ٢٩
Warren, op. cit, p, 500.
٢٦- سجل رقم ٥٥ ص ٢٠٧ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس - عارف - المرجع السابق ص ٢٣٥
٢٧- المرجع السابق ص ٢٣٦



الباب الثانى

تاريخ القـــدس

الفصل الاول

الهجرات القديمة للقدس

بدأت أول الهجرات للقدس وما حولها فى نهاية العصر الجليدى الرابع (نحو ٢٥٫٠٠٠ ق.م) بعد أن أخذت موجات الجليد تنساب عن سطح الأرض نحو الشمال، وبالتالى حل الجفاف بالمناطق المسكونة فتحولت إلى صحارى، كما حدث فى شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى[1]. ويذكر لنا علماء الآثار أن أول من سكن القدس قبائل بدائية فى العصر الحجرى القديم، وقد وجدت أدوات حجرية من العصر الباليولوثى الأدنى Lower palaeolothic، وكذلك من العصر الموستيرى Mousterian، الذى تمثله جمجمة وجدت فى مغـــارة الزيتية سنة ١٩٢٥م، موجودة حاليا بمتحف القدس، ويطلق عليها الأثريون «الإنسان الفلسطينى القديم». وفى العصر الحجرى الأوسط كان الفلسطينى صيادا يقوم بالقليل من الزراعة وتربية الحيوان. ويشبه العصر الحجرى الحديث فى الأرض المقدسة حضارة وادى النيل فى عصر ماقبل الأسرات (٤٠٠٠ق.م)[2] وفيه ظهر الفخار، وكان من نتيجة الجفاف الذى حل بعد انحسار الجليد أن قذفت الصحراء بموجات شديدة البأس من الناس يلتمسون الحياة فى وديان الأنهار والمناطق المطيرة فى الشمال. ومنذ الألف الرابعة قبل الميلاد اتخذت هذه الهجرات صورة منتظمة أولهـــا الأموريين إلى الشام وفلسطين. واستطاعوا أن يقفوا فى وجـــه العبرانيين فيما بعـــد.

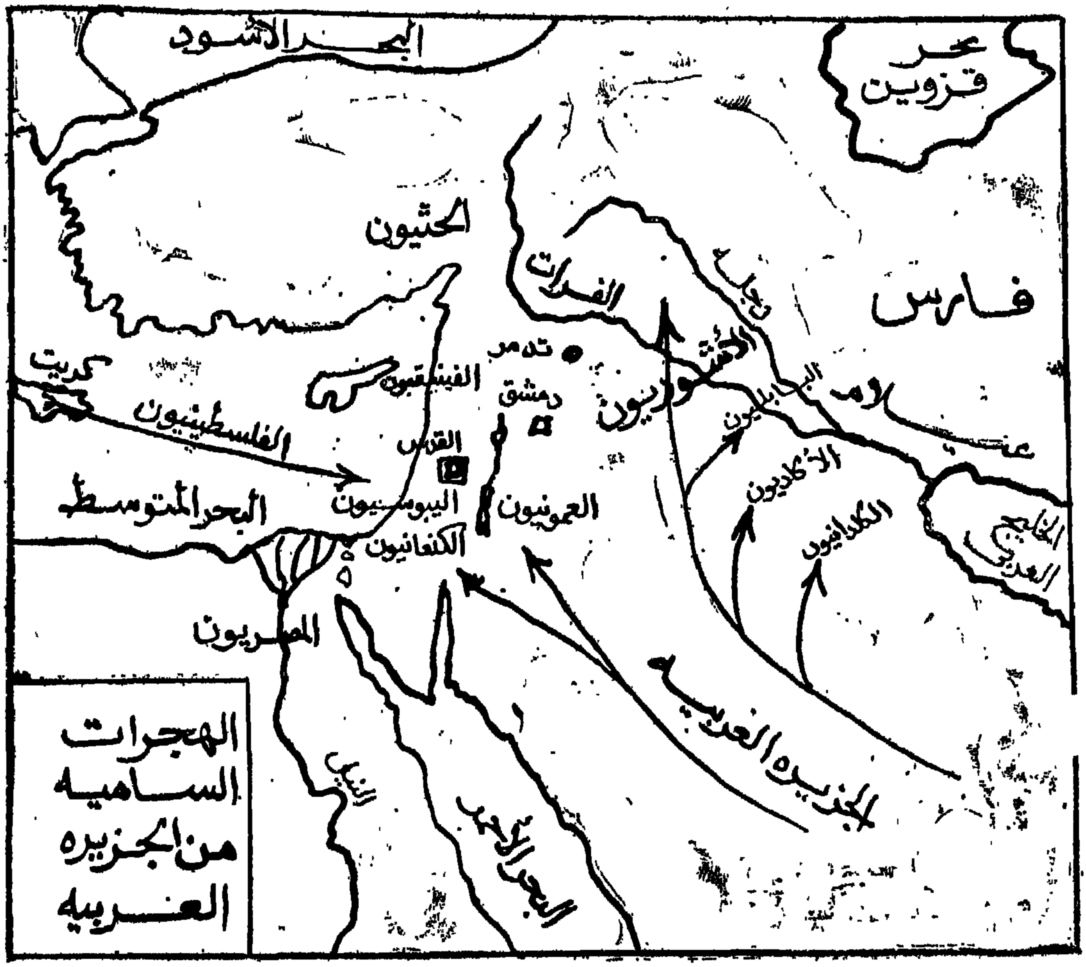
ويعتبر الكنعانيون شديدى الصلة بالأموريين (تكوين ١٠ : ١٦)، إن لم يكونوا فرعين من مجموعة كبرى تحركت فى هجرة واحدة لا فى هجرتين نحو غرب الأردن، ويذكر المؤرخون أنهم سيطروا على سواحل البحر المتوسط، ثم امتدوا نحو الشام شرقا، ويرى البعض أنهم جاءوا مباشرة من الجزيرة العربية، بينما ينقل البعض الآخر عن هيرودت قوله أنهم هاجروا من فارس، وتشير التوراة - التى تعتبر من أهم الوثائق التاريخية فى هذا المجال - إلى مدى التقدم الذى وصـــل اليه الكنعانيون، فقد بنوا المعابد الضخمة والقصور الفخمة. وأسسوا المدن والحكومات المحلية المستقلة. وبلغوا درجة كبيرة من الرقى فى الزراعة والصناعة. حيث ينسب اليهم إختراع الزجاج. كما كانوا من أكبر التجار فى حوض البحر المتوسط فى تلك العصور. وقد كشفت الآثار عن مدن كنعانية تدل على

حضارة هذا الشعب العربي ولكن كان عيبهم الرئيسي هو تفككهم السياسي في شكل حكومات فرعية يحكمها أمراء مستقلون ، فلم يستطيعوا ضم هذه الحكومات المتعددة تحت قيادة حاكم واحد وإقامة دولة كنعانية قوية مما سهل على العبرانيين - فيما بعد - الاستيلاء على أجزاء كبيرة من أرضهم . واحتلالها مدينة بعد أخرى أيام القائد اليهودي يشوع بن نون كما نصف التوراة . إلا أنه - مع ذلك - لم يتمكن الاسرائيليون من بسط سلطانهم الكامل بصفة دائمة على كل الضفة الغربية للأردن . لأن جزءاً كبيراً ظل في أيدي الكنعانيين (٣) . وظلوا في صراع دائم معهم نحو مائتي عام .

أما الهجرة الكبيرة الثالثة فقد قام بها الآراميون في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد إلى الشام . وظلوا بعد غزو العبرانيين في عداء مستمر معهم . فدست اسرائيل لدى أشور فتم القضاء على الآراميين سنة ٧٣٠ ق م . ولكن إسرائيل جنت نفس المصير جزاء خيانتها . فأزالتها أشور من الوجود بعد ذلك . ولكن ظلت اللغة الآرامية سائدة في الشام ألف عام أخرى . أما الفلسطينيون (ويعني اسمهم سكان المناطق المنخفضة) فقد جاءوا في الموجة الرابعة من جزيرة كريت . التي تسمى في التوراة بكفتور (تث ٢ : ٢٣ ، أرم ٤٧ : ٧) من هجرة سامية مرتدة - ربما بسبب ضغط الهلينيين (الإغريق) الذين احتلوا كريت ، فسكن الفلسطينيون بين يافا وغزة . ثم توغلوا إلى الداخل حتى جبل يهوذا وعاشت بقايا الكنعانيين بينهم وبين بني اسرائيل فيما بعد . واتخذ الكنعانيون اللغة الكنعانية ومارسوا عاداتهم (٤) . وكان يحكم كل مدينة من مدنهم أمير يشغل - في نفس الوقت - منصب قائد الجيش . وقد أثبتوا كفاءتهم في الحرب ضد الاسرائيليين فأخضعوهم لهم عدة مرات . وظلوا في حروب مستمرة معهم نحو ٣٠٠ عام . جاءت أخبارها بالتفصيل في التوراة في سفر القضاة .

أما الهجرة الأخيرة فقد قام بها العبرانيون . وهم قبائل بدوية سامية عاشت في شمال بلاد العرب وعلى أطراف سوريا الجنوبية الشرقية . وقد جاءوا إلى فلسطين إبان فترة الفراغ التي تلت إنهيار الدولة الحديثة في مصر . وقد توقفت هذه القبائل الإسرائيلية شرقي الاردن لتسمين العجول ، التي نهبوها من أرض بشان ، التي كانت تحت سيطرة الملوك الاموريين . وهزمهم العبرانيون في معركة أذرعي Edrei عام ١٩٤٥ ق.م (٥) (تث ٣) .

ويحسن الاشارة إلى تاريخ القدس قبل دخول العبرانيين استكمالا لسلسلة تاريخ المدينة المقدسة العريق :—



الفصل الثانى

حكم الفراعنة للأرض المقدسة

هناك أسطورة نقلها بعض الكتاب الغربيين عن يوسيفوس وبلوتارك Plutarch - ومصدرها المؤرخ المصرى مانيتون Manetho - تقول بأن القدس بنيت على يد الهكسوس ، بعد طردهم من مصر على يد تحتمس الثالث سنة ١٤٧٩ ق.م . بعد أن هزمهم فى معركة مجدو ، وخضعت له كل فلسطين ، وأقام على المدينة المقدسة حاكما مصريا (٦) ولكن يرجح البعض أن اليبوسيين - وهم فرع من سلالة الكنعانيين العرب - هم الذين بنوها تحت قيادة ملكهم المسمى ملكيصادق (٧) .

ويتضح من رسائل تل العمارنة البسبع (١٤٠٠ ق . م) أن مدينة أورشليم كانت خاضعة فى ذلك الحين لفرعون مصر أمنحتب الثالث (١٤١٣ ق . م) ، الذى أرسل له الوالى المسمى عبد خيبا Abdikhiba يطلب منه نجدة لصد هجوم الخابيرو ، الذين يرجح أنهم العبرانيون (٨) . وقد خضعت القدس لحكم إخناتون سنة ١٣٧٥ م . ق — وكانت فى عهده أهم ممتلكات مصر ، ثم توت عنخ أمون سنة ١٣٥١ ق . م . ثم سيتى الأول سنة ١٣١٤ ق . م ، وقيل أنها خضعت بعد هؤلاء لمنفتاح ، ويدل على ذلك لوحة اكتشفها العالم الأثرى سير فلندز بترى سنة ١٨٦٦م (وترجع لنحو ١٢٩٩ ق . م) ومكتوب عليها بالهيروغليفية « لقد غلب الملوك وقالوا سلاما ، وخربت تحينو وهدئت أرض الحيثيين فانتهت كنعان وحل بها كل الشرور ، وخربت إسرائيل ولم يعد لابنائها وجود ، وأضحت فلسطين أرملة لمصر ، وصمتت كل البلاد وهدأت ، وكل من كان ثائراً قيده الملك منفتاح » .

وكان الفراعنة يحكمون فلسطين عن طريق ولاة من أهلها بشرط أن يدفعوا الجزية « ولم يكونوا يتعرضون لمعتقداتهم الدينية أو عاداتهم المحلية ولم يصيبوهم بسوء (٩) ولما أغار الحيثيون من الشمال على الشام وفلسطين كان على فراعنة الاسرة التاسعة عشر أن يطردوا الحيثيين منهما ، واتفق رمسيس الثانى مع ملك الحيثيين حتسيب الثانى Hattusib على أن تكون فلسطين كلها من نصيب مصر (وكان ذلك نحو ١٢٧٩ ق . م) لكن المتاعب بدأت ثانية بظهور الاسرائليين . الذين يحتاجون منا أن نرجع معهم إلى الوراء قليلا ، إلى أول هجرة لهم . . . مع هجرات الهكسوس والحوريين (بين ٢١٠٠ — ٢٠٠٠ ق . م) وقام بها الآباء الاولون لليهود وعلى رأسهم ابراهيم الخليل . الذى تقول التوراة أنه جاء غريبا لأرض كنعان (فلسطين) مع ابن أخيه لوط وعائلتيهما . ويرجح بعض المؤرخين أن ذلك كان فى عصر الأسرة الثانية عشر المصرية (وفرعونها سنوسرت) . ويحتمل أن يكون قد عاش فى عهد الملك حمورابى المشرع البابلى المشهور ، الذى تسميه التوراة امرافيل (تك ١٤ : ١) ، وعاش هؤلاء العبرانيون الغرباء وسط الكنعانيين والحيثيين (الذين يرجح أنهم من سلالة كنعانية عربية) ، واتخذوا لغة أهل البلاد الكنعانية ، وسمى سيدنا إبراهيم بالعبرانى لعبوره نهر الاردن فى طريقه لفلسطين ، أو نسبة لجده عابر بن سام بن نوح (تك ١٠) .

وفى القرن ١٧ ق . م هاجر العبرانيون من فلسطين لمصر (رحلة سيدنا يعقوب

والأسباط بناء على دعوة ابنه يوسف الوزير فى البلاط المصرى)، فاستقروا فى أرض جاسان (بمحافظة الشرقية) وكانوا فى مجموعهم سبعين فردا فقط ، وتم خروجهم من مصر عبر البحر الأحمر بقيادة موسى النبى ، بعد أن بقوا فى مصر ٤٣٠ عاما كاملا ، وقيل أن سيدنا موسى تربى فى بلاط الملكة حتشبسوت (نحو ١٥٢٧ ق م) ، طبقاً لحفريات جلاستنج — عضو بعثة جامعة ليفربول — فى مقابر مدينة أريحا . ويؤكد كل المؤرخين بأن الخروج من مصر يمثل البداية الحقيقية لتاريخ اليهود فى الأرض المقدسة ، ويذكر الكاتب يوجين هود ، أنه لما تراخت قبضة مصر على فلسطين سمح ذلك للعبرانيين أن ينفذوا ببطء اليها تدريجيا (نحو ١٤٠٠ ق . م)، حتى تم لهم التهام أكبر مساحة منها فى عهد داود (نحو ١٠٠٠ ق .م) ، (١٠) وكان يابان Japan الملك الكنعانى (وقائده سيسرا) قد سيطر عليهم من عام ١٢٢١ — ١٢٠١ ق . م ثم أخضعهم المديانيون العرب سبع سنوات ، ثم ساد نفوذ الفلسطينيين عليهم بعد هزيمة قائدهم المشهور شمشون (نحو ١١٠٠ ق . م) (١١) ، والجدير بالذكر أن الفلسطينيين كانوا أكثر تقدما فى أسلحة الحرب ، فكانوا يستعملون عربات حربية ثقيلة تجرها الثيران (كما تشير التوراه ، والنصوص المصرية القديمة) (١٢) .

وكانت إسرائيل قد بدأت تظهر طموحها وتستهدف الاستقرار ، ولكن الفلسطينيين استطاعوا أن يؤكدوا وجودهم ضدها ، لأنها لم تكن قد عرفت الوحدة السياسية والادارية . على أن ضغط الفلسطينيين عليها كان من أهم العوامل فى تجميع قواها وانشاء أول مملكة لها ، وكان ملكها الأول شاول بن قيس ، ولكن الفلسطينيين استطاعوا أن يقضوا عليه ، ثم تولى الحكم بعده داود النبى ، الذى عاش طوال حياته فى حروب مستمرة معهم ومع جيرانهم العرب ، واقتبس الاسرائيليون الحضارة الكنعانية فتركوا الكنعانيين معيشة الخيام وسكنوا بيوتا مثل الكنعانيين . وتعلموا منهم التجارة وبعض الصناعات اليدوية ، وخلعوا ثياب الجلد ، ولبسوا بدلا منها ثيابا منسوجة من الصوف كثياب الكنعانيين .

الفصل الثالث

القدس تحت سيطرة اليبوسيين (العرب)

كان اليبوسيون (سكان مدينة يبوس = القدس) قد هربوا إلى التلال الجبلية المحيطة بالقدس بعد محاولة الاسرائيليين إهلاكهم ، لكن كان لهم فيها حصن قوى ذو سور منيع اقيم على نبع ماء قديم كما سبقت الاشارة ولم يتمكن القائد اليهودى يشوع بن نون

(خليفة موسى النبي) من الاستيلاء على مدينتهم رغم أنه هزم أدونى صادق الملك اليبوسى وخلفاءه الملوك الكنعانيين الأربعة (سفر يشوع ١٠) ، وظلت المدينة المقدسة تحمل اسم يبوس Jebus وبقى حصنها قائماً في قلب الولايات الاسرائيلية ، ويقول الكاتب الامريكي ستيمبسون جورج « أن بنى يهوذا وبنى شمعون تمكنوا من حرق المدينة وأسروا بعض اليبوسيين ، لكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على الحصن القائم على جبل صهيون » .

وكان من نتيجة ذلك أن أعاد اليبوسيون بناء المدينة ، ، وبقيت في أيديهم خلال حكم القضاة ، وفى عهد شاول الملك » (١٣) ، وأكد أن القدس لم يسكنها اليهود إطلاقا ، إلا بعد أن استولى عليها داود الملك سنة ١٠٠٦ ق . م .

أما كيفية استيلاء هذا الملك عليها فترويها لنا التوراة ، والمؤرخ يوسيفوس اليهودى ، الذى يقول « أنه كان يسكنها اليبوسيون أصحابها ، الذين تفرعوا من الكنعانيين ، ولما علموا برغبة داود في الاستيلاء على مدينتهم أغلقوا أبوابها ، ووضعوا حراسا على أسوارها ، فغضب داود وأمر بحصارها وقرر الاستيلاء عليها بأى ثمن ، حتى يبسط جناحيه على بقية فلسطين ، فاستولى على المدينة السفلية بالقوة ، وفشل فى الإستيلاء على القلعة ، التى تعتبر نواة المدينة ، ولهذا أعلن مكافآت للجند ووعد أول من يخترق الخنادق (التى فى أسفل القلعة) ، ويستولى عليها سيتولى قيادة الجيش (سفر أخبار الأيام الأول ١١ : ٤) ، ولهذا طمع الجنود فى أن تكون لهم الأولوية فى الدخول للقلعة لنوال القيادة واستطاع يوآب بن صروية أن يمنع الجند ويقتحمها أولا ثم نال غرضه » (١٤) ، وهكذا خضعت المدينة المقدسة للإسرائيليين بعد أن فشلوا فى الاستيلاء عليها أيام يشوع (أى منذ ٥١٥ عاما) .

ويبدو من كلام يوسيفوس أنه كانت هناك خيانة وراء سقوط المدينة ، حيث يشهد هذا المؤرخ بولاء عرنون (أرونا) اليبوسى ، الذى كان من كبار أغنيائها . ويقول أنه كان محبا للعبرانيين وللملك داود ، ويرجح أنه سهل لهم دخول القلعة الحصينة ، وهو الذى ذكرت التوراة أنه الذى باع قطعة الارض ، التى بنى عليها الملك سليمان هيكله المشهور ، وقد تكلم يوسيفوس بصراحة عن الجهد العظيم الذى بذله الفلسطينيون لمناصرة إخوانهم اليبوسيين ، واعلانهم الحرب على داود ، الذى انتصر عليهم — فى رأيه — لقلة عددهم ، فذبح منهم عدداً وهرب الباقون (١٥) ، وترجع رغبة الملك دواد فى الاستيلاء على يبوس (القدس) لموقعها الطبيعى الذى يحميها ، وتوسطها فلسطين ، بالاضافة إلى أهميتها السياسية بالنسبة له ، إذ أنها تقع فى أرض محايدة لم تخضع للأسباط

فهى تقع بين الأراضى التى إحتلها سبطا يهوذا وبنيامين ، مع مالموقعها الاستيراتيجى من سيطرة تامة على خطوط المواصلات الرئيسيه بين الشمال والجنوب ، وصلاحيتها لتكون عاصمة لمملكة موحدة (١٦) ، ولهذا نقل داود عاصمته من مدينة حبرون (وهى مدينة الخليل الحالية) — بعد أن ظل فيها سبع سنوات ونصف — إلى اورشليم ، التى التى بقى بها ٣٣ عاما .

ومما تجب الاشاره اليه فى هذا المجال أن الملك داود لم يستطع طرد السكان اليبوسيين المتمسكين بأرضهم ، فبقى بأورشليم عدد كبير منهم ، حتى أنه فى أيام سليمان استخدم منهم ١٥٠٠٠٠ فى بناء هيكله وقصره طبقاً لرواية العهد القديم (٢ أخبار ٨ : ٧)، ومن الغريب أن نذكر أن داود نفسه لم يكن يهوديا صرفاً ، إذ أنه من نسل فارسى ، من ثمرة اتصال يهوذا بـكنته ثامار ، وكانت زوجة يهوذا هذا كنعانية الأصل ، وقد قامت ثورة فى أورشليم بزعامة شيع بن بكرى لرفض حكم داود على أساس أنه ليس يهوديا (اصموئيل ٢٠ : ١) . كما أن سليمان بن داود من أم حثية . وليس هناك أدنى شك أن القدس ظلت تضم عددا كبيراً من اليبوسيين الذين ظلوا فى مساكنهم ، وإن كان داود قد أرغمهم على اخلاء قلعتهم فقط (٢ صموئيل ٢٤ : ١٨) ، وقام بتغيير ملامحها ، كما شيد قصراً على أحد التلال الغربية (جبل صهيون) ، وأقام مقابراً فى الوادى أسفله وقام بتقوية الاسوار والأبراج . ومازالت بعض آثاره باقية حتى الآن ، كما أقام الكثير من المساكن لرجال بلاطه حول قصره ، كما اهتم بموارد المياة لحفر القنوات والآبار ، كما سبقت الإشارة .

الفصـــل الرابع

القـــدس فى عهد سليمان الحكيم

قام سليمان بمد الأسوار شمال قلعة داود ، وبنى حصنا للحماية ، ولو أنه غير معروف مكانه بالضبط ، كما شيد لنفسه قصرا فخماً على تل أوفيل Ophel أحاطه بأسوار قوية لحمايته ، وكانت له بوابات ضخمة فى الجنوب . وله عدة أبهاء على مستويات التل المختلفة وهى البهو الكبير (المسمى دار لبنان) ، بهو الأعمدة ، صالة العرش ، وفى الفناء الاوسط قصر سليمان وقصر زوجته المصرية (١٧) .

وتذكر التوراة أن سليمان قام ببناء سور حول القدس (١ ملوك ٣ : ١ ، ٩ : ١٥) ، ونظراً لعدم معرفة مساحة المدينة أو امتدادها فى عهده ، فلا يمكن تحديد طول هـذا السور ، ويبدو أنه وضع فى اعتباره فصل مدينة داود (= الحصن اليبوسى الأول) عن أورشليم التى توجد على التل الجنوبى الغربى على حسب رأى يوسيفوس [١٨] .

وقد اكتشفت أخيراً بقايا حائط فى جنوبى شارع الملك داود فى وسط القدس القديمة عند مايسمى ببوابة ويلسون ، ويرجح أنه جزء من سور سليمان [١٩] ، وقد اكتشف المهندس الانجليزى مودسلى Maudsley والامريكى بلس Pliss عدة بوابات فيه ، وكذلك حددا إتجاه التحصينات ، ولكنهما لم يستطيعا أن يحددا زمنا مؤكداً لهـذه الأبنية سواء فى أيام سليمان أو بعده . واما أولاد سليمان الذين حكموا بعده فقد أقاموا بدورهم تحصينات جديدة للقدس ، فقـد أقام حزقيا سوراً خارج حدود المدينة السابقة لتوسيعها ، سماه يوسيفوس الحائط الثانى [٢٠] ، وذكره نحميا النبى (٣ : ٣٢ ، ٣١ : ٣٧ — ٤٠) ، والبقايا المكتشفة تدل فعلا على ماذكره ، وتوجد فى شمال برج داود تحت اساس الكنيسة الإنجيلية الالمانية الحالية ، القريبة من الركن الشمالى الغربى من الحرم الشريف ، وكان لهذا السور الأخير بوابتان إحداهما تسمى البوابة القديمة ، والأخرى تعرف ببوابة السمك (نحميا ٣ : ٦ ، ١٢ : ٣٩) ، ويرجح أن تكون الأولى قريبة من كنيسة القبر المقدس (القيامة) ، ومستشفى سان جون البروسى ، وربما كانت بوابة السمك تقود إلى وادى تريبيون .

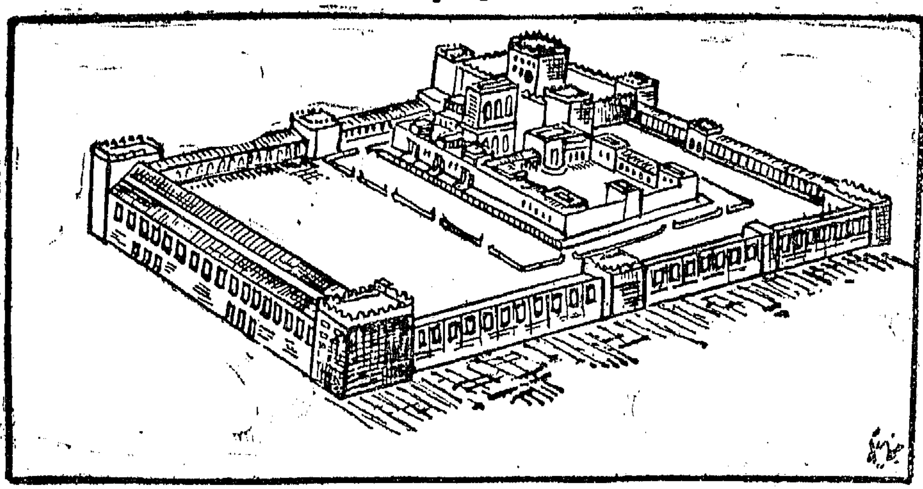
ومن سفر صفنيا النبى (١ : ١٠) يستنتج أن هـذه المدينة الجديدة كانت تحتوى على محلات للتجار الفينيقيين العرب ، أما برجى حننايا وحمية (أرميا ٣١ : ٣٨ ، نحميا ٣ : ١) فكانا بالقرب من بوابة الضأن (التى سميت أيضا بوابة بنيامين) ، وعلى مسافة قصيرة شرقا ينحنى السور نحو الجنوب موازياً لوادى قدرون ، ويبدو أن هـذا الاتجاه قد تغير عدة مرات . أما البوابات الاخرى فى ذلك العصر فكانت البوابة الوسطى (أرميا ٣٩ : ٣) وبوابة بوتشردز Potsherds (أرميا ١٩ : ٢) ، وبوابة زكريا (أرميا ١٤ : ١٠) ، بوابة الحرس (٢ ملوك ١١ : ١٩) ، التى تفتح على قصر سليمان وبوابة الحصان (نحميا ٢٣ : ٢٨) . والاخيرة لم يعثر لها على أثر حتى الآن .

هيكل سليمان :—

كان الاسرائيليون منذ أيام موسى النبى حتى عهد داود يقيمون شعائرهم الدينية

فى خيمة تفك وتركب فى أى مكان (خيمة الاجتماع) ، أثناء ترحالهم من سيناء وتسللهم إلى أرض كنعان تدريجيا ، فرأى سليمان الاستعاضة عنها بمعبد يبنى من الحجارة : فأختار مكان على جبل موريا فى جنوب شرق القدس القديمة ، ويعتقد اليهود بأنه فى هذا المكان أمتحن الله عبده إبراهيم الخليل ليقدم أبنه ذبيحة . وان كانت كل الكتابات الغربية التى أمكن الاطلاع عليها (٢١) تشير إلى أن ذلك الفداء تم فى منطقة كنيسة القيامة فيما يسمى بهيكل جلد المسيح بدير مار ابراهيم ، وليس محل هيكل سليمان كما يقول التقليد اليهودى . وهذا الموقع هو تل مستطيل يحده شمالا تل يسمى صخر بزيثا ، وإلى الشرق وادى قدرون وفى الغرب وادى تريبيون ، ويجتمعان عند الجنوب على شكل زاوية حادة .

(هيكل سليمان)



وكان بجوار الهيكل قصر سليمان ومساكن إسرته ومقار الكهنة القائمين بالخدمة فى الهيكل ، والجدير بالذكر أن العرب هم الذين ساهموا فى بنائه لعدم خبرة اليهود بالفن المعمارى فى هذا الوقت فكان رسمه على طراز مصرى أشورى ، وساهم الفينيقيون العرب بخشب الأرز والسرو من لبنان ، وأقيم الهيكل على شكل مربع طول ضلعه ١٨٠ م واستخدمت فيه حجارة كبيرة ، وكان موقع الصخرة (التى تقع حالياً تحت قبة مسجد الصخرة) هو هيكل الذبائح ، التى يسميها اليهود بالمحرقات ، وكان مكشوفا ومغطى بصفائح من النحاس فى جوانبه الاربعة .

وكان الكهنة اليهود يقدمون عليه الذبائح الحيوانية المختلفة يوميا فى الصباح وفى المساء عن طريق حرقها بالنار ، ويقع فى وسط ساحة تدعى دار الكهنة ، وهى فضاء داخلى مرتفع يستقر فيه الكهنة لمقابلة اليهود الذين يرغبون فى تقديم الذبائح لله تكفيرا عن

خطاياهم ، ويوجد هنا أيضا حوض نحاسي كبير محمول على ١٢ ثوراً من النحاس المسبوك ومداخل الساحة تشبه واجهات هياكل قدماء المصريين ؛

ويرقى بعد ذلك على سلالم حجرية عليها عمودان مسبوكان من النحاس طول كل منها ١٣ مترا ، وأمامها إلى الغرب الباب الكبير ، الذى يقود إلى حصنين ارتفاعها ٣٢ م ويقع أمامها واجهة المكان المسمى بالقدس وعرض مدخله ١٠ م ، وأبعاده هى ٢٠×١٠×٥ متر وفيه مايسمى بهيكل البخور والموائد الذهبية الخمس التى كان يوضع عليها الخبز اليومى والمنائر العشر الذهبية ذات الشعب الاربعة وفى هـذا المكان ظهر الملاك جبرائيل لزكريا النبى فيما بعد (ليبشره بمولد يوحنا المعمدان . قبل أن يبشر العذراء مريم بولادة المسيح بستة أشهر طبقا لما جاء فى إنجيل لوقا ١ : ٥) .

ونصل بعد ذلك إلى المكان المسمى قدس الأقداس ، وهو غرفة مربعة طول ضلعها ١٠ متر ، وهو مكان مظلم (أى بلا نوافذ)ويضم تابوت العهد ، الذى صنعه موسى النبى ليسير أمام بنى إسرائيل فى البرية ، وبداخله لوحا الشريعة اللذين كتبت عليهما الوصايا العشر المشهورة ، وقسط يضم القليل من المن ، الذى كان يرسله الله لبنى إسرائيل فى البرية وعصا هارون رئيس الكهنة وأخو موسى النبى . وكان هذا التابوت موضوعا على مائدة ذهبية — تحت جناحى لوحتين مذهبيتين على شكل ملاكين فى عهد سليمان ، ثم فقد بعد سبى اليهود إلى بابل ، ولم يعثروا عليه بعد رجوعهم ، هذا — وكان غير مسموح لأحد بدخول قدس الأقداس الا لرئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة ، ولهذا كانوا يربطونه بسلسلة ذهبية حتى اذا مامات داخله يمكن جر جثته منها ، دون دخول أحد ، ولم يفصله عن المسكن الآخر المسمى القدس سوى حجاب حريرى ومن خارج الهيكل كانت تقع دار الشعب ، وهى تحيط بدار الكهنة ، ولم يكن يدخلها سوى اليهود فقط ، وبها مكان خاص بالنساء ويمكن الصعود منها الى دار الكهنة بخمسة عشرة درجة (وكانت تتلى فيها مزامير المصاعد أو المراقى Graduals وكان لها باب نحاسى ضخم يحتاج الى ٢٠ رجلا لفتحه ؛ وكان يوجد خارجه صندوق لجمع التبرعات (لوقا ٢١ : ١) ، وعن شماله كانت تقع قاعة فسيحة ، حيث إجتمع علماء اللاهوت اليهود مع السيد المسيح ، وهو فى سن الثانية عشر من عمره ، وفيها أيضا قدم اليهود للمسيح إمرأة خاطئة سائلين اياه بخبث عما يحكم به عليها حتى يصطادوه بكلمة ليشتكوه بها ، حيث كانت الشريعة الموسوية تحكم عليها بالرجم ، ولكنه أفحمهم بكلمته المشهورة « من منكم بلا خطيئة فليرجمها أولا بحجر » (يوحنا ٨) .

وبعد ذلك يحاط الهيكل من الخارج بدار الأمم ، حيث كان يجوز لغير اليهود دخولها ، وكانت فيها عدة لافتات باليونانية واللاتينية والعبرية للتحذير بعدم تجاوزها وإلا تعرض المخالف للقصاص الشديد (وتوجد إحـــدى هذه اللافتات بمتحف اللوفر بباريس) . وكان فى شرق هذه الدار مكان واسع يضم دكاكين الصيارف لتغيير العملات الأجنبية ، وباعة الحمام والحيوانات التى تباع للتضحية ، وفى المواسم الدينية والاعياد كان هذا المكان يمتلئ بالباعة ، حتى أنهم كانوا يتوغلون إلى دار الكهنة أيضا ، ولهذا طردهم المسيح مرة منه ، وأرجعهم الى مكانهم المخصص لهم (يوحنا ٢ : ١٣) ، ويرجح أن يكون فى هـذا المكان باب الجميل ، الذى شفى عنده القديس بطرس الرجل المخلع (سفر أعمال الرسل ٣ : ١) .

وقد تهدم هذا الهيكل عدة مرات كان آخرها وأشدها سنة ٧٠ م ، وبقيت بعض أساساته حتى سنة ١٣٥ م حيث أتى عليها الامبراطور الرومانى هدريان تماما ، وبنى محلها معبداً لجوبتر ، وبعد ذلك تهدم هـذا المعبد الوثنى ، وذكر أحد المؤرخين أنه لم ير منه شيئا سنة ٣٣٣ م [٢٣] . ومما يؤخذ على سليمان أنه اهتم بقصره أكثر من اهتمامه بهيكل الرب السابق وصفه ، فكان قصره مثلا — أكبر من الهيكل أربع مرات واستغرق بناؤه ثلاثة عشر عاما ، بينما شيد الهيكل فى سبعة أعوام فقط كما تذكر التوراة .

ولا نريد أن ننهى هذا الفصل دون ان نذكر بعض الملاحظات على حكم سليمان وأبيه داود .... فقد دام حكمهما معا ٧٣ عاما . وامتاز حكم داود بكثرة الحروب مع جيرانه الفلسطينيين والمؤابيين العرب ولهذا لم تكن فترة حكمه فترة استقرار . أما سليمان فإنه مال للتوسع بضم اجزاء من البلاد المجاورة عن طريق المعاهدات السلمية وبمساعدة فرعون مصر ؛ الذى استولى على عدة مدن كنعانية وسلمها مجانا كهدية لسليمان لزواجه من ابنته كما تقول التوراة (١ملوك ٩ : ١٦) .

ولم يكن الجـــو السياسى بأحسن حال مما كان فى عهد والده فلم تكن الظروف مستقرة تماما فى عهد سليمان (١٠١٥ — ٩٨٤ ق . م) . فقد تحداه القائد العربى هدد الادومى ، الذى سبق له الهرب من وجـــه داود أبيه لأرض مديان ثم مصر ، فأثار القلاقل فى وجه سليمان . الذى كان له أيضا خصم عربى آخر (١ملوك ١١) هو رزوق ابن اليداع . الذى هرب الى دمشق . ويربعام بن نباط ، الذى اغتاظ على وجه الخصوص من تحصين سليمان لاورشليم (١ ملوك ١١ : ٢٦) وهرب هذا الثائر الى مصر . حيث قبله

شيشنق فرعونها ، ورجع للقدس بعد موت سليمان مكافحا من أجل إسترداد أرض أجداده بمساعدة سوريا ومصر .

أما بالنسبة للحالة الإجتماعية فى تلك الفترة ، فقد كانت فى رأى المستشرق المجرى المعاصر الدكتور جرمانوس — عبارة عن دولة تعيش على الطبقية الحادة ، فالطبقة الإرستقراطية (المسماة الكوهنيت) . هى وحدها التى كان لها حق دراسة التوراة والعلوم الخاصة بها . ثم طبقة الليفى (وهم حراس التوراة) . ثم عامة الشعب وهى الأكثرية ، التى عاشت فى فقر مدقع لتخدم هاتين الطبقتين نتيجة لنظام السخرة الذى فرضه سليمان (١ ملوك ٦) . وعاش هذا الشعب متعصبا جدا يدعون الهداية عندهم وحدهم وأنهم — على هذا الأساس — متميزون على غيرهم من الشعوب المحيطة بهم . وقد غذت الطبقية التى كانت سائدة فى مجتمعهم هذا الاتجاه العنصرى . ولهذا لم تعش هذه الدولة طويلا (٢٤) . فأنشقت بعد رحبعام بن سليمان — الذى كان جاهلا وقاسيا — إلى دويلتين صغيرتين إحداهما فى شمال فلسطين . وسميت مملكة اسرائيل تحت حكم القائد يربعام وضمت عشرة اسباط وصارت عاصمتها السامرة (٢٥) . اما المملكة الاخرى فكانت اصغر اذ ضمت سبطين فقط : وقد دعيت مملكة يهوذا واتخذت اورشليم عاصمة لها .

وقد فسد ملوك إسرائيل وعبدوا مع شعوبهم الأوثان . وعاشوا فى الملذات كما تسرد التوراة أخبارهم بالتفصيل . وظلت الضغائن بين المملكتين الاسرائيليتين ، وأخذت كل منها تناوىء الأخرى وتسعى للقضاء على زميلتها . وظهر ذلك عندما طلبت مملكة الشمال من مملكة آرام العربية السورية أن تقضى على المملكة اليهودية الجنوبية وفعلا نالت مأربها ، وقد هال يربعام أول ملوك الشمال أن تخرج القدس من يده . وهى المدينة المقدسة ذات الدخل المالى الكبير من الحج فى مواسمه التى كانت تتكرر ثلاث مرات كل عام . لهذا إختار مدينة أخرى هى بيت ايل لبناء معبد آخر لنفس الغرض . لكنه عاد ونكث عهده مع الله فوضع فى معبده تماثيلا مصرية .

وقد استمرت مملكة إسرائيل من عام ٩٣٠ — ٧٢٢ ق . م وكان لها ١٩ ملكا أما مملكة يهوذا فقد عمرت من ٩٣٠ — ٥٨٦ ق . م وكان لها عشرون ملكا . وكان فرعون المسمى شيشنق الأول قد سبق الوافدين من أرض الرافدين (العراق) وصعد على اورشليم أيام رحبعام بن سليمان (٩١٥ ق . م) ومعه ٢٠٠ مركبة حديدية ، ٦٠٠٠٠ جندى مصرى . واستولى على المدينة المقدسة (٢ أخبار الأيام ١٢ : ٢) . وأخذ كل

خزائن الهيكل ومقتنيات القصر الملكى (١ ملوك ٢٤ : ٢٥) . وخلد شيشنق إنتصاره على اليهود برسم على معبد آمون يبين جلوسه بين ٣١٨ ملـكا ووالياً . وامامه يهودى (يبدو من انفه المعكوف المعروف) . وبجانبه كتابة هيروغليفية تقول « يوذا فرعون (اى ملك يهوذا) » . كما هجم الملك المصرى زارح (الكوشى الأصل) على مملكة يهوذا بعـد ذلك . بجيش يضم مليون جندى ، ٣٠٠ مركبة حديدية كما تقول التوراه (٢ اخبار الأيام ١٤ : ٩) ، وقد دون هذا الملك أخباره هذه على معبد الكرنك ، ثم صعد بعد ذلك فرعون المسمى نخاو (نحو ٦١٠ ق . م) واستولى على أورشليم ، بعد أن قتل الملك يوشيا ، وقبض عـلى ابنه ، وأتى به الى مصر حيث مات (٢ ملوك ٢٣ : ٣٠) . وولى أبنه يهوياقيم على اورشليم (ولكنه خضع لحكم البابليين) .

وكانت جحافل الأشوريين قد أزالت المملكة الشمالية منـذ سنة ٧٢٢ ق . م وهكذا كانت نهاية الدولة اليهوديه ومجتمعها الدينى على أيدى اهل الرافدين ووادى النيل (٣٦) .

الفصل الخامس

القدس فى العهدين الأشورى والبابلى

جاء الملك شلمناصر الاشورى سنة ٧٢٢ ق . م ، وسبى اليهود الساكنين فى المملكة الشمالية مع ملكهم هوشع إلى مدينة نينوى (بشمال العراق) ، وقام هذا الملك بارسال عدد كبير من الاشوريين للإقامة فى شمال فلسطين ، وتعلم بعضهم الشريعة اليهودية وسموا بالسامريين ، لكنهم خلطوا بين دياناتهم الوثنية وبين اليهودية ، وهكذا خضعت المملكة الشمالية الإسرائيلية للحكم الاشورى .

أما بالنسبة للملكة الجنوبية فقـد حـاصر الأشوريين عاصمتها أورشليم بقيادة الملك سنحاريب شخصيا (٧١٣ ق . م) ، ولكنهم ارتدوا عنها لانتشار الطاعون بين صفوف الجيش ، ثم أعاد الحصار فتم له احتلالها ، ويـدل على ذلك اسطوانة سداسية الشكل موجودة بمتحف لندن ، وعليها قصة هـذا الحصار، كما رونه التوراة (٢ ملوك ١٨

: ١٣) ، وأبقى الأشوريون الملك حزقيا يحكم بإسمهم بعد أن تعهد بدفع الجزيه السنوية لهم .

وقد استرجع المصريون القدس لحكمهم كما سبقت الاشارة ، الى أن حاصرها الملك البابلى نبوخذنصر الثانى (٥٩٣ ق . م)، وقبض على يهويا قيم ملكها وكل رجاله وسباهم الى بابل ، واستولى على خزائنه ومقتنياته ، كما حمل معه كل أغشية الذهب الموجودة بالهيكل (٢ ملوك ٢٤ : ١٤) ، كما جمع أيضا كل الصناع المهرة وعددهم نحو ١٨٠٠٠ عامل ونقلهم الى العاصمة البابلية فى العراق ، ورجع إلى بلاده بعد أن عين صدقيا عم يهوياقيم حاكما من قبله . ويشرح لنا التلمود العبرى (النص الانجليزى) سبب إنهزام اليهود أمام البابليين بقوله « انه نتيجة لتعاظم شر الاسرائيليين أمام الله العلى ، ورفضهم كلمات التحذير التى قالها أرميا النبى ، الذى ترك أورشليم إلى أرض (سبط) بنيامين ، ولم تستجب صلاته . فجاء نبوخذ نصر واستولى على المدينة المقدسه وأحرق زينات الهيكل ، وأخذ محتوياته وذبح من السكان الكهنه والعلمانيين ، الصغار والكبار ، حتى الذين فى المهد ، ثم أحرق أخيراً الهيكل ، وأخذ رئيس الكهنة زكريا بن يهودية ثياب الكهنوت ، والقى بها فى النار ، ، وقال انه مادام قد احترق الهيكل ، فلم يعد هناك حاجه بعد إلى كهنة . ثم القى بنفسه فى النار ، وحذا حذوه جميع الكهنة الموجودين ، أما بقية الشعب فأقتادهم الجند مقيدين بالسلاسل إلى بابل» (٢٧) . ونعتقد أن هذا النص لايحتاج إلى تعليق .

وقد عاود البابليون حصار أورشليم سنة ٥٩٠ ق .م لمدة تسعة أشهر (والمعتقد أنها مدة مبالغ فيها) ، وبنوا حولها التحصينات ، ويروى لنا سفر الملوك الثانى (ص ٢٥) أن اليهود عانوا من نفاذ الطعام فأشتد الجوع بالمدينة ، ولهذا حاولوا الهرب ليلا مع ملكهم صدقيا (الذى سبق أن عينه البابليون) فقبض عليه البابليون وساقوه إلى عاصمتهم وبعد عشرة سنوات أخرى عاود البابليون حصار أورشليم لثالث مرة (٢ ملوك ٢٥ : ٨) وأحرقوها بكل بيوتها ، وهدموا سورها وسبوا عددا كبيرا من اليهود إلى بابل ، ولم يتركوا فيها سوى المساكين وبعض الفلاحين و عين لها الملك البابلى حاكما أسمه جدليا ، فأستقر فى بلدة المصفاة ، مما يدل على عدم صلاحية أورشليم للسكنى كعاصمة بعد أن خربها البابليون (٢٨) .

ويقرر جميع المؤرخين أنه بعد السبى البابلى انتهى الوجود اليهودى فى فلسطين نهائيا (٢٩) . ولم يتمكن اليهود من استعادة كيانهم السياسى ، بل عاشوا مجرد طائفة دينية

يرأسها كاهن — كما سبقت الاشارة — حتى عهد المكابيين (١٦٧ ق . م) . ومما تجدر ملاحظته فى — ختام هذ الفصل والتنويه عنه — أن الباحث فى تاريخ الشرق الاوسط يجد أنه على طول ماعاش الاسرائيليون فى فلسطين ، وما خاضوا من حروب مع جيرانهم العرب وغيرهم ، لم نجد لهم ذكراً فى كتب المؤرخين المعاصرين لهم — كبقيه الشعوب الأخرى — بما يدل على أن الشعب اليهودى لم يكن سوى شعب قبلى ، حروبه عبارة عن غزوات قبلية ضئيلة ، يمكن أن تكون أشبه بتلك التى كانت تحدث فى الجزيرة العربية فى زمن الجاهلية . بل ان التوراة نفسها لم تذكر أن اليهود قد سيطروا على فلسطين كلها فى أى يوم من الايام ، على الرغم من صغر مساحتها . بل أن سليمان فى كل مجده الذى أضفته عليه الاساطير العبرية الخيالية لم يكن فى الواقع الا ملكا صغيراً يحكم مدينة صغيرة، وأن ما أضفته الاساطير عليه من مجد وجاه ليس الا تقديراً نسبيا يقاس بمن حوله من الملوك والامراء القبليين فى فلسطين وما حولها ، كما أن هيكله — اذا قيس بأبعاده التى جاءت فى سفر الملوك — لا يعدو ان يكون بحجم كنيسة صغيره من كنائس الضواحى فى المدن الاوربية . على حد تعبير المؤرخ الكبير ويلز Wells الذى يضيف بأنه لا يقارن بضخامة المعابد البابلية او المصرية القديمة (٣٠) .

وقد أكد العالم الأثرى المشهور برستد Breasted أن سليمان الحكيم لم يكن سوى واليا من الولاة الخاضعين الحكم المصرى (٣١) ، وبذلك نخلص إلى أن القدس لم تخضع فى الواقع للحكم اليهودى إلا بضع سنوات قلائل . وسيتم إثبات ذلك فيما بعد . فور الإنتهاء من العرض التاريخى .

الفصل السادس

القدس تحت الحكم الفارسى

تغلب الفرس على البابليين بفضل براعة الجواسيس اليهود . وقد حفظ كورش الفارسى الجميل لهم . إذ أنه بعدما فتح أورشليم (٥٢٦ ق.م.) أمر بعودتهم اليها بعد أن قضوا فى السبى ٧٠ عاما . وقال ابن العبرى أن الملك الفارسى أحشويرش . الذى تزوج من الفتاة اليهودية الجميلة إستير — هو الذى أعاد اليهود الى القدس بناء على رغبتها (نحو ٥٣٨ ق.م.) (٣٢) . فعاد القليل من المسبيين . لان أكثرهم ارتد فى الاسر عن الديانة اليهودية وعبدوا الآلهة الوثنية الاشورية والبابليه وفضل بعضهم البقاء بجوار عاصمة المملكة الفارسية

الجديدة . طمعا فى الثراء المادى . فرجع الفوج الاول بقيادة زربابل بن شالتئيل . الذى أخذ فى إعادة بناء الهيكل حتى أتمه سنة ٥١٥ ق.م :

وعلى مدى السبعين عاما التالية ظلت المدينة المدينة المقدسة فى حالة يرثى لها . وبعد ذلك قام نحميا ببناء أجزاء السور المتهدمة بناء على أمر الملك أرتحتشا الاول (٣٣) . واتمه فى ٥٢ يوما فقط (نحميا ٣ : ١٢) . وتولى ادارة القدس وأعطى له الفرس سلطة واسعة لانه كان مواليا لهم . واقيمت بيوت للعظماء وبرج للقصر العالى . وفى ذلك الوقت كانت أورشليم شبه خالية من السكان فتقرر تجميع نحو ١٠/١ سكان تلال اليهودية المحيطة بها للسكنى فيها . وزاد الزواج المختلط كما سادت اللغة الارامية . وأصبحت لغة الأعمال والحكومة (٣٤) نمت المدينة بسرعة خلال القرنين التاليين : على الرغم مما عانت من تدبير على يد الفرس ، الذين حكموها بولاة فرس كانوا يرسلونهم اليها تباعا . ولم يكن همهم سوى جباية الضرائب وكانت حالة الأمن فيها تتوقف على مدى سير الجباية (٣٥) .

وظلت القدس فى يد الفرس . حتى قهرهم الاسكندر الاكبر المقدونى . وكان أشهر ملوكهم ، الذين خضعت لهم المدينة المقدسة كورش (٥٨٨ - ٥٢٩ ق.م.) . قمبيز (٥٢٩ - ٥٢١ ق.م.) . داريوس (٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م) . أرتحتشا (٤٨٦ - ٤٦٥ ق. م.) . ومنذ ذلك الوقت تدفق الكثير من العرب على الأرض المقدسة وعلى القدس كما ذكر المؤرخون .

الفصل السابع

القدس فى العهد اليونانى

جاء الإسكندر الاكبر الى المدينة المقدسة سنة ٣٣٤ ق.م. ومما قاله المؤرخ بورتر فى تلك المناسبة ، ان الإسكندر صعد الى أورشليم ودخلها بوقار . ولم يضر احداً من اهلها ، ولما علم اليهود بقدومه خافوا منه خوفا شديداً . فلبس يادوع الكاهن الاعظم الملابس الكهنوتية وذهب الى ربوة عالية (على جبل سكوبس) تشرف على المدينة من الشمال لملاقاة المقدونى فعانقه وقاده الى الهيكل . حيث اعلمه بدمار المملكة الفارسية على يديه (طبقا لما جاء فى سفر دانيال) فسمح له الاسكندر بإقامة الشعائر الدينية . (٣٦) . وسمح لليهود باستخدام قوانينهم الخاصة . وانضم الى جيشه الزاحف الى مصر الكثير من اليهود طلبا

للرزق ، واستقروا فى مدينة الاسكندرية الجديدة التى شيـدها الفاتح اليونانى على إسمه (٣٣٢ ق.م.) .

وبعد موته (٣٢٣ ق.م.) انقسمت امبراطوريته بين قواده فكانت الشام (ومن ضمنها فلسطين) من نصيب قائده سيلوقس Seleucus . الذى أسس لنفسه عاصمة جديدة سماها أنطاكية . وظلت الدولة السلوقية تحكم الشام حتى العصور الوسطى . ولكن اقتطعت منها فلسطين سنة ٣١٢ ق.م بمعرفة بطليموس الأول فى مصر ؛ وظلت فلسطين نحـو قرن آخر تحت حكم البطالمة الأغريق فى مصر من الناحية السياسية . ولكن كان لرؤساء الكهنة اليهود نفوذهم الكبير فى كافة النواحى الادارية والدينية والمالية .وفى هذه السنوات بدأت الحضارة الوثنية الإغريقية تتغلغل بين اليهود .

ولما قام نزاع بين بطليموس الخامس وأنطيوخس الكبير والى سوريا .انتصر الأخير واستولى على كل فلسطين سنة ١٩٨ ق.م ثم صارت بعده لخليفته أنطيوخس الذى سمـاه اليهود ابيفانوس (أى المجنون) . لكثرة القسوة التى صنعها معهم . وقام بعزل احبارهم وبيع الرئاسة الدينيـة لمن يدفع اكثر. ولما اشاع اليهود خبر موته - وكان خارج المدينة المقدسة - إغتاظ جداً منهم وتوجه الى اورشليم فورا وقتل ٤٠,٠٠٠ يهودى فى الاثة ايام ، وباع مثلهم كعبيد وسلب الهيكل (١٧٠ ق.م) واعلن عليهم الاحكام العرفية . ثم أمر بالغاء الدين اليهودى وعدم ممارسة طقوسه إطلاقا . وأكره اليهود على عبادة آلهة اليونان (٣٧) . ووضع لهم فى الهيكل تمثالا لزفس . وامر بذبح الخنزير (وهو حيوان نجس فى نظر اليهود) على مذبحهم . واحرق اوراق الكهنة ومنع ختان الاطفال طبقاً للشريعة اليهودية التى تحتم ذلك . ومن يضبط من الاطفـال مختوناً يقتل مع امـه . وانتهك حرمة يوم السبت . الذى لم يكن مسموحا لليهود بالعمل فيه . وكان دليله فى اعماله هذه منلاوس رئيس الكهنة اليهودى . الذى خان قـومه من اجل التودد الى هـذا الوالى . من اجل الوصول الى المنصب الدينى . ولم يتمكن اليهود من مقاومته لقلة عـددهم فى ذلك الوقت ولوجود حامية بالقدس تضم عشرين الف جندى سلوق . وقد اقام الوالى الاخير ضاحية جديدة بالمدينة المقدسة سماها اكرا Accra (او اكروبوليس) . شيد فيها مذبحاً للاله زيوس (جوبتر) . بعد ان قام بتدمير جزء من الهيكل لهذا الغرض . وقام ضباط انطيوخس بتحصين مدينة داود (فى الجنوب) بحائط قوى لفصلها عن الضاحية الجديدة وعن تل الهيكل .

ونتيجة للاضطهادات الشديدة التى عاناها اليهود فى هذه الفـترة هجروا المدينة المقدسة ، وتولى بعده ابنه انطيوخس الخامس (١٦٤ ق.م) ولما كان صغيرا فقد تولى ليسياس الوصاية

على العرش ، فثار عليه اليهود مما اضطره الى إغراق عددا كبيراً منهم فى البحر ، وحاصروا أورشليم لكنه إرتد عنها لقيام ثوره من خصمه ديمتريوس الأول والى سوريا الذى استولى على القدس وعين من قبله والياً عليها اسمه بكيديس ، وقامت بين هذا الوالى وبين السياس حروب سالت فيها دماء كثيرة ، وخلف لسياس الوالى نكانور الذى قتل فى حروب جديدة أثناء ثورة المكابيين .

وفى هذا الوقت سادت الآداب واللغة اليونانيه فى الأرض المقدسة ، وكثر عدد اليونانيين بها ، وامتزجوا بالسكان الاصليين وناسبوهم ونقلوا لهم حضارتهم الاغريقية ودياناتهم الوثنية .

ثورة المكابيين :

قام يهوذا المكابى بثورة ضد الحكم الاغريقى بدأها بالفتك برسول جاء يخبره بأن يأمر اليهود بعبادة الاوثان ، فقام بمساعدة بعض اليهود المتحمسين بالاستيلاء على أورشليم سنة ١٦٨ ق. م ، فاغتاظ أنطيوخس وجهز جيشا للفتك بهم ، لكنه مات فجأة فى العام التالى ، وبذلك أمكن ليوناثان - شقيق يهوذا المكابى - الإستيلاء على الوظيفة الدينية والسياسية . وأصبح النسل المكابى يحكم المدينة المقدسة حتى سنة ٦٣ ق. م. ويذكر لنا كتبة أسفار المكابيين حروباً طويلة جداً سادت طوال عهدهم (٣٨) ، وتدل على مدى الفوضى والمشاغبات واضطراب الأمن والانحلال الاجتماعى والدينى . فقد قام المكابى أرسطو بولس الأول بن هركانوس بسجن أمه وأماتها جوعاً ، وقتل أحد إخوته (٣٩) المسمى انتيكانس خشية أن ينازعه الملك ، وذاقت أورشليم على عهد أخيه مرارة الفوضى والحروب الاهلية ، وتنازع الاخوان أرسطو بولس الثانى وهركانوس الثانى ، فراح كل منهما ينشد مساعدة الدول المجاورة فأستنجد هركانوس بالملك العربى اريطاس (الحارث) ، وتوجه ارسطو بولس نحو روما .

وكثرت الاحزاب فى ذلك العهد . ودب الفساد بين اليهود رغم أن زعماءهم هم الذين كانوا يحكمونهم . فذهب عدد كبير منهم يطلبون من بومبى الرومانى أن يريحهم من شر الاثنين ، ومن جشع الحزبين المتنافسين (الفريسيين والصدوقيين) .

وبدأت الدولة السلوقية فى الإنهيار عندما بدأت جحافل الرومان تدق أسوار المدينة المقدسة منتهزة هذه الفوضى ، ودخـل بومبى أورشليم سنة ٦٣ ق. م. وكل ما قام به المكابيون من أعمال خلال مدة حكمهم هو تجديد الجزء الذى دمره أنطيوخس من الهيكل (١ مكابيين ٤ : ٦٠) وأصبحت قلعة صهيون خارج فى المكان الذى لم يكن بجواره سور كما تم بناء حائط مرتفع يفصل الحصن عن السوق ، وشيدوا أيضا قصراً فى غربى الهيكل على أرض مرتفعة ، ربما كانت على حافة التل الجنوبية غربيه ، وهو الذى أصبح فيما بعد ملكا للهيرودسيين ، ثم أخذه الملك أغريباس الثانى كما يقول يوسيفوس (٤٠).

+ + + +

الفصل الثامن

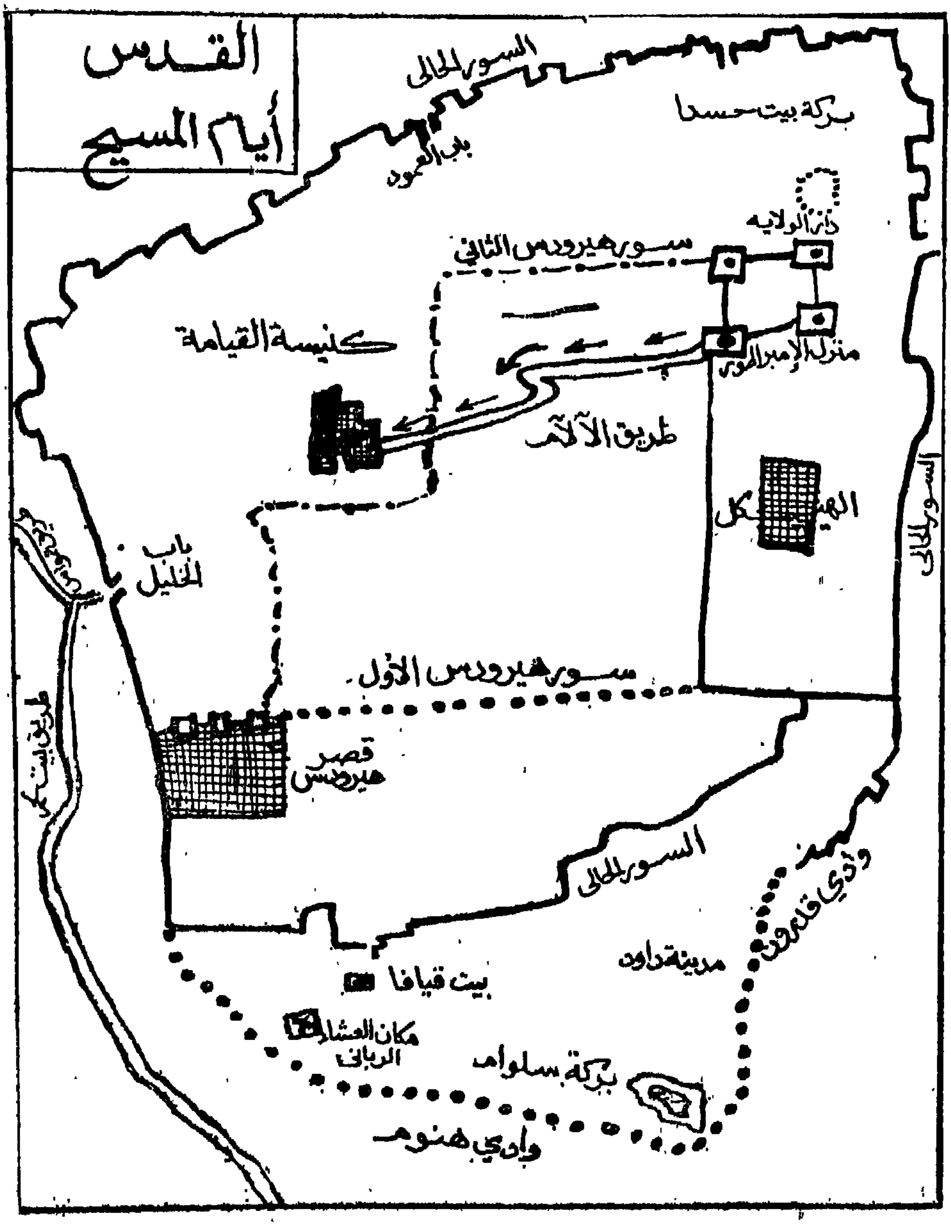
القدس فى العهدين الرومانى والمسيحى

بعد أن اكتسح بومبى فلسطين سنة ٦٣ ق.م. ، عين على القدس أول الولاة الخاضعين لروما وهو المسمى اسكورس ، وقد ثار عليه اليهود ، فألغى مجمعهم وهدم السور ، وفرض عليهم تقديم ذبيحة وثنية أمام الهيكل ففعلوا مكرهين . ثم عين يوليوس قيصر والياً آخر هو أنتيباتر الادومى (٤١) ، ثم تلاه ابنه فصايل . ثم استطاع هيرودس الاول (المدعو الكبير) أن يقنع روما بتنصيبه واليا سنة ٣٧ ق.م. ، وكان أيضا أدومى الاصل ، وهو مؤسس الاسرة الهيرودسية الادومية فى أورشليم ، وحكم بمساعدة الجيش الرومانى لمدة ٢٣ عاما ، وفى آخر سنه من حكمه ولد المسيح (فى ٢٥ كانون أول سنة ٧٤٩ لتأسيس روما) فى مدينة بيت لحم فى جنوب القدس .

وكان هيرودس هذا صلبا فى ارادته ، يضحى بأعظم شىء لديه لنيل مآربه وتأييد حكمه . فقضى تماما على المكابيين وقتل آخر ملوكهم إنتقاما لأبيه ، وكان سفاكا للدماء ، ويقول لنا القديس متى فى إنجيله (٢ : ١٦) بأنه قتل جميع أطفال بيت لحم من ابن سنتين فما دون . بعد ان أعلمه المجوس بأن المسيح سيكون ملكا عظيما ، لأنه بذلك يتأكد من قتله مع هؤلاء الاطفال . وشيد هيرودس المسارح والحمامات الرومانية وأقام دورات للألعاب الاولمبية ، وأقام عدة أبنية على الطراز الرومانى بالقدس (١٩ ق.م) وأعاد بناء سور المدينة ، الذى بناه نحميا من قبل ، وعمل لنفسه قصراً على قمة جبل صهيون ،

وله ثلاثة أبراج كبيرة ، كما بنى قلعة كبيرة لتكون مقراً للحكم فى شمال الهيكل (وتسمى قلعة أنطونيا نسبة الى العامل الرومانى) ، ليتمكن من السيطرة على تل الهيكل فى الشرق ، كما يسيطر قصره المنيـــع على المدينة من الغرب (وهو مازال موجوداً بالقرب من بوابة يافا) . وقد كرهه اليهود لأنه ساعد على توطيد أقدام الرومان وقد حكم ٤٠ عاما .

وفى عهد ابنه أرخيلاوس إنتقلت عاصمة فلسطين إلى مدينة قيصريه المطلة على البحر



المتوسط Caesarea Maritima وهى التى بناها هيرودس ، والملاحظ ان أولاد هيرودس عجزوا عن إدارة الأرض المقدسة بسبب طبيعة اليهود العدوانية ، فعاد الرومان يرسلون الحكام ،الواحد تلو الآخر ، وزادوا من قسوتهم عليهم ، وأقاموا لليهود محكمة فى أورشليم تطبق القوانين الرومانية بدل العبرية الموسوية ، سميت بمحكمة العدالة Praetarium .

وفى عهد الوالى بيلاطس البنطى بدأت خدمة القديس يوحنا المعمدان بن زكريا (٢٩م) كما بدأ المسيح خدمته وهو فى سن الثلاثين (لوقا ٣ : ٢٣) وتم صلب المسيح بعد ثلاث سنوات وأربعة أشهر فقط ، بعد ان أعلن خراب أورشليم وتشتيت اليهود فى العالم كله جزاء ما اقترفوا من سيئات فى حقه ، ورفضهم قبول دعوته (لوقا ٢١ : ٤٣) وهو ما تحقق فعلا سنة ٧٠ م ، كما سيجىء بعد قليل .

وقد وصف الوالى الأخير اليهود فى عصره « بأنهم يضحون بكل غال ورخيص فى سبيل مصلحتهم » ووصف أورشليم بأنها « عش الدسائس والفتن » وقال « إن شوارعها ضيقة وموارد مياهها قليلة وأمراضها منتشرة وسكانها ... و... يعانون من شظف العيش [٤٢] » .

ويرى الكاتب ماركورك Marmorosch أن شمس اليهود قد غربت لآخر مرة فى عهد الملك أغريباس الأول (٣٧ - ٤٤ م) حفيد هيرودس الكبير [٤٣] ، الذى شدد قبضته على فلسين وعلى اليهود الموجودين فيها ، وجلب عددا كبيرا من الأجانب ، الذين بنى لهم مدينة كبيرة من الفيلات ذات الحدائق على تل بزيتا شمال القدس (فى موقع أحياء باب حطة والسعديه وباب العمود حاليا) . كما قام ببناء السور الشمالى الثالث (أنظر الخريطه) ووقعت الحرب بينه وبين الحارث الملك العربى فى شرق الأردن ، انتصر فيها الأخير فغضبت روما على أغريباس هذا ونفته ثم ولت كسبيوس ، الذى فى عهده عمت الفوضى وحدثت خلافات بين السكان العرب واليهود ، وانحاز الوالى الرومانى إلى جانب العرب بعدما أيقن أنهم على حق ، فشكاه اليهود للامبراطور الرومانى ، فعزله وولى مكانه طيباريوس اسكندر (٤٦ م) ، وهو من اليهود المرتدين وكان أول عمله قتله إثنين من زعماء اليهود .

وفى زمن خلفه فنتديوس حدثت فتنة بسبب بضع كلمات فاه بها جندى رومانى ، فأمر الوالى جنده بالاستعداد لأى طارىء ، فظن اليهود أن الجند سيهاجمونهم ، فهربوا من بيوتهم وداس بعضهم على بعض فى شوارع القدس الضيقة ، فمات منهم كثيرون فى

ذلك اليوم . ولما تولى كلوديوس وجد الفوضى منتشرة فى المدينة المقدسة وفشل فى فرض النظـــام .

ومن الجدير بالذكر ان المستوى الديني انحط جدا فى ذلك الوقت . فدب الخصام الشديد بين حاخامات اليهـــود ، وقام هؤلاء الحاخامات بنهب الحقول وسلب الفلاحين الفقراء ، ولم يبالوا بموتهم جوعاً .

وبعد ذلك تولى فستوس (٦٠ م) وكان حازما فسيطر على اليهود وأخمد ثورتهم ، واصدر الامبراطور نيرون بضرورة اعتقال رئيس الكهنة اليهودى وأمين خزائن الهيكل وعددا من الكهنة ، فتم القبض عليهم فعلا ، وأرسلهم الى روما فخاف اليهود وهدأت الفتن ، ولكنه للأسف مات بعد عام واحد ، وسرعان ماظهرت القلاقل من جديد فى عهد خلفه ألبينوس (٦٤ م) ، الذى تم فى عهده ترميم الهيكل فترتب على ذلك تعطيل ١٨٫٠٠٠ عامل ، وامتلأت شوارع المدينة المقدسة بهؤلاء العاطلين ، وانضم لهم اتباع الحاخامات المعزولين ورجال العصابات ، مما أضطر الوالى إلى أن يستخدم أشد أنواع العنف ضدهم ، حتى ان يوسيفوس يقـــول عنه « بأنه ليس ثمة نوع من أنواع الذنوب إلا وكان له دخل فيه » . ثم تلاه الوالى جاثيوس ، الذى انتشرت فى أيامه حوادث شغب واضطرابات دامية كثيرة ، فقتل من اليهود عشرين ألفا .

وإزاء هذا الوضع المتدهور ـ الذى ظل سنوات طويلة ـ أصدر نيرون أوامره الى قائده فلافيوس فسباسيانوس (٦٧ م) بالتحرك الى فلسطين على رأس جيش جرار من ٦٠٫٠٠٠ جندى للقضاء نهائيا على الاضطرابات اليهوديه فى فلسطين .

حصار القدس وحرقها سنة ٧٠ م . :

كان من نتيجة رفض اليهـــود لتعاليم السيد المسيح السامية ، واضطهادهم إياه وتلقيبه بكل مستهجن ، وعدم قبول رسالته ـ ان قال لهم جهراً « هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا » (متى ٢٤ ، لوقا ٢١) . إلا ان حوارييه الذين كانوا من اليهود عز عليهم هذا القول وأمعنوا فى عدم إيمانهم بكلامه بأن أروه على انفراد أبنيته المنيعة ، التى بلغ طول بعض أحجارها ٤٠ ذراعا ، واستغرق البناء والترميم فيه آخر مرة ٤٦ عاما ، حتى يشهد

بنفسه تصميماته القويه ، لكنه أصر على تصريحاته ، وزاد عليها قوله « الحق أقول لكم أنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض » ، وقد تمت هذه الكلمات ـ كما قالها لهم المسيح بالضبط ـ أى بعد جيل واحد من صعوده إلى السماء . إذ أنه عندما كان الملك أغريباس فى غيبة فى روما ثار اليهود على نائبه القائد الرومانى فيلكس ، ولما سمع نيرون تشدق بالسلام وأرسل لهم رسلا لالتزام الهدوء ، لكن اليهود ـ فى كبرياء وصلافة ـ رفضوا هدية العاهل الرومانى التى قدمها لهم رسوله فى العيد ، وقاموا بقتل عدد من الجند الرومان ، وتمادوا أكثر فى العصيان والتمرد ، فأرسل لهم نيرون قائده المشهور فسباسيانوس ، الذى نزل على شاطىء فلسطين واستولى على العاصمة قيصرية ، ولكنه قبل زحفه على القدس علم بانتحار الطاغية نيرون فأسرع إلى روما لتولى زمام الامبراطورية ، وترك نصف جيشه تحت قيادة ابنه القائد تيطس . . . فبدأ هذا أيضا بالسلام ، فنصح اليهود بأن يخلدوا إلى الهدوء ، لكنهم تمادوا فى كبريائهم ، فأضطر الى حصار المدينة المقدسة ، وبدأ برفع علم الرومانى على جبل الزيتون ، فتذكر المسيحيون هذه العلامه التى أشار اليها السيد المسيح بقوله « متى رأيتم رجسة الخراب ، فليهرب الذين فى اليهوديه إلى الجبال » (متى ٢٤ : ١٥) .

فأسرع المسيحيون وجمعوا شملهم وذهبوا إلى مدينة بيلا Pella فى شرق الأردن .
وقد حدث لليهود أهوال فظيعة أثناء حصار تيطس للقدس وبعدما دخلها ، ورد وصفها فى كتابات المؤرخ اليهودى يوسيفوس ـ الذى كان شاهدا للحوادث بصفته قائداً لاحدى جبهات القتال ـ فيقول « إن الجوع اشتد اثناء الحصار لاستيلاء الجند اليهود على كل الغلال والأطعمة ، حتى الموجود منها بالمنازل ، ولما نفذ الطعام تماما إضطر بعضهم إلى تناول الجيف وجلود البهائم الجافة ، وأكلوا الفئران والكلاب والحشرات، ومات الكثير من سكان القدس من الجوع . بلا دفن فتعفنت جثثهم فى الشوارع، وانتشرت الأمراض، ويقول يوسيفوس أيضا إن إمرأة يهوديه ذبحت طفلها وأكلته » . ثم سرعان ما تمكن الرومان من دخول المدينة عن طريق عمل ثغره فى سورها ، ودكوا حصونها بمن فيها كما هدموا قصورها ، وكان اليهود قد طلوا قصر سليمان من الداخل بالقار والكبريت ليشتعل عندما يصل الرومان الى قمته . وتظاهر بعض اليهود بالهرب اليه فتبعهم عدد من العساكر الرومان ، وخرج العصاه من باب سرى ، بعد أن أغلقوه وأشعلوا النار فى القصر ، فأحترق من بداخله من الرومان ، فانتقم زملاؤهم بحرق الهيكل .

وقد ورد فى التلمود « أن جنديا حرث أساس الهيكل بمحراث ، فاستولى اليأس على

اليهود ، فأطلقوا النار فى كل المدينة وقصورها ، وذكر يوسيفوس أن الرومان قتلوا مليون يهودى فى هذه الثورات وأسروا منهم ٩٩٠٠٠ ، كما قال أيضاً أن عدد الموتى الذين أخرجوا من أبواب القدس نفسها بلغوا نحو ٦٠٠٠٠٠ يهودى ، غير من ألقوا فى الشوارع والآبار أو طرحوا خارج الأسوار . وقام تيطس بارسال ٣٠٠٠٠ يهودى من حسان الصورة إلى روما للاحتفال بوصوله ظافراً (٤٤)، ومن بقى من اليهود بعد ذلك تشتت فى أنحاء العالم .

وبذلك خلت منهم الأرض المقدسة ، وتحققت كلمات المسيح عن خراب الهيكل ومن تشتيتهم « يقعون بحد السيف ، ويسبون إلى جميع الأمم » (لوقا ٢١ : ٢٤) ، ونبوة أرميا النبي « الذين إلى الموت فالى الموت ، والذين للسيف فإلى السيف ، والذين للجوع فالى الجوع ، والذين للسبى فالى السبى » . وضم تيطس فلسطين الى الشام واصبحت تابعة لولاية سوريا وسماها فلسطين السورية Syria Palestina ، وحظر على اليهود دخول القدس فتحولت الى مدينة رومانية صرفه ، شيدت فيها المعابد الوثنية التى ضمت تماثيل الآلهة باكوس وفينوس وجوبتر .

ومن هذا الوقت خلت القدس من اليهود ومن أى آثار يهوديه كما شهد بذلك يوسيفوس نفسه (٤٥).

عصيان باركوكبا « ١٣٢ - ١٣٥ م » :

بذل اليهود محاولتين لاسترداد أورشليم واعادة بناء الهيكل مرة أخرى ، كانت الاولى بزعامة رجل يهودى يسمى سمعان باركوكبا (أى ابن النجم) ، وزعم أنه مسيح اسرائيل المنتظر الذى سيخلصهم من نير الرومان ، فكتب لليهود يجمعهم من الشتات فأقبل بعضهم عندو عابدعوته ، وهاجت فيهم النعرة الدينية كما يقول الكاتب اليهودى إيلى ليفى (٤٦) ، واعلنوا العصيان على الرومان ، وتمكن باركوكبا من الاستيلاء على القدس ، فجرد عليه الامبراطور هدريان جيشاً قويا ـ هزمه هزيمة منكرة وقضى على ثورته ، وهدم المدينة المقدسة مرة أخرى (١٣٥ م) ، واقام معبداً لجوبتر محل الهيكل اليهودى ، ووضع تمثالا له هناك ، وغير اسم اورشليم الى إيليا كابتولينا Aelia Captolina ، وأصدر

أوامره بعدم دخول اليهود إليها اطلاقا ، وأي واحد يدخلها منهم يحكم عليه بالاعدام ، ولم يسمح لهم حتى برؤية أطلالها إلا مرة واحدة كل عام دون أن يدخلوها ، بل يلقون نظرة من جبل الزيتون ، وساق أعداداً ضخمة منهم عبيداً الى روما (٤٧) ، وفي هذا العهد تم إعادة بناء الأسوار وحفر الينابيع القديمة ، ولكنه ترك شطراً من المدينة ـ وهو الواقع جنوب جبل الموريا ـ خارج الأسوار كما يبدو اليوم .

وتضاءلت أهميـة أورشليم حتى اضحت قرية صغيرة تابعة لوالي قيصريه إداريا وسياسيا واقتصاديا .

أما المحاولة الثانية لبناء الهيكل ـ فكانت في عهد الامبراطور يوليانس (٣٦٠ - ٣٦٣م) الذي بعدما جحد المسيحيه وارتد للوثنية . أراد أن يتحدى أقوال الإنجيـل بخصوص خراب الهيكل الى الأبد ، فدعا بعض اليهـود من الشتات وأمرهم ببناء الهيكل على نفقة الخزانة الرومانيه فقاموا بحفر الأساسات ونقضوا جميع أحجار الهيكل القديم فعلا . ولما أتوا على آخرها ، وأعدوا أحجاراً جديدة للبناء ـ أعلن الفرس الحرب على روما ـ فخرج يوليانس على رأس جيش روماني لمقاتلتهم ، فأصابه سهم وهو على جواده ، على ضفاف نهر الفرات بالعراق فسقط ميتا ، وورثه يوفيان المسيحي ، فاضطرب اليهود وملأ الرعب قلوبهم ، وعادوا من حيث أتوا ، ولم تقم لهم قائمة أخرى بعد ذلك . ويذكر الكثير من المؤرخين أن البنائين لم يستطيعوا بناء الهيكل لخروج لهيب من باطن الارض أحرق عدداً من العمال، غير أن العمال عادوا للعمل من جديد فعادت هذه الظاهرة من جديد ، ويعزو المؤرخ ديورانت W. Durant سببها إلى انفجار بعض الغازات الطبيعية ، كما توقف العمال بعدما علموا بموت يوليانس .

أما المؤرخ اليهودي إميان (القرن ٥ م) فقد ذكر أنه لما انتهى العمال من رفع الحجارة من الأساس القديم حدثت زلزلة عظيمة ملأت الحفر ترابا وقتلت بعض العمال وأصابت الحجارة التي عزموا وضعها في الأساس بقية العمال ، فكفوا عن البناء ، وقد طابق هذا الرأي ماجاء بكتابات القديسين غريغوريوس ويوحنا ذهبي الفم (٤٨) .

القدس في عهد الامبراطور قسطنطين (٢٧٤ - ٣٣٧ م) :

أصدر الامبراطور قسطنطين مرسوم ميلان المشهور Edict of Milan سنة ٣١٣ م .

باعتبــار المسيحية ديانة شرعية Religio Licita فى الامبراطورية الرومانية الشرقية ، وقامت أمه الملكة هيلانه بالذهاب للأراضى المقدسة سنة ٣٢٦ ، وباشرت بنفسها عملية البحث عن خشبة صليب المسيح ، حتى وجدتها ، وقامت بنهضة عمرانيـة دينية ، فشيدت فى القدس الكنائس فوق المغارة وفوق القبر المقدس والجلجثة (أنظر الباب الثالث فى وصف كنيسة القيامة) سنة ٣٣٠ م ، وكان الملك هدريان قد أمر بطمر القبر المقدس وتل الجلجثة (الذى صلب عليه المسيح فى غرب القدس) بالتراب والقاذورات ، حتى لايبقى معروفاً لدى الزوار المسيحيين ، وقام اليهود بهذا العمل الشرير فى محاولة منهم لمحو آثار المسيح ، فأزيلت وشيدت عليها المقدسات المسيحية .

وقد تركت الملكة هيــلانه أموالا طائلة لأسقف بيت المقدس لبناء كنائس أخرى فى جميع الأماكن المقدسة ، ولما تم بنــاء كنيسة القيامة دعا الملك قسطنطين الانبا أثناسيوس الرسولى البابا السكندرى العشرين، وسائر بطاركة الكراسى الرسولية الموجودة آنذاك ليقوموا بتدشين هذه الكنائس ، التى أصبحت مزاراً مقدساً لجميــع المسيحيين من مشارق الارض ومغاربها ، وزاد عدد المسيحيين العــرب والاجانب فى الاراضى المقدسة ، بينما إضمحل عدد اليهود الذين ظلوا يضطهدون المسيحيين العرب ، ولا عجب فهم الذين تصدوا للمسيح والانبياء محاولين القضاء عليهم ، وسلكوا فى اشباع روحهم العدائية ثلاثة سبل ، تتمشى مع الروح العدائيـة ، فحين كانوا يملكون القــوة سلكوا السبيل الانتقامى ، فقتلوا القديس اسطفانوس أول شهداء المسيحية ، وألقوا بالرسول يعقوب أول أسقف مسيحى على أورشليم من فوق الهيكل وضربه أحدهم بعصا غليظة حتى مات شهيداً ، وحلت مصائب كثيرة بالمسيحيين أثناء عصيان باركوكبا السابق الاشارة اليه ، إذا قام هــذا السفاح بقتل جميع المسيحيين ، الذين رفضوا الاشتراك معه فى تمرده . ولما فقد اليهود السلطان استخدموا طريق الوشاية ، ففى عهد الامبراطور دومتيان (٨١ - ٩٦ م) أطلقوا إشاعة بأن للمسيحيين أطماعا سياسيا ، ولما تأكد الامبراطور من كذبهم عاملهم حسب نياتهم الفاسدة [٤٩].

أما الطريق الثالث فكان عن طريق المقاومة الفكرية ، فقد ظلوا عــلى كراهيتهم للمسيحيين ، بعدما حطمهم الرومان وشتتوهم فى العالم كله ، فاستمروا فى افتراءاتهم عن طريق التعليم فى المدارس اليهودية ، التى شوهت التعاليم المسيحية ، ووجهت المطاعن اليها ومن أمثلتها مدارس اليهود فى طبرية والعراق ، التى قامت بتغذية الروح العدائية ضد المسيحية [٥٠]، ويبدوا ذلك أيضاً من تعاليم التلمود [٥١] التى هاجمت المسيح وأمه القديسة

مريم ، وقيل أن هيلانه خربت مكان الهيكل وجعلته مطرحاً لقمامات المدينـــة ، عناداً لليهود على مافعلوا بمكان الصلب والقبر المقـــدس (٥٢)، ومع ذلك فقد سمح الامبراطور المسيحى قسطنطين بعودة عدد من اليهـــود للأرض المقدسة ، لكنهم عانوا من ظلم المسيحيين من الامبراطورين ثيؤدرسيوس الأول والثـــانى ، فألغى أحدهما الحاخامية اليهـــوديه (٤٢٥ م) .

وبدأت الكنائس اليونانية تحل محل المعابد اليهوديه فهاجر اليهود الموجودين فى ذلك الوقت بفلسطين إلى فارس وبلاد العرب ومصر (٥٣) ، ولم يستطيعوا أن يضعوا أقدامهم فى القدس مدة طويلة ، وقام الامبراطور ثيوذوسيوس الثانى ببناء عدة كنائس وأقام أديرة للرهبان والراهبات،وعاشت زوجته أفدوكسيا متطوعه فى المدينة المقدسة للاشراف بنفسها على هذا العمل (من ٤٤٠ - ٤٦٠ م) وجددت السور القديم فى الجنوب ، وبنى الامبراطور جستنيان الأول (٥٢٧ م) داراً للحجاج ومستشفى فى وسط المدينة ، جنوب القبر المقدس ، وتم تعيين بطريرك لاورشليم يخضع له كل أساقفة فلسطين (٥٤) .

•••••

الفصل التاسع

عودة القدس للحكم الفارسى

إستطاع الفرس بقيادة كسرى الثانى أن يستولوا على المدينـــة المقدسة سنة ٦١٤ م ، ودمروا معظم المبـــانى المسيحية المقدسة ، وأخذوا صليب المسيح ، وقتلوا - بوقيعة اليهود - ٩٠٠٠٠ مسيحى كما دمروا مبانيهم ، وانتهز اليهود هذه الفرصة ، فقتلوا من المسيحيين أكثر مما قتـــل الفرس أنفسهم (٥٥) ، وذكر الكاتب اليهودى ايلى ليفى « أنه عندما جاء كسرى تأهب اليهود لاستقباله وطلبوا منه التعاون معه فى القتال ضد الرومان وقد قام يهودى يدعى بنيامين من مصر ومعه ٣٠٠٠٠ يهودى لينضموا للفرس ، كما جمع ابو عيسى اليهودى جيشاً آخر من اليهود بالشام والعراق للغرض نفسه (٥٦) ، وكان غرضهم هو الاستيلاء على القدس وتحويلها إلى مدينة يهودية صرفة كما كانت فى عهدى داود وسليمان » حيث يمضى هذا الكاتب فيقول عن هذه المناسبة « إن اليهود سيما أخنى

عليهم الدهر وازدرى بهم الزمان ، فإنه لا يبعدهم عن أورشليم شيء ، بل تعزيتهم بها الكوارث . فأصبحوا كلفين بها راغبين فيها » .

وأثناء القتال مع الفرس زاد عناء المسيحيين بسبب نفاذ المؤن وشعورهم بالجوع الشديد ، فاضطروا إلى أكل الجيف وجلود الحيوانات ، هذا فى الوقت الذى تودد فيه اليهود للفرس لتحقيق مآربهم وأطماعهم ، فكانوا يرشدونهم إلى مواضع الضعف فى البلاد المقدسة . وبلغ من شدة حقدهم على المسيحيين أنهم كانوا يشترون الأسرى المسيحيين من الفرس ويعذبونهم بمعرفتهم مثلما فعلوا مع البطريرك الانطاكى الملكى « أنسطاسيوس » الثانى . الذى قتلوه بصورة بشعة(٥٦)، ولعل خير وصف لهؤلاء ماجاء على لسان القديس بولس حيث قال فى رسالته الاولى إلى أهل تسالونيكى (٢ : ١٥) « إن اليهود غير مرضيين لله وأعداء لجميع الناس » .

ولكن سرعان ماتبددت أحلام اليهود ، عندما تمكن الامبراطور المسيحى « هرقل » من استعادة القدس من يد الفرس سنة ٦٢٩ م بعدما عقد صلحاً معهم ، وأعيد الأسرى المسيحيون مع كل غنائمهم ، ودخل هرقل مدينة « إيلياء » حافياً ، حاملا الصليب المقدس على كتفه من الباب الجنوبى ، وكان أول مافعله هو الانتقام فورا من اليهود جزاء مافعلوه بالمسيحيين الأبرياء إبان الغزو الفارسى ، ولكن لم تدم القدس طويلا فى يد الرومان إذ سقطت بعد قليل فى يد العرب سنة ٦٣٨ كما سيجىء فى الفصل التالى .

الفصل العاشر

الفتح العربى للقدس

فتح العرب الأرض المقدسة فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وكان على رأس جيشه « أبو عبيدة الجراح وخالد بن الوليد » . وقد بدأ الجيش العربى حصار إيلياء بخمسة وثلاثين ألفا من الجند ، ولم يشاءوا فتحها عنوة حرصاً على مركزها الدينى المعظم(٥٨)، لهذا وجه أبو عبيدة انذاراً لبطريركها المدعو «صفرونيوس Sophronius » على أساس قبول الاسلام أو دفع الجزية أو القتال ، فلم يتلق المسلمون جواباً ، مما دفع

« يزيد بن أبي سفيان » إلى أن يقترب من السور ، وكلم المحاصرين مخيرهم بين التسليم والجزية أو القتال فرفضوا الشرطين الأولين وقرروا القتال . فكتب يزيد لأبي عبيدة يخبره بما جرى ، فأرسل له نجدة من عرب بني حمير فتلقاهم الروم بالنبال . ونشبت معارك طاحنة إستمرت عشرة أيام .

ثم وصل أبو عبيدة فأستقبله الجند بالتهليل والتكبير بصوت عال . فدب الرعب في قلوب المحاصرين . ولكن رغم ذلك استمر القتـــال لمده اربعة شهور أخرى حتى حل الجوع بالمدينة لنفـاذ المؤن . ولهذا قرر البطريرك أن يسلم المدينة لأمير المؤمنين شخصيا ، فوافقهم أبو عبيدة واوقف القتـال فعلا ريثما يأتي الخليفة الذي وصل ممتطياً جملا صغيراً ، ولم يكن معه سوى عبده وسلاحه ، واستقر على جبل الزيتون ثم رحل إلى القدس ، ففتحت له المدينة ابوابها سنة ٦٣٨ م ، دون ان يتم تدمير اى شيء فيها ، وتسلم مفاتيحها من البطريرك « صفرونيوس » في حفـــل كبير ثم زار كنيسة القيامة ، وتجمع كل المصادر التاريخية الاسلاميـة والمسيحية ، على انه لما حان موعد الصلاة طلب منه البطريرك ان يؤديها حيث كان فرفض عمر . متذرعاً بألا تكون سنة لمن يجيء بعده . وحفاظا على المقدسات المسيحية . ولهذا اختار مكانا آخر إلى الجنوب من كنيسة القيامة ، على درج كنيسة القديس قسطنطين . وصلى هنـــاك ، ويوجد حاليا المسجد العمري في هذا المكان (٦٢) .

وكتب عمـــر لهذا البطريرك « العهـدة العمرية » (على رق من الجلد عرضه شبر وطوله ستة اشبار) وهي لاتزال محفوظة الى الآن بالبطريركية اليونانيـة الأرثوذكسيه بالقـدس . وفيما يلي نصها « بسم الله الرحمن الرحـــيم ـ الحمد لله الذي شرفنا بالاسلام . وأكرمنا بالإيمـان ورحمنا بنبيـه ﷺ . وهدانا من الضلال : وأنقذنا به من التهلكة ووحد قلوبنا . ونصرنا على الأعداء . وثبت أيدينا . وجعلنا أخوة متحابين . فأحمدوا الله يا عباد الله على هذه النعمة ـ أما بعد ـ فهذا عهد مني أنا عمـــر بن الخطاب ، أعطى للشيخ الوقور بطريرك الأمة الملكية صفرونيوس . على جبل الزيتـون بمقام القدس الشريف . في الاشتمال على الرعايا والقسوس والرهبان والراهبات . حيث كانوا وأين وجدوا . ان يكون عليهم الأمان لأن الذي إذا حفظ أحكام الذمه . وجب له الأمان والصون منا نحن المؤمنين . والى من يتولى بعدنا . ولتقطع عنهم أسباب جوانحهم كحسب ما قد جرى منهم من الطاعه والخضوع : وليكن الأمان عليهم . وعلى كنائسهم وديانتهم وكافة دياراتهم . التي بيدهم داخلا وخارجا . وهي القيامة وبيت لحم مولد عيسى عليه

السلام . الكنيسة الكبرى والمغارة ذات الأبواب الثلاثة قبلى وشمالى وغربى ، وبقية أجناس النصارى الموجودين هنـــاك . وهم الكرج والحبش والذين يأتون من الإفرنج والقبط والسريان والأرمن والنساطرة واليعاقبه والموارنة تابعين للبطريرك المذكور. ويكون متقدما عليهم لأنهم أعطوا من حضرة النبى الكريم والحبيب المرسل من الله وشرفوا بختم يده الكريم (*) وأمر بالنظر إليهم والأمانة عليهم . كذلك نحن المؤمنين

(*) يشير عمر بذلك إلى العهد الممنوح سابقا من النبى لرهبان دير طور سيناء ويسمى « بالعهد الشريف » وفيما يلى نصه نقلا عن خطط المقريزى - طبعة المطبعة الأميرية ببولاق ص ٥ ، ٦ « بسم الله الرحمن الرحيم - هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله الى كافة الناس أجمعين . ورسوله مبشراً ونذيرا ومؤتمنا على وديعة الله فى خلقه . لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما . كتبه لأهل ملة النصارى . ولمن تنحل دين النصرانية من مشارق الأرض ومغاربها . قريبها وبعيدها . فصيحها وعجمها معروفها ومجهولها . جعل لهم عهداً . فمن نكث العهد الذى فيه وخالفه الى غيره وتعدى ما أمره . كان لعهد الله ناكثا . ولميثاقه ناقضا . وبدينه مستهزئاً . وللعنته مستوجباً . سلطاناً كان ام غيره من المسلمين وان احتمى راهب او سائح فى جبـــل او واد او مغارة او عمران او سهل او رمل او بيعـــة (كنيسة) - فأنا اكون من ورائهم أذب عنهم من كل غيرة لهم . بنفسى واعوانى واهـــلى وملى واتباعى . لأنهم رعيتى واهل ذمتى . وانا اعزل عنهم الأذى فى المؤن . التى يحمل اهل العهد من القيام بالخراج . الا ماطابت له نفوسهم . وليس عليهم جبر ولا إكراه على شىء من ذلك . ولا يغير اسقف من اسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا حبيش من صومعته . ولا سائح من سياحته . ولا يهدم من بيوت كنائسهم وبيعهم . ولا يدخل شىء من مال كنائسهم فى بناء مساجد المسلمين . ولا فى بناء منازلهم . فمن فعل شيئا من ذلك فقد نكث عهد الله وعهد رسوله . ولا يحمل على الرهبان والاساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة ، وأنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا فى بر أو فى بحر فى الشرق أو فى الغرب والجنوب والشمال ، وهم فى ذمتى وميثاق ، وأمانى من كل مكروه ، وكذلك من يتفرد بالعبادة فى الجبال والمواضع المباركة . لايلزمهم عما يزرعونه لاخراج ولا عشر ولا يشاطرون لكونه برسم أفواههم . ولا يعاونون عند ادارك الغلة . ولا يلزمون الخروج فى حرب وقيام الجبرية ولا من أصحـــاب خراج ولا عشرا ، وذوى الأموال والعقارات والتجارات مما هو أكثر من إثنى عشر درهما بالجملة فى كل عام ، ولا يكلف أحد منهم شططاً . ولا يجادلون إلا بالتى هى أحسن . ويحفظونهم تحت جنـــاح الرحمة . يكف عنهم أذية المكروه حيثما كانوا وحيثما حلوا. وإن صارت النصرانية عند المسلمين =

تحسن إليهم ويكونون معافين من الجزية والغفر والمواجب ، ومسلمين من كافة البلايا في البر والبحور ، وفي دخولهم للقيامة وبقية زياراتهم . لا يؤخذ منهم شيء . وأما الذين يقبلون إلى الزيارة الى القيـــامة يؤدي النصراني الى البطريرك درهماً وثلثاً من الفضة (وقد ظل هذا الرسم يدخل فعلا الى جيب البطاركة الارثوذكس الى أن أصدر السلطان العثماني سليمان القانوني أوامره بتحويله الى التكية العثمانية) . وكل مؤمن أو مؤمنة يحفظ ما أمرنا به ـ سلطان كان أم والياً ـ يجـــرى حكمه في الارض ، غني ام فقير من المؤمنين والمؤمنات ، وقد أعطى لهم مرسومنا هـذا بحضور جم الصحابة الكرام عبد الله وعثمان بن عفان ، وسعد بن ابن زيد ، وعبد الرحمن بن عـوف وبقية الأخـوة الصحابة الكرام ، فليعتمد على ماشرحناه في كتابنا هذا . ويعمل به ويبقى في أيديهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والحمد لله رب العالمين . حسبنا الله ونعم الوكيل . وكل من قرأ مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه من الآن الى يوم الدين فليـكن لعهـد الله ناكثاً ولرسوله الحبيب باغضاً . »

تحرر في العشرين من شهر ربيـع الاول سنة ١٥ هجرية (= ٦٣٨م) .(٦١)

والجدير بالذكر أن المؤرخ العربي الطبري قد ذكر في تاريخه نصاً مشابهاً للنص السابق مضافاً اليه تحفظاً هاماً من البطريرك بضرورة ابعاد اليهود عن القـدس وعدم السماح لهم بالبقاء فيها مطلقاً . (بسبب أعمالهم الشريرة ضـد المسيحيين في أيام الفـرس كما سبقت الاشارة) وفيما يلي جزءاً من نص الطبري :

« هذا ما أعطى عبد الله أمــير المؤمنين أهل ايلياء من الامان . أعطاهم أماناً لانفسهم وأموالهم : لكنائسهم وصلبانهم . سقيمها وبريئها وسائر ملتها . إنه لاتسكن كنائسهم ولا تهـــدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم . ولا يكرهون على دينهم . ولا يسكن معهم أحد من اليهـود ، ولا يضار منهم أحد . وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية ويعطى أهل المدائن ، وعليهم ان يخرجوا منها

= فعليهم برضاها ويمكنها الصلاة في بيعها . ولا يحال بينها وبين هوى دينها . ومن خان عهد الله واعتمد بالضد من ذلك ، فقد عصى ميثاقه ورسوله : ويعاونون على حرمة بيعهم ومواضعهم ، وتـكون تلك مقبولة لهم على دينهم وفعالهم بالعهد ، ولا يلزم أحد منهم بنقل سلاح المسلمين . بل المسلمون يزودون عنهم ، ولا يخالف هذا العهد أبداً حتى تقوم الساعة وتنقضى الدنيا » . (تحرر بخط الإمام علي وختم بأصبع النبي ﷺ) .

الروم واللصوص . فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله . حتى يبلغوا مأمنهم . ومن لم يخرج فهو آمن . وعليه مثل ماعلى أهل ايلياء . أن يسير بنفسه وماله بأمانة ... (٦٢)

واذا قارنا بين هذين النصين نجد معنى مكرراً ومؤكداً على أمور ضمنها الحكم الاسلامى لمسيحى القدس وهى : —

ا) المحافظة على أمنهم وعقيدتهم وأرزاقهم وممتلكاتهم (٦٣) .

ب) وجوب نفى اليهود من الأرض المقدسة بسبب طبيعتهم العدوانية ومحبتهم لإثارة القلاقل السياسية والفتن . ويرجح الكاتب محمد صبيح (٦٤) أن حذف النص على اخراج اليهود من العهد الموجود لدى مسيحى القدس كان بتأثير (أو بنفوذ) اليهود فيما بعد .

وقد أخذ عمر - بدوره - عهداً مطولا على المسيحيين جاء فيه : « هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة ايلياء . . : . انكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا . وشرطنا لكم الا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين . وأن تفتح أبوابها للمارة وابن السبيل ولا نظاهر مشركا ولا ندعوا اليه أحداً . وان نوقر المسلمين . ولا نتخذ من الرقيق ماجرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع عليهم فى منازلهم . . » (٦٥)

ودخل مع عمر نحو ٤٠٠٠ من العرب واستوطنوا المدينة المقدسة . وبعد ان تجول الخليفة فى الأماكن المقدسة المسيحية وصل الى مكان خرائب هيكل سليمان وكانت قد تجمعت فيه الأقذار منذ ايام قسطنطين (٣٢٥ م) فراح ينظفه من التراب وحذا اصحابه حذوه فبرزت الصخرة المقدسة . فأمر ببناء مسجد هناك ؛ وكان اول ماصنع من الخشب (٦٣٩ م) ولاحظ الخراب الذى دب فى أسواق المدينة منذ هجوم الفريق . فأعد نظاما للاصلاح والتنظيم فى النواحى الاقتصادية والسياسية والعمرانية والادارية . فأصدر أوامره بانشاء الدواوين الحكومية لإدارة فلسطين ووضع نظاما قضائيا واداريا مناسبا وتقرر اتخاذ التاريخ الهجرى تاريخا رسميا . وقسم فلسطين الى مناطق ادارية ، عين لكل منطقة أميراً . كما رتب شئون البريد ، ليوطد الصلة بين هذه المناطق . وأقام العيون (شرطة الأمن) وخصص قاضيا متفرغاً لتحقيق الشكاوى وأسس دار الحسبة (البلدية) وكان من اختصاصها الاشراف على المكاييل والموازين ومنع الغش فيها . وتنظيف الشوارع

والازقة . ووسع سوق المدينة . ودعا الناس للاهتمام بالتجارة لترويج أحوال المدينة الاقتصادية .

وعندما شكا أحد المسيحيين لأمير المؤمنين بأن جنوده قد أكلوا محصوله من الكروم أعطاه بنفسه قيمة ما أكلوه بالضبط . وشدد على رجاله السير بالعدل . وقبل رحيله عن المدينة المقدسة زار أبا عبيدة الجراح في بيته ، فلم يجد فيه سوى لبدة فرش ينام عليها وبعض كسر يابسة من الخبز ملقاة في كوة منزله وبجوارها قليل من ملح الطعام . وإناء به ماء . فلما نظر عمر الى ممتلكات قائده العظيم بكى من بساطة حاله وخشونة معيشته .

وبعدما رتب الخليفة الأمور خطب في جنده فنصحهم بالابتعاد عن المعاصي وحثهم على تقوى الله . وإلا سلط الله عليهم عدوهم . وأقام على بيت المقدس يزيد بن أبي سفيان . فكان أول الولاة العرب . وجعلها عاصمة لكل النصف الجنوبي من فلسطين . بينما جعل علقمة بن حكيم والياً في النصف الشمالي وجعل مقره الرملة .

وكانت سياسة الحكم الاسلامي تقوم على أساس أن يبقى جميع الرعايا غير المسلمين على دينهم مع أداء الجزية ، وذلك في مقابل حمايتهم من كل اعتداء خارجي أو داخلي . كما تعهد الحكام المسلمون باحترام العقائد والشعائر والمعابد الخاصة بأهل الكتاب . كما أوصاهم نبيهم وكتابهم المقدس وملوكهم . وكانت هذه الحرية أيضا تبيح لغير المسلمين – تحت ظل الحكم الاسلامي – ما لا يبيحه الاسلام لأهله مثل شرب الخمر وأكل لحم الخنزير وقد بالغ الاسلام في حماية حرية أهل الذمة الى حد أن المسلم أذا أراق خمراً لذمي ، أو قتل خنزيراً له وجب عليه أن يدفع قيمة ما أتلف – على حد قول الامام أبو حنيفة – بالاضافة الى أن الشريعة الاسلامية قد سمحت للمسلمين بأكل طعام أهل الكتاب .

وقد شهد السير أرنولد بسماحة الحكم الاسلامي وقال « ان العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح »(٦٦) ونقل الكاتب توماس المرجي عن أحد البطاركة قوله « ان العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على جزء كبير من العالم يعاملوننا معاملة حسنة . وأنهم ليسوا بأعداء للنصرانية . بل يمتدحون ملتنا ويوقرون كهنتنا وقديسينا ويمدون يد المعونة الى كنائسنا وأديرتنا(٦٧) » .

والخلاصة أن الحكم الاسلامي دخل الى القدس مصحوبا بالتسامح والسلام والنظام ،

وظلت الحياة عادية فى المدينة المقدسة طوال ثلاثة قرون ، وأكد الكثيرون من الكتاب الغربيين(٦٨) أن فلسطين ازدهرت فى بداية العصر العربى ، وصارت أهم طريق للقوافل بسبب موقعها فى وسط الدولة الإسلامية فى الشام وشمال افريقية ، ولم يتغير وضع السكان الا قليلا . فقد هاجر عدد من السكان الإغريق وحل محلهم العرب منا لمسيحيين والمسلمين وخلت المدينة المقدسة من اليهود فى تلك الفترة .

الفصل الحادى عشر

القدس فى عهد الدولة الأموية

بعد أن إعتلى الخلافة الأموية الخليفة معاوية بن أبى سفيان الأموى بدمشق ، خضعت له القدس (٦٤١ م) ، فعين لها الوالى سلام بن قيصر ، الذى سكن فى محل قصر هيرودس ، ويذكر رحالة أوربى(٦٩) زار المدينة فى تلك الفترة أنها كانت محاطة بسور عليه ٨٤ برجا وله ٦ أبواب ، وكان يأتى اليها أناس كثيرون بقصد التجارة ، يقضون فيها بضعة أيام ، وكان بها مسجد يتسع لثلاثة آلاف من المصلين ، وكان جبل الزيتون مغطى بكميات كبيرة من أشجار الكروم والزيتون، وكان سكان القدس يحصلون على جميع حاجاتهم من الأخشاب من غابة كثيفة ، كانت على بعد ثلاثة أميال فى شمال القدس .

وفى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الأموى بدأ بناء مسجدى الصخرة والأقصى ، ويذكر بعض المؤرخين أن عبد الملك أراد أن يصرف المسلمين عن الحج للحجاز لأغراض سياسية ، وقام بتعبيد طريق دمشق - القدس ، الرملة - القدس ، ووضع عليها علامات حجرية تدل على المسافات ، وكان يثق فى المسيحيين فأستخدمهم فى بناء المسجد الأقصى وسمح لهم بتوارث الخدمة فيه(٧٠) وتم بناء المسجد الأقصى وافتتح للعبادة فى عهد أبنه الوليد (٧٠٥ م) ، الذى كان يحب بيت المقدس جداً لدرجة أنه تقبل مبايعة الناس له بالخلافة وهو جالس على سطح الصخرة المقدسة ، وكان ينوى اتخاذ القدس عاصمة له . وكذلك فعل أخوه سليمان (٧١٤ م) ، الذى تولى بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز

(٧١٧ م) فقام باخراج كل اليهـــود من المدينة المقدسة بعدما علم بسوء نيتهم نحوه . وسارت الأحوال فيها بشكل عادى طوال حكم الأمويين حتى زمن مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، الذى هرب الى مصر ، حيث قتل على يد العباسيين (٧١) .

الفصل الثانى عشر

القدس فى عهد الدولة العباسية

امتاز العباسيون بحسن معاملة المسيحيين ، خصوصا فى عهد هارون الرشيد (٧٨٦ م) ، الذى سمح للامبراطور شرلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة باسم العذراء وعمل على حماية الحجاج المسيحيين ، وهو ما قابله شرلمان بالمثل ، فراح يرسل كل عام وفداً إلى القدس يحمل الهدايا النفيسة للخليفة العباسى ، والأموال الكثيرة لفقراء المسلمين بالقدس ، وعاد الوفد فى احدى السنوات يحمل مفاتيح القيامة تأمينا لقلوب الزوار ، وتوطيداً للصداقة القوية بينهما (٧٢) ، وقيل أن هارون الرشيد أهدى شرلمان ساعة جميلة أذهلت أهـــل أوربا .

وفى أواخر ايام العباسيين زار القدس الرحالة المشهور برنارد الحكيم ، ودون عن هذه الفترة فى مذكراته « إن المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام ، وأن الأمن مستتب فيها للغاية ، لدرجة أن المسافر ليلا يفرض عليه أن تكون فى يده وثيقة تثبت شخصيتـه ، وإلا زج به فى السجن حتى يحقق فى أمره ، وقد سافرت من بلدة لأخـــرى فنفق جملى فتركت أمتعتى مكانها ، وذهبت لشراء دابة أخرى من البلدة المجاورة ، وعدت فوجدت كل شىء على حاله لم تمسه يد » . وكان الولاة لايسيئون للحجاج المسيحيين فكانوا يأتون ويذهبون بكل طمأنينـة .

ويذكر لنـا التاريخ أنه عندما مر عبيد الله بن طاهر أبو العباس قائد المأمون قام بعض المسلمين بالشكوى إليه بأن البطريرك توما قد قام ببناء قبة كنيسة القيامة أعلا عما كانت عليه ، لكنه قابل هذا البطريرك أولا وسمع رده واقتنع به ، والغريب أن رده هذا

كانت قد لقنه إياه رجل مسلم ، كما ذكر المؤرخ المسيحى المشهور سعيد بن بطريق .

وفى أثناء حكم الطولونيين (٨٧٨ - ٩٠٥ م) كانت القدس تابعة لهم لكنها فقدت أهميتها الاقتصادية والسياسية فى عهدهم ، وأصبحت قاصرة على النواحى الدينية ، فكان الناس يقصدونها لغرض الزيارة فقط .

وكذلك لم تكن المدينة المقدسة أهمية كبيرة فى عهد الاخشيديين أيضاً ، فقل عدد سكانها وتفوقت عليها الرملة ، التى أصبحت عاصمة فلسطين (٧٣) . ويذكر عارف أنه فى عهد كافور الاخشيدى (٩٦٠ - ٩٦٦ م) تسبب اليهود فى حوادث نهب كنيسة صهيون ، وأحرقوا مع أتباع الوالى جزءاً من كنيسة القيامة فسقطت قبتها (٧٤) .

الفصل الثالث عشر

القدس فى العهد الفاطمى

لما فتح الفاطميون القدس سنة ٩٧٢ ظلوا يحسنون إلى المسيحيين ، خصوصاً فى أيام المعز لدين الله الفاطمى ، الذى عين عليها الوالى أبو اليمن قزمان بن مينا القبطى ، وله قصة مشهورة ملخصها أنه استطاع ان يحمى أموال الحكومة المصرية بأمانة فائقة أثناء هجوم القرامطة على المدينة المقدسة ، إلى أن طردهم الفاطميون منها سنة ٩٧٤ م ، فنجا من مؤامرة خبيثة دبرها له الوزير اليهودى يعقوب بن كلس ، الذى كان قد اتهمه بتبديد أموال الدولة المصرية ، ولما ظهر كذبه انتقم منه المعز شر انتقام (٧٥)

وظلت الحياة عادية فى القدس ، لكن شابتها أحداث قليلة فى أول حكم الخليفة الفاطمى الحاكم (بأمر الله) سنة ١٠١٠ م ، فقد قيل أنه شاع فى أوربا أن القيامة ستقوم فى يوم معين ، فتقاطرت على المدينة المقدسة جموع غفيرة من الاوربيين الذين صدقوا الإشاعة ، ورغبوا فى أن يموتوا بجوار قبر المسيح ، فلما مر هذا اليوم دون أن يحدث شىء ، غضب الحاكم بأمر الله وأمر بطرد المسيحيين الاجانب من المدينـــة ، ونسب لهم النقائص ، وفرض الرسوم للدخول إليها فيما بعد ، كما هدم كنيسة القيامة ، وقال أحد الباحثين إنه

وجد بمخطوط بدار البطريركية اليونانية فى القدس أن غضب الحاكم كان سببه أنه أمر يوما شابا من أعدائه وأبقاه عند بطريرك المدينـــة ، ولكن الشاب هرب منه وانضم لأعدائه ، لكنه تمكن من القبض عليه مرة أخرى ، مما دعا الحاكم أن يشدد فى حملته على المسيحيين ، وأيضاً قيل أن تصرف الحاكم هذا كان بتحريض اليهـــود وهو الرأى الأرجح لأنه بعدما أكتشف خديعتهم أصدر أوامره بأن يلبسوا وجوهاً مصنوعة على هيئة عجول (حيث أنهم عبدوا العجـل الذهبى أيام موسى النبى) وبعض المؤرخين ينسب اليه عجزاً عقليـــا ، بسبب ما تردد من أنه أدعى الالوهية . إلا أنه سرعان ما أنهى هذه الأعمال الجزلية فجأة بفضل رجاء أمه ماريا وأخته سيدة الملك ، فمنـــح المسيحيين الحرية الدينية الكاملة وسمح لهم ببناء كنائسهم التى هدمت ، كما أمر برد أملاك الاديرة وتعمير الكنائس الموجودة بهـا (٧٦) وقيل إنه عمرها على نفقته .

وعاد روح التسامح الاسلامى المعـروف والرفق بالمسيحيين كما كان دائمـا ، حتى أن جماعة من تجار أمالفى Amalfi (قرب صقلية) جاءوا إلى المدينة المقدسة وتوسعوا فى التجارة فيها ، وأسسوا بهـا أول كنيسة وأول دير لاتينى جنـوب القـبر المقدس (٧٧) ، ولكن الحاكم بأمر الله ظل يضطهد اليهـود حـتى مات بسبب غضبه من تصرفاتهم تجـاه المسيحيين .

وأحسن خلفاء الحاكم معاملتهم المسيحيين . فى عهد الملك الظاهر (لاعزاز دين الله) ابن الحاكم (١٠٢٠م) عاش المسيحيون فى سلام ، وتم اعادة تشييد كنيسة القيامة (٧٨) وقام الاثنين بتجديد سور القدس ، وعمر قبة المسجد الأقصى بعد زلزال كبير ، وظل السكون يخيم على مدينة السلام ، إلى أن دق أبوابها الأتراك السلاجقة .

والحقيقة أن الحكم الفاطمى — بما امتاز من نشاط فى المعمار — قد منح القدس نصيبا منه ، فتأسس البيمارستان ، وهو أول مستشفى يشيد بها ، وكان الفاطميون ينفقون عليه أموالا طائلة لأن العلاج فيـه كان بالمجان ، كما بنوا دار العلم ، وهى فرع من دار الحكمة التى أسسوها فى القـــاهرة سنة ١٠٠٤ (٧٩) ، ويذكر السائح ناصرى خسرو (١٠٤٧ م) « أن الحركة الدينية المسيحية والإسلاميـــة كانت مزدهرة ، وكان يحج القدس من السوريين سنويا أكثر من عشرين ألفا ، وأقيمت عدة صناعات يدوية كان لكل منها سوق خاص » .

الفصل الرابع عشر

القدس تحت حكم السلاجقة

ثم إن السلاجقة وأصلهم قبائل رعوية من منطقة التركستان بوسط آسيا، اعتنقوا الاسلام وانتشروا في أنحاء شتى حتى بلاد الشام، وباتت الارض المقدسة تحت أقدام عدو لا يرحم، فقد تمكن أحد سلاطينهم المدعو جلال الدين الذى تسمى أيضا بالملك شاه - من الاستيلاء على القدس سنة ١٠٧٢ م منتهزا ضعف الفاطميين، وعين عليها الامير التركمانى أرتق، مؤسسا بذلك دولة الارتقيين، وفي سنة ١٠٩١ خلفه ولداه الغازى وسقمان - والغريب أن السلاجقة عهدوا لرجل مسيحي قبطي اسمه منصور التلبانى بحكم القدس تحت إشرافهم (٧٩) في سنة ١٠٩٢ م (٨٠).

(٨٠) وعلى العموم فقد شهد المؤرخون العرب بقسوة السلاجقة وقيامهم بهدم الكنائس والاديرة وكذلك المساجد دون مبرر (٨١) وظلت القدس تعانى من مظالمهم حتى استردها الفاطميون مرة أخرى سنة ١٠١٥ م بقيادة الافضل بن بدر الجمالى، بعد أن حاصرها ٤٠ يوما، ورحب به أهلها ففتحوا له أبوابها سرا فهرب منها السلاجقة بعد ما سمعوا بقدوم المصريين إليها. وكان السلاجقة يضيقون على الزوار الاوربيين بسبب ميلهم إلى الاستيلاء على القسطنطينية وصراعهم مع الصليبيين فى آسيا الصغرى (٨٢).

وقبل ختام هذا الفصل والحديث عن حكم الصليبيين للقدس تجدر الاشارة الى شهادة المؤرخ الانكليزي جيبون Gibbon عن المعاملة الحسنة، التى لقيها المسيحيون من العرب إبان فترة حكمهم منذ الفتح العربي حتى دخول الصليبيين (٦٣٨ - ١٠٩٩ م) فقد أكد هذا الكاتب عدالة العرب وتوفيقهم في حسم الخلافات بين المسيحيين حول الاماكن المقدسة، وقال أن جميع المسيحيين بمختلف مذاهبهم احتفظوا بهياكلهم فى كنيسة القيامة تحت حماية العرب (٨٣).

الفصل الخامس عشر

الحكم الصليبي للقدس

لا خلاف بين المؤرخين فى أن مقدمة الحروب الصليبية تدور فعلا حول شخصية بطرس الناسك الفرنسى(٨٤) الذى يحتمل أن يكون قد سافر الى الأراضى المقدسة للحج وعاد لأوربا ، دون أن يتمكن من الوصول لبيت المقدس بسبب مضايقات السلاجقة للحجاج الغربيين كما قلنا من قبل ، وأخذ بعد عودته يثير شعور الغرب المسيحى لتخليص القبر المقدس من يد هؤلاء المسلمين ، مستخدما فى ذلك فصاحة لسانه وشدة حماسه وتعصبه واتصل فعلا بملوك أوربا ، والجالس على كرسى روما ، الذى راقت له الفكرة جداً ، ليضم الكنائس الشرقية الأرثوذكسية تحت رئاسته ، ولا شك أن فى وصف هذا الراهب البيكردى للإساءات التى لحقت بالحجاج كثير من المبالغة ، التى كانت تجد صدى وتجاوباً فى النفوس ، تحقيقاً لأطماعهم فى التوسع أو للتخلص من الثقافة العربية الاسلامية (٨٥) أو الحيلولة دون صدام الأمراء الاقطاعيين فى أوربا وشغلهم عن مقاتلة بعضهم بقتال المسلمين(٨٦)

أما الغرض الدينى الذى ادعوا أنهم جاءوا من أجله فيكشفه المؤرخون الاوربيون أنفسهم ، فيذكر الكاتب بورتشارد Burchard أن الدين لم يكن الدافع الاساسى للحروب الصليبية ، ودلل على رأيه « بحياة اللهو التى عاشها الإفرنج بين الاماكن المقدسة فقد انغمسوا فى الملذات مع الاوربيات اللائى أحضروهن معهم من أوربا كما جاءت معهم فى حملاتهم جماعات من المغامرين واللصوص وقطاع الطرق ، والخارجين عن القانون ، مدفوعين بعوامل شتى للسيطرة والنهب » (٨٧) فالحماس الدينى للحركة الصليبية لم يكن حقيقيا متأصلا ، بعكس العرب الذين كان إخلاصهم وحماسهم للدفاع عن ديارهم المقدسة أقوى وأوفر ، وساعد عليه قيام الأزهر فى مصر بدور رئيسى فى تنبيه الأذهان إلى الخطر الجاثم على أرض فلسطين(٨٨).

كما تنبهت الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية إلى هذا الخطر أيضاً ، فوقف المسيحيون مع إخوانهم العرب للدفاع عن مقدساتهم وعقيدتهم ، حيث كانت أهم غايات الصليبيين أن تصير الأرض المقدسة بقعة لاتينية كاثوليكية ، وأن يلاشوا الأرثوذكسية منها

مستميلين جميع السكان لسلطة بابا روما ، وقد استخدموا فى ذلك جميع أنواع الخداع والحيل والاضطهادات ، التى لم تحر من البرابرة على حد تعبير رانسمان[٨٩] Runciman وإن ماقاساه المسيحيون الشرقيون على أيدى الصليبيين قد فاق ماقاسوه على أيدى التركمان (الذين كانوا حديثى العهد بالاسلام ، ولم يكونوا قد تفهموا تعاليمه بعد)[٩٠] .

ولم يختلف أى واحد من مؤرخى الفرنجة أو المسلمين عن الأعمال الوحشية التى ارتكبها حاملوا رايات الصليب ، والتى تناقض تماما تعاليم السيد المسيح ، رغم أنهم جاءوا لنصرته[٩١] . فقد طردوا الكهنة الشرقيين ، فالتجأ السريان منهم الى مصر ، واغتصبوا مقدساتهم ، كما منعوا أقباط مصر من الحج للقدس بدعوى أنهم ملاحدة . وينقل الكاتب رينودو Riénodau عن أحد مؤرخى الأقباط المعاصرين للصليبيين قوله « إن حزننا لم يكن أقل من حزن المسلمين » ، وتساءل بقوله « بأى حق يمنع الصليبيون نصارى الأقباط عن الحج ؟ » ويضيف بقوله « إن الصليبيين يكرهوننا كما لو كنا قد ضللنا عن الإيمان القويم »[٩٢] ويؤكد المؤرخ القبطى أبو المكارم سعدالله بن جرجس (١٢٠٨م) نفس هذا الكلام ، ويضيف بأن حرمان الاقباط من زيارة القدس ظل حتى فتحها صلاح الدين الأيوبى[٩٣] . فسمح لهم بالزيارة والحج .

وبعد هذه المقدمة نتتبع معا موضوع بحثنا عن فتح الصليبيين للقدس وأعمالهم بها . فقد بدأوا بفتح أنطاكية وواصلوا الزحف جنوباً بقيادة ريمون دى أجيل Raymond d'Agiles نحو القدس ، فبلغوا أسوارها فى ٧ يونيو سنة ١٠٩٩ م ، وحاصروها نحو ستة أسابيع ، ومن الجدير بالذكر أنه كان يحكمها من قبل مصر الأمير بكر الدولة الفاطمى . وقد قاسى الغزاة كثيراً بسبب نقص ذخيرتهم وقلة المياه وحرارة الجو المرتفعة فى ذلك الوقت من العام ، فضلا عما لاقوه من بسالة الحامية المصرية فى سبيل دفع اللاتين عن الأرض الطاهرة ، وكان ذلك أمراً طبيعياً لما للمدينة من مكانة عظيمة فى قلوب المسلمين والمسيحيين ، فهما أولى القبلتين وثانى البيتين وثالث الحرمين وقبر المسيح ومهبط ميلاده ومكان صعوده . إلا أن الفرنجة وجدوا - للأسف - منفذاً لم يتم الفرنج تحصينه جيداً ، فنفذوا منه بجيوشهم وخيلهم ، وأخذوا يتعقبون الأهالى المحاصرين ، الذين وجدوا أنفسهم ، وقد أحاط بهم العدو من كل جانب ، فلجأوا إلى الاختباء بقبة الصخرة والمسجد الأقصى

ويقول المؤرخ أبو الفداء[٩٤] « إن الإفرنج وضعوا السيف فى رقاب المسلمين أسبوعا وقتلوا فى المسجد المبارك مايزيد عن سبعين ألفاً من المسلمين ، وأخذوا من عند الصخرة

نيفا وأربعين قنديلا كل واحد وزنه ثلاثة آلاف وستمائة درهم فضة، وتنور (موقد) فضة وزنه أربعون رطلا بالشامى، وأموالا لا تحصى».

ويذكر مؤرخ صليبى مجهول (كشاهد عيان) «أن الخيل خاضت فى الدم سابحة»[٩٥] وفعلوا باليهود الموجودين بالقدس نفس العمل، وأقفلوا معابدهم ثم أحرقوها كلها بمن فيها، وأسرعوا بتحويل بعض المساجد الى كنائس، ومنها مسجد قبة الصخرة الذى صار كنيسة باسم هيكل السيد Templum Domini. كما استخدموا المسجد الأقصى لمصالحهم الدينية والاقتصادية، فقسموه الى ثلاثة أقسام. جعلوا القسم الاول كنيسة والثانى مسكنا للفرسان، والاخير مستودعاً لذخائرهم وأسلحتهم. ثم اتخذوا السراديب التى تحت المسجد اسطبلا لحيواناتهم. ويمكن الرجوع لكتابات المؤرخين العرب الذين وصفوا بالتدقيق جميع انتهاكات الصليبيين للأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية بالأرض المقدسة[٩٦] مما لا يتسع له المجال.

ولا يفوتنا أن نذكر أن بعض القوات المصرية أسرعت لنجدة القدس بقيادة الأفضل، لكن الفرنجة هجموا عليه وألحقوا به الهزيمة[٩٧]. واستقروا نهائيا فى القدس دون منازع، وتفرغوا لتحقيق بقية أغراضهم السياسية والاقتصادية والدينية. فاتخذوا المدينة نقطة ارتكاز يتوسعون منها على حساب البلدان العربية المجاورة. والعمل على القضاء على الاسلام وثقافته وتحويل الارثوذكس الشرقيين الى سلطة بابا روما. ويجب التنويه فى هذا المجال إلى أن أهل الغرب كانوا يعتبرون العربى - سواء كان أم مسيحيا شرقيا - غير مؤمن إيمانا صحيحا لأنه على غير مذهبهم[٩٨]. وظلت هذه الفكرة تراود أذهانهم بعد فشلهم فى حملاتهم الصليبية، ولهذا امتدت أحلامهم الى محاولة صبغ العالم العربى بالصبغة الكاثوليكية، عن طريق البعثات التبشيرية (كما حدث فى القرن الماضى). وهذه البعثات التعليمية تعتبر جزءا متمما للفكرة الصليبية نفسها. وقد نجحت بهذه الطريقة فى استمالة بعض النصارى اليوم.

وبالنسبة للحالة السياسية فى مملكة بيت المقدس الصليبية. فقد بدأت أطماع اللاتين تتجلى منذ اللحظة الاولى لدخولهم المدينة المقدسة. فقد ثارت المشاكل حول اختيار أول رئيس للدولة الجديدة. وعقدوا عدة اجتماعات فاشلة لهذا الغرض. وبدأ الخلاف واضحا بين الكنيسة وزعماء الصليبيين. فرأى رجال الدين اختيار رئيس روحى يمسك بدفة الإدارة والدين. بينما أصر العلمانيون على اختيار حاكم دنيوى. وأخيرا انتهى الامر باختيار جودفرى Godfrey على أن يحمل لقب حامى القبر المقدس وذلك لكل وعلاء

بعد أن تذرع رجال الدين بأنه لا يجوز لحاكم بيت المقدس أن يلبس تاجا من الذهب ، في المكان الذى لبس فيه المسيح تاجا من الشوك .

أما بالنسبة للناحية الاقتصادية فى ذلك العهد ، فقد بذل الغزاة جهوداً يائسة لتحسين علاقاتهم بالسكان العرب . الذين كانوا يمثلون أكثرية السكان ، لضمان تصريف منتجاتهم وتنشيط الحركة التجارية للمملكة . وقد أورد المؤرخون العرب صورا من هذه العلاقات العربية ـ الصليبية ، التى أشاع الصليبيون أن أغراضها الازدهار والثراء للغرب (١٠٠) ومنها على سبيل المثال الاختلاط بالعرب والتزوج منهم لتثبيت أقدامهم ، ولتحويلهم عن مذاهبهم الدينية ، ولضمان عدم ثورتهم عليهم ، فى الوقت الذى كانت فيه دولتهم فى دور التكوين ، وقد عبر عن ذلك فوشيه كاهن كنيسة الملك بلدوين الاول (ثانى ملوك بيت المقدس ١١٠٠ - ١١١٨م) حينما قال « نحن الذين كنا غربيين أصبحنا الآن شرقيين بمعنى الكلمة ، وامتلك البعض منا الديار والرقيق ، كما لو كانوا قد ورثوها ، بينما اتخذ البعض زوجات من السوريات والارمينيات ، وأصبح الذى كان أجنبيا بالامس مواطنا اليوم ، والذى لم يكن يملك مزرعة واحدة هناك (فى أوربا) وهبه الله مدينة كاملة هنا ، فلم إذاً نعود للغرب ، مادام الشرق يمنى تماما برغباتنا ومطالبنا (١٠١) » .

أما بالنسبة للأمن فلم يكن مستتباً فى عهدهم ، إذ كان طريق القدس ـ أريحا مليئا بقطاع الطرق ، على حسب رواية الراهب الروسى دانيال (١١٠٦ م) (١٠٢) وانحطت الاخلاق نتيجة عاداتهم السيئة (١٠٣) وزادت الرسوم والضرائب على السكان والمسافرين . ولم يكن لها نظـــام ثابت لجبايتها ، وساد حكم الاقطاع على النظام الاوربى فى العصور الوسطى ، ولكن ظلت اللغة العربية ، سائدة بسبب تمسك العرب بلغتهم وأرضهم :

وفى النواحى الدينية لم تكن الكنيسة الارثوذكسية الشرقية فى موقف تحسد عليه ، إذ أنه من كتابات المؤرخين الصليبيين أنفسهم ، نجد أن رجال الدين الكاثوليك ، سعوا لإقامة بطريرك لاتينى للأرض المقدسة ، رغم وجـــود البطريرك الشرعى سمعان حياً ، فانتخبوا دايورطوش **Dalrotus** وكان فاسداً ، وحدث خلاف شديد بينه وبين بلدوين ملك القدس الصليبى الذى جرده من رتبته الكهنوتية ، ونفاه الى ايطاليا (١٠٤) ، وأقيم بعده عشرون بطريركا لاتينيا ، كانوا جميعاً فى نزاع مع حكومة بيت المقدس الصليبية لرغبتهم فى التدخل فى السلطة الزمنية والاستيلاء عليها ، وطردوا حراس قبر المسيح ، وصارت هذه الوظيفة من اختصاص فئة معينة من رهبان اللاتين حمل رئيسها لقب

« رئيس قبر السيد العظيم بنعمة الله » ، واغتصب هؤلاء عدة كنائس أرثوذكسية عربية ويونانية في القدس وخارجها . كما استولوا على عدة أديرة وأوقاف كثيرة ، وقد عثر أخيراً على جزء من خطاب قديم للبطريرك الشرعي سمعان ، الذي أرغمه الصليبيون على ترك القدس إلى بيت لحم يقول فيه « . . . وهكذا طرد الصليبيون الاتراك السلاجقيين من أورشليم ، لكنهم للأسف ظهروا أشد توحشاً وأعظم استبداداً ، وأظلم من أولئك » ولم يكتفوا بما استأثروا به من أديرة وأملاك ، وسلطات زمنية ودينية ، بل أنهم طردوا المسيحيين الارثوذكس من كنائسهم وبيوتهم ، وفوق هذا كله فقد كانوا لا يألون جهدا في استمالتهم إلى الاعتراف بسلطة بابا روما والقبول بمعتقداته . . . »(١٠٥) :

وكان من نتيجة هذه الاضطهادات أن ترك الكثير من المسيحيين الشرقيين المدينة المقدسة وتفرقوا في بقية مدن فلسطين وشرق الاردن ، أما انتخاب بطاركتهم الارثوذكس فكان يتم باستمرار ، غير أن هؤلاء البطاركة لم يستطيعوا أن يقيموا بالقدس . بل أقاموا أحيانا في بيت لحم أو القسطنطينية أو شرق الاردن ، أو في مصر محتمين بالخلفاء المسلمين الذين كانوا يحبونهم لأنهم زملاء لهم في الكفاح ضد العدو الأجنبي المشترك . وقد جاء أحدهم للزيارة فلم يسمح له الصليبيون برؤية القبر المقدس . ولكنه عز عليه أن يحضر للأرض المقدسة دون ان يزور الاماكن المقدسة فيها . فأضطر إلى ان يدخل اليها متنكراً وسط جموع الحجاج .

وقد قام الصليبيون ببناء كنيسة في أعلى قمة جبل الزيتون سنة ١١٣٠ م : سميت باسم الصعود (في المكان الذي بنى فيه الامبراطور قسطنطين مذبحا من قبل) . ورمموا برج داود (القلعة الحالية) باستعمال خرائب قصر هيرودس . وأصلحوا قبر العذراء مريم وكنيستها بوادي يهوشافاط . وبنى البندكتيون مستشفى . وكثر عدد الرهبان من لابسي الرداء الأسود والصليب الابيض واستقروا في شمال الحرم الشريف (١٠٦) . وهكذا بدأ سيل الارساليات الكاثوليكية يتقاطر على المدينة المقدسة . لكنهم سرعان مانزحوا إلى أوربا بعدما أعيدت إلى الحكم الاسلامي على يد صلاح الدين .

الفصل السادس عشر

القدس فى عهد الأيوبيين

لم ينقطع المسلمون عن مناوأة الصليبيين منذ احتلالهم القدس (١٠٩٩ م) وكان أكثر المسلمين اهتماما بمحاربتهم فى البداية الامير نور الدين حاكم الشام (١١٥٤ م). فراح يرسل الفدائيين والجواسيس لمعرفة الأخبار وتحديد كيفية مهاجمتها. ولكنه مات دون أن يفتحها.

وبعدما هزم صلاح الدين الصليبيين فى معركة حطين - (بعد مرور ٨٨ عاما على دخولهم المدينة المقدسة) - بدأ يفكر جدياً فى إعادة فتحها مهما كلفه ذلك. وفعلا بدأ استعداداته بمحاصرتها من الغرب، ثم نقل جيشه إلى الشمال لموقعه الاستراتيجى الأفضل. وقضى ٢٠ يوما فى تركيب آلات الحصار. وكانت القدس محصنة بقوة دفاع مؤلفة من ٦٠٫٠٠٠ جندى صليبى. وفعل صلاح الدين مثل بقية القواد العرب السابقين بإنذار المحاصرين بالإستسلام مع السلام. فرفضوا ونشب قتال عنيف تمكن فيه المسلمون من خرق جانب من السور فى الشرق. مما دعا الصليبيين إلى طلب الاستسلام فتردد صلاح الدين أولا. ولكنه وافق بعد أن أخبره رسولهم الموعو باليبان بأنه إذا أصر على دخول القدس بالقوه فسيقتل الصليبيون كل الأسرى المسلمين وعددهم نحو ٥٠٠٠، كما سيقتلون بأيديهم كل نسائهم الذين معهم لئلا يقعن فى أيدى المسلمين. كما سيهدمون المسجد الأقصى ومسجد الصخره (١٠٧).

وهكذا فتحت المدينة المقدسة أبوابها للقائد العربى فى ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ بعد ان أجهدها الحصار. وتم الإتفاق النهائى المسمى «صلح الرملة» على أساس ترك القدس تحت حكم المسلمين، بشرط أن يسمح للمسيحيين بالحج اليها، وأن يدفع المنسحبون فدية محددة تدفع خلال ٤٠ يوماً. ومقدارها عشرة دنانير على الرجل وخمسة على المرأة وديناران عن كل طفل (١٠٨). وأثناء مغادرة الصليبيين المدينة المقدسة. أوقف صلاح الدين حراسه فى كل شوارعها ليمنع وقوع اى عدوان على المال او النفس: ولحفظ الهدوء واستلام الفدية المطلوبة منهم عند خروجهم من الأبواب. وكان عدد الرجال المنسحبين من الافرنج ٦٠٫٠٠٠. ولما رأى صلاح الدين ان عدداً كبيراً من الصليبيين يحمل على

ظهره أحد والديه الضعيفين ، أو قريباً مريضا رق لحالهم ، وأمر باعطائهم الدواب مجاناً لتساعدهم على السفر ، وأصر على عدم تحصيل أى فدية منهم ، بل وأمدهم بالمال أيضا وكان الكثير من الامراء يخرجون مع نسائهم حاملين معهم ثرواتهم الطائلة ، التى جمعوها فى أثناء إقامتهم بالمدينة المقدسة ، ولم يكترثوا لمساعدة مريض أو فقير أو عاجز .

ويذكر المؤرخون أن البطريرك اللاتينى لم يتبرع بأى مبلغ فدية لفقير أو عاجز ، على الرغم من غناه ، ولما طالب الجند من صلاح الدين أن يصادر أمواله قال « لا أغدر بعهد أعطيته » ، وأصر على الا يأخذ منه سوى عشرة الدنانير المطلوبة من الجميع وقد أوضح الكاتب ميشو Michaud ما عاناه الفرنجة من زملائهم فى الطريق لأوروبا ، فقال إن احدى النساء اضطرت إلى إلقاء طفلها فى البحر ، بعد أن رفض زملاؤها مساعدتها ومدها بحاجتها من الطعام (١٠٩) .

ويقول ابن العماد - كاتب صلاح الدين - أنه عند خروج الصليبيين نهبوا كنائس القدس ، وأخذوا الاوانى المقدسة والقناديل والستور وأمعنوا فى تخريبها ، وجمع بطريركهم كل صفائح الذهب ، التى كانت تغشى القبر المقدس ، وقطع الصليبيون قطعا كثيرة من الصخرة المقدسة ، حملوها معهم إلى القسطنطينية وصقلية ، حيث باعوها هناك بأكثر من وزنها ذهبا ، وقد أظهر صلاح الدين عطفا وكرم أخلاق نحو المغلوبين ، ففك أسر ملك القدس الصليبى ، بعدما أقسم بألا يحاربه ، وسمح الملكة بالخروج بالاعتزاز والاكرام . وفضل آلاف الفقراء الاوروبيين البقاء فى القدس تحت لواء الحكم الاسلامى نتيجة المعاملة الطيبة ، التى لاقوها منهم بعد مادخلوها ، وهى تظهر الفارق الكبير بين معاملة العرب ومعاملة الصليبيين ، وليس أدل على سماحة صلاح الدين من أنه عين ابن عاتى القبطى كاتبا لجيشه ، ثم أضاف إليه رئاسة بيت المال أيضا (١١٠) . كما أنه سمح بدخول اليهود القدس ، وساعد بنفسه فى تشييد مجمع يهودى ، وكان الصليبيون قد حرموهم من دخولها ، فيذكر رحالة يهودى من بلدة توديلا Tudela سنة ١١٧٠ م أنه رأى فى فلسطين أعداداً قليلة جداً (كانوا نحو ١٥٠٠ يهودى فقط) وكان بالقدس أيام الصليبيين أسرتان يهوديتان فقط ، كما روى موسى بن ميمان تيبروندى اليهودى (١١١) ، ولهذا أعقب دخول صلاح الدين القدس ازدياد سريع فى عدد اليهود بها ، ويقول ديورانت Durant أن السلطان العادل شقيق صلاح الدين قد استقبل ثلاثة من كبار أحبارهم ، الذين فروا من انجلترا سنة ١٢١١ م استقبالا حسناً (١١٢) .

وبخروج البطريرك اللاتينى أصبح الجو صالحاً للكهنة الارثوذكس ، وفتحت كنيسة

القيامة ، بعدما أمر صلاح الدين بغلقها ريثما تنتهى عملية ترحيل الصليبيين ، حتى لا يعتدوا على محتوياتها النفيسة ويسلبونها معهم[١١٣]. وقد تم إقامة ذوسيثيوس الأول بطريركا ، وكان محبوبا من إمبراطور القسطنطينية ، الذى توسط لدى صلاح الدين ، للمحافظة على سلامة الاماكن المقدسة ، فأجابه إلى طلبه ، وأرجع للروم الأرثوذكس جميع الأماكن المقدسة ، التى اغتصبها الصليبيون منهم ، وكذلك منح الأقباط نصيبا فى كنيسة القيامه ، وذكر البعض أنه هو الذى منحهم دير السلطان هدية تعبيراً عن امتنانه لوقوفهم معه ، كما أبدى عطفه أيضاً على السريان والموارنة لأنهم من مواطنيه العرب ، وقام المسلمون بإنزال الصلبان وإعادة الجوامع كما كانت من قبل الغزو الصليبى ، وجدد صلاح الدين سور القدس ، عندما هدد الملك ريتشارد قلب الأسد بحصارها سنة ١١٩١ وعزز سكانها بعدد من القبائل العربية كبنى حارث وبنى مر وبنى سعد وبنى زيد ، بعد أن انخفض عدد سكانها إلى النصف بعد خروج الفرنجة منها .

أما من الناحية الاقتصادية فقد انتعشت التجارة ، فكثرت صادرات القدس من منتجات الالبان والزبيب والتفاح والمرايا والقناديل والابر ، وتحسنت الحالة الصحية بعد أن وسع صلاح الدين المستشفى القديم ، الذى اسسه الفاطميون ، وكان يعالج فيه الجرحى من الجنود والمرضى مجاناً ، واهتم بالأمن الداخلى والخارجى فأنشأ عددا من الأبراج بين بابى العمود والخليل ، وحفر حول السور خندقا ، لكى لا يسهل على الصليبيين مهاجمة المدينة مرة أخرى ، وكان يشارك العمال فى نقل الحجارة وأعمال البناء . كما شيد عدة مدارس ومساجد بالقدس .

وبعد وفاة صلاح الدين (١١٩٣ م) انقسمت مملكته بين أولاده ، فكانت القدس من نصيب إبنه الأفضل ، الذى أنشأ مدرسة باسمه بحارة المغاربه ، كما أعاد تشييد المسجد العمرى جنوب القيامة ، ثم تنازل عن القدس لأخيه العزيز[١١٤] ، مفضلا ضمها لمصر لأنها فى حاجة الى المال لتعزيز دفاعها ضد الفرنجة ، ثم حدث خلاف بين الأخوين للسيطرة على القدس بعد وقيعة بينهما ، ولكن العزيز تمكن من السيطرة على الشام ومصر وجاء القدس سنة ١١٩٥ م ، وعين عليها الأمير شمس الدين سنقر ، الذى ألغى بعض الضرائب والرسوم ، ولكنه منع استخدام أهل الذمة فى الوظائف الرسمية[١١٥] :

وبعد موت العزيز تولى ابنه المنصور ناصر الدين ، وكان صغيرا فأقيم الامير بهاء الدين قراقوش وصيا عليه ، وحدثت مؤامرة فى القدس ضمت على أثرها المدينة لحكم الملك العادل فى دمشق ، ولكنها رجعت للإدارة المصرية بعد حروب أهلية تعرضت فيها

للمجاعة والغلاء . ثم تولى إدارتها الملك شرف الدين (١٢١٣ م) وكان شغوفا بالمدينة فكان يزورها باستمرار ، وبنى فيها مدرستين والرواق الشمالى ، والابواب الموجودة فى مدخل المسجد الاقصى ، إلا أنه عاد للأسف وأمر بتخريب المدينة خشية إستيلاء الفرنجة عليها [١١٦]. ثم تولى بعده ولده صلاح الدين داود . وكان شابا صغيرا عاجزا عن الادارة . فاستولى على أملاكه عمه الملك الكامل . ومن ضمنها القدس (١٢٢٧ م) وعقد صلحاً مع الصليبيين (١٢٢٩ م) بقيادة ملكهم فريدريك الثانى الالمانى . على أساس إخلاء القدس ووضعها تحت ادارتهم . ماعدا الحرم القدسى فيبق بيد المسلمين ، ولايدخله الفرنجة إلا للزيارة . وتكون سائر قرى القدس للمسلمين . وأن يقام قاضى مسلم ليحكم بين مسلمى القدس . وقد استنكر العالم الاسلامى - فى ذلك الحين - هذا العمل من الكامل :

وظلت القدس فى يد الصليبيين عشر سنوات ونصف . رجع خلالها الحكم اللاتينى ومعه الظلم والإضطهاد للأرثوذكس ، أكثر مما كان فى الاول : انتقاما منهم لانهم أظهروا سروراً بحكم العرب . وزوال حكم الصليبين أيام صلاح الدين [١١٧] ثم استولى ناصرالدين داود أمير الكرك (فى شرق الأردن) على المدينة المقدسة وطرد الصليبيين منها بعدما دمر أسوارها . وبعد موته خضعت لحكم السلطان الصالح أيوب المصرى سنة ١٢٤٤ م . بمساعدة الخوارزميين الذين قتلوا الكثير من أهل الشام والفرنجة . ودخلوا القدس فوجدوها خالية من الجنود والسلاح لأن السكان أخلوها عندما سمعوا بقرب وصولهم . وهربوا خوفاً من بطشهم وقام الخوارزميون باحراق كل شيء حتى عظام موتى الإفرنج: وطلبوا من سلطان مصر أن يقرهم على حكم فلسطين فرفض ، واتحد الصالح مع أمراء سوريا وحارب الخوارزميين . فاضطروا أن يتركوا الأرض المقدسه سنة ١٢٤٧ م . فنزل الملك الصالح القدس وتصدق على فقرائها . وأمر باعادة بناء سورها .

وبذلك عاد الحكم العربى ، وعاد معه المسيحيون العرب والروم يتمتعون بالراحة . واسترجعوا كل أملاكهم . ثم تمكن كاطاكوزينوس **Katacosinus** امبراطور القسطنطنية من استصدار أمر من سلطان مصر صالح عماد الدين اسماعيل ، يقضى بعزل البطريرك اللاتينى غير الشرعى جراسيموس وإعادة البطريرك عازر الأرثوذكسى : وفيما يلى نص ذلك الأمر « بسم الله الرحمن الرحيم - فليطل الله أيام الملك المعظم أنكالوس الكاطاكوزينوس . لتطلب مليكتكم ماتشاء دائما من حكمى السلطانى ومن بيتنا المقدس المنير . وقد طلب ممثل كنائس الروم أماكن الزيارة التى فى أورشليم المقدسة : فاعترفنا له

بطلبه . وجرى أمرنا أن يحافظوا على الكنائس التى أخبرتم بها وقد أجبنا إلى كل ما طلبتموه وأجريناه ، وسطرنا مرسوما بما التمسه بملكم منا ليصير تقديمه إلى القيامة المقدسة وأرفقناه بأحد نوابنا فأوصله آمنا مطمئنا . فأدى فرائض العبادة والزيارة وعاد شاكراً . ثم طلب أيضا أن يصدر مرسومنا العالى بالمحافظة على المسيحيين الموجودين فى المدينة المقدسة وعلى الأديرة والكنائس بأن يكونوا معاملين بالحسنى واللطف لزيارتها . وفرضنا على المحافظين فى القيامة من المسلمين ألا يبدوا احتقاراً نحو الوطنيين ولا الزوار الغرباء ، بل يحترموا الجميع ويحسنوا استقبالهم ويدبروهم . وأصدرنا أمرنا بخطنا ليجروا بموجبه فى ذلك المكان . . ويختم هذا الخطاب بالكثير من الدعوات وهو مؤرخ فى الخامس عشر من شهر شعبان سنة ٧٥٠ هـ (= ١٢٤٩م) (١١٨).

وبعد ذلك استطاع كرنوول أخو الملك هنرى الثالث ملك إنجلترا أن يفتح القدس ، وظل الصليبيون بفلسطين حتى أغارت عليها جيوش المغول ، الذين هجموا على المدينة المقدسة وفتكوا بأهلها ، فاتحد المسلمون والمسيحيون والافرنج ضدهم ولكنهم فشلوا فى طردهم ، إلى أن نجح المصريون فى الانتصار عليهم بقيادة القائد المملوكى الظاهر بيبرس ، الذى أعاد القدس للحكم المصرى مرة أخرى .

وقد حاولت أوربا محاولة أخيرة لاسترداد بيت المقدس من العرب ، ولكن محاولتهم باءت بالفشل لوقوف المسلمين والمسيحين الشرقيين معاً ضدهم . فعجزوا عن الوصول اليها .

وأخيراً استطاع السلطان قلاوون المصرى أن يطردهم من الشام سنة ١٢٩١ . وبذلك انتهت الحروب الصليبية التى ظلت ١٧٧ عاما كاملا (١٢٩) بعدما دفع العرب ثمنا قدره مليون شهيد (١٣٠)

الفصل السابع عشر

القدس أيام المماليك

قلنا أن المماليك استطاعوا أن يصدوا المغول ويطردوا الصليبيين من الأرض المقدسة

وكان الاقباط الملكيون مع البطريرك [illegible] بالقياصرة ، الا انهم عدوا المسيحيين الارثوذكس [illegible] رعايا للروم [illegible] لانهم كانوا يحرصون كل الحرص على توطيد اواصر صداقاتهم مع ملوك القسطنطينية ليتمكنوا من عبور مضيق البسفور [illegible] لتجنيد الجيوش المملوكية [illegible] وقد تحسنت القدس [illegible] الملك ايبك التركماني [illegible] شجرة الدر [illegible] وبعد قتلهما (١٢٥٧ م) [illegible] المنصور علي [illegible] المغيث بن الملك [illegible] حاكم [illegible]

وسرعان ما اعاد المصريون المدينة إليهم بعدما خلعوا ملكهم وولوا بدله الامير سيف الدين قطز (١٢٥٩ م) ثم تلاه الظاهر بيبرس (١٢٦٠ م) الذي زار المدينة المقدسة مرتين ، وأقام فيها مدرستين وجدد ماتهدم من مسجد الصخرة ، وحصل منه البطريرك أثناسيوس الثالث على تعهد بحماية المقدسات التابعة له (١٢١) وسارت الاحوال بسلام في عهد ابنه ناصر الدين محمد ثم ابنه الثاني بدر الدين ، ثم تولي قلاوون (١٢٨٠ م) قيام بالقضا . وزار القدس أمام شمال الحرم ومسجد القلندري وتلاه اولاده (١٢٩٠ - ١٣٤١ م) وكان اخرهم محمد بن المنصور الذي شيد تسعة مدارس وبابا الحرم الشريف في الشمال وسوقا وباب القطانين ، وجامعاً داخل القلعة التي رمها وحصنها ومد قناة السبيل فوصل الماء إلى المسجد الاقصى . وأنشأ الحوض المسمى اليوم بالكأس وهو مصنوع من الرخام ويقع في الساحة بين مسجدي الصخرة والاقصى . وكان هذا الملك قد نقل للقدس مجموعة كبيرة من طبقة الامراء المغضوب عليهم وتفاهم فيها وحدد إقامتهم هناك ، وتكررت زيارته لها لتفقد أحوالها ، وبعد موته حكم ثمانية من أولاده (١٣٤١ - ١٣٦٥ م) ولم يأت أحد منهم بأى عمل يذكر فيها ، وفى أواخر دولة المماليك الاولى (التى يسميها المؤرخون بالبحرية أو التركمانية) أنشطت العمارة فى القدس فشيدت فى ذلك العهد خمس عشر مدرسة . ثم أسس الملك برقوق (١٣٨٢ م) دولة المماليك الثانية فى مصر (التى تسمى بالبرجية أو الشركسية) ، وهو الذى بنى خان السلطان ومدرستين بالقدس وتلاه أولاده الذين شادوا الكثير من دور العلم بها .

وقد حصل البطريرك ثاوفيلوس الثانى سنة ١٤٠٦ م على مرسوم من الملك الاشرف مرجزه أن للبطريرك الحق فى التصرف فى كنيسة القيامة وبقية الاماكن المقدسة تصرف المالك بملكه كذى حق ، وأن يفتح باب القيامة بحرية تامة (١٢٢) .

وفى أواخر أيام دولة المماليك الثانية قاموا ببعض التضييق على المسيحيين لعلهم بالمظالم بأعداثهم الاتراك . إذ عندما فتح السلطان العثمانى محمد الفاتح مدينة القسطنطينية

عاصمة الامبراطورية البيزنطية سنة ١٤٥٣ أسرع بطريرك القدس دوريثيوس ، ومعه عهد عمر - الذى منحه للبطريرك صفرنيوس السابق الاشارة اليه - فأقر هذا العهد ، وأصدر فرمانا بحق السيادة للبطريرك على كنيسة القيامة وجميع المزارات خارج وداخل القدس ، وجاء فى هذا الفرمان (الخط الهمايونى) : «إنى بناء على عهد عمر بن الخطاب ، وبناء على أوامر الملوك الذين قبلى ، هكذا أنا أعطيت وحددت فى أمرى هذا لكى يعمل بموجبه ، وان كان أحد من الآن فصاعدا من الملوك والوزراء أو العلماء أو القضاة أو رؤساء بيوت المال أو متولى الاوقاف ، حتى خدم وعبيد بلاطى الملكى يريدون أن يغيروا أو يحوروا هذا الفرمان المعطى من قبلى ، فمثل هؤلاء مهما كانت وظيفتهم ورتبتهم فليكونوا مسئولين أمام غضب الله العلى وعذاباته ، وما دام هذا الفرمان فى أيديهم ، فيجب أن يظهروا كل طاعة وخضوع » . وقد كان تاريخه أواسط هلال شوال سنة ٨٦٢ هـ (= ١٤٥٤ م) (١٢٣) .

وليس هناك أدنى شك فى بعد نظر هذا البطريرك ، فلم تكن القدس وقتها تابعة السلطنه العثمانية ، وهو ماتم فعلا بعد ٦٣ عاما .

وقد تعرضت القدس فى عهد السلطان المملوكى جقمق (١٤٣٨ م) إلى كثير من الفوضى فهدمت الأديرة الجديدة على يد الوالى المسمى إينال باى . أما فى عهد قايتباى (١٤٦٧ - ١٤٩٥ م) فقد أقيمت عدة مدارس ، ولكن قام خلاف بين ناظر الحرمين ونائب السلطان ، فاضطرب الأمن ، ومما زاد فى المشاكل عدم سقوط الأمطار ، وغلاء الأسعار ، وتفشى وباء الطاعون . كما قام خلاف شديد بين اليهود والمسلمين حول دار واقعة فى حارة اليهود ، بين معبد لليهود ومسجد اسلامى ، وكان حكم قضاة المدينة فى صالح اليهود ، فأمر قايتباى بالقبض على زعماء المدينة ومديرى الشغب ، وسجنهم ولم يطلق سراحهم إلا بعد هدوء الحالة . ثم تهدم جانب من كنيسة القيامة بسبب كثرة الأمطار (١٢٤) ، ولما شكا السكان نائب السلطان حقق شكواهم ، ولما تأكد منها إستحضره وضربه ثم أقاله . وثار سكان القدس مرة أخرى على خلفه دقمان فأقاله السلطان أيضا . وفى هذه الفترة سادت علاقات المماليك على الأتراك ، واستطاع السلطان سليم العثمانى أن يحتل الشام ومصر ، ويشنق طومانباى آخر سلطان مملوكى ، وأصبحت المدينة المقدسة تحت حكم العثمانيين أربعمائة عام كاملة (١٥١٧ - ١٩١٧ م) .

الفصل الثامن عشر

القدس تحت حكم العثمانيين

استطاع السلطان سليم الاول أن يستولى على القدس (١٥١٧ م) ، وزارها ونظم إدارتها ، فأقام عليها متصرفا (واليا) من الدرجة الاولى يتبع نائبه جان بردى حاكم الشام . واتسم حكمه بالعدالة وعدم التفرقة بين الاديان ، فأشرك جميع الطوائف فى الحكم عن طريق مجلس إدارة برئاسة المتصرف ومجلس آخر للبلدية ، وكانا يضمان أعضاء دينيين من المسلمين والمسيحيين (اليونانيين واللاتين والاقباط والارمن والسريان) واليهود[١٢٥]

وقد حصل منه بطريرك القدس المدعو دوريثيوس الثانى على فرمان مكتوب باليونانية ترجمته « ليعمل بموجب أمرى الكريم ، وكل من خالفه وأراد مماكسته يكون تحت ضربة سيف الله ، بعون الله تعالى ورسوله الحبيب ، عندما أتيت فى ٢٥ صفر إلى القدس لفتحها حضر لى بطريرك الروم دوريثيوس مع باقى رهبانه وأتباعه ، وطلب أن تكون الكنائس التى داخل القدس وخارجها ، ومحلات الزيارة تحت تصرفاتهم وفى ملكهم ، كما كانت سابقا وفقا لعهد عمر ولتصريحات الملوك السابقين فأمرت ، وأنا أيضا بتصريحى الحالى الكريم أن يتصرف الروم كما شاءوا فى الاماكن المقدسة (وقد وردت كلها تفصيليا فى هذه الوثيقة) ، وله الحق أن يستولى على متروكات لمن يتوفى من الاساقفة والرهبان ، وقد أعفيتهم من دفع المكوس والباج عند باب المدينة ، وعند الماء المسمى بزمزم (ويقصد نهر الاردن) ، والا يدفعوا ماهو معروف بكفارة الحرب (الجزية) ولا فى الشواطىء البحرية (الموانى) ، ويعفون من الرسوم الإجبارية . وبموجب تصريحى الكريم هذا لايجوز لملة من الملل إزعاجهم أو التعرض لهم ، وقد أعطيت أنا هذا التصريح والأمر ليجرى بموجبه كما ذكر ، فيقتضى على الذين يملكون بعدى ، وعلى الوزراء والعلماء وأصحاب المأموريات والقضاة وأصحاب بيت المال والشرع والصوباشية والوعماء وأصحاب التيمار أو الشباهية والمتفرقة والجاويشية والانكشارية ، وبقية الخدم وعبيد قصرى ، يقتضى على كل هؤلاء أن يعملوا بأمرى هذا التصريح ، وكل من خالف منهم كائنا من كان ، لما ورد فى نص هذا الامر ، يكون تحت المسئولية وغضب

الله تعالى، وعند وصول تصريحى هذا والاطلاع عليه يجب إجراء ما فيه بالدقة والطاعة» (كتب فى القدس سنة ٩٢٣ هـ = ١٥١٧ م)[١٢٦].

وفى عهد ابنه السلطان سليمان المسمى بالقانونى جدد سنة ١٥٢٦ م الفرمان الممنوح للبطريرك من والده سليم، وهو وهو آخر من جدد سور المدينة الذى لا يزال موجوداً إلى الآن، واستغرق تجديده خمسة أعوام (١٥٣٦ - ١٥٤٠) كما رمم القلعة الحالية، وأنشأ برجاً عن يمين باب الخليل وجدد بركة السلطان. وأصلح قبة الصخرة وجدد جدران الحرم وأبوابه، وفتح باب ستى مريم وأنشأ مسجد الطور فى مكان كنيسة الصعود بجبل الزيتون[١٢٧]. وفرض رسوما على الحجاج خصصت حصيلتها لإنشاء دار للعجزة، واهتم بسلامة المسيحيين، ويبدو ذلك من رسالة أرسلها سنة ١٥٢٨ لفرنسيس الأول ملك فرنسا، يطمئنه فيها على سلامة رعايا المسيحيين بالمدينة المقدسة. وقال: «ان المسيحيين يتمتعون بالسلام تحت حمايتنا، ويسمح لهم بتصليح أبوابهم ونوافذهم (؟ ! !)، ويحتفظون بمعابدهم ومؤسساتهم، التى يشغلونها دون أن يزعجهم أحد، أو يضطهدهم لسبب ما..»[١٢٨].

وفى عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٢ م) كانت القدس تابعة لمصر. ومن الطريف أن هذا السلطان حظر على الناس هناك أن يشربوا القهوة أو يدخنوا التبغ، وفى أيامه اختل الأمن، وكثر قطاع الطرق، مما جعله يقيم قلعة باسمه عند بركة سليمان على طريق الخليل، وأنشأ فى داخلها مسجداً وخمسين منزلا لسكنى الجنود، وقد وصل سائح تركى إلى القدس فى ذلك الوقت، فقال أنها كانت عامرة بالتجارة وذكر احصائية قال فيها أن بها ٢٠٤٥ دكانا و٦ خانات، وعدة أسواق، وتغطيها أشجار كثيرة جدا للكروم، وكان عدد سكانها فى ذلك الوقت ٤٦,٠٠٠ نسمة أكثرهم عرب مسلمون، وكان بها ٤٠ مدرسة للبنين، ٦ حمامات، وتكايا لسبعين طريقة صوفية اسلامية[١٢٩].

وفى عهد السلطان سليم الثالث (١٧٩٩) غزا نابليون بونابرت يافا والرملة، وظن الأتراك أنه سيتوجه حتما للقدس لفتحها، ولذا سجنوا جميع الروم الارثوذكس الموجودين بها فى كنيسة القيامة، ولكن بونابرت لم يتوجه إلى المدينة المقدسة. وقال للذين سألوه عن ذلك «بأن القدس غير مرسومة فى الخطة التى رسمتها، وانى لا أريد التحرش بسكان الجبال، والتوغل فى مآذق يصعب الخروج منها»، والحقيقة أنه كان يبغى السيطرة على مواقع حربية، ولم تكن القدس لها تلك الأهمية فى نظره. وقيل أنه

طلب من أهلها أن يخضعوا له ، فأجابوه بأنهم تابعون لعكا ومن يحتل عكا يخضعون له ، وانهم أهل بلد مقدس ولا يريدون الدخول فى حروب مع أحد .

فانصرف إلى عكا حيث فشل فى فتحها ، وكان حاكمها أحمد باشا الجزار قد أذاق سكان القدس العذاب ـ لافرق فى نظره بين مسلم ومسيحى ويهودى ، حتى باع الناس أولادهم كعبيد فى الأسواق : (١٣٠).

وفى عهد السلطان محمود الثانى (١٨٠٨) ألغى نظام الإنكشارية وطاردهم بلا هوادة لحصرهم الحاكم التركى فى القدس وطلبوا منه ـ بتحريض من الأرمن ـ أن يمنع الروم من استكمال ترميم كنيسة القيامة التى أحرقها الأرمن سنة ١٨٠٨ ، وأصروا على تولى حماية القلعة ، ولكن حاكم الشام التركى نكل بهم ، وقد منع الباب العالى (السلطان العثمانى) الروم الارثوذكس من تعمير كنائسهم سنة ١٨٢٠ م لأنهم كانوا ينادون باستقلال اليونان عن تركيا ، ولكنه سمح اللاتين (الكاثوليك) ببناء غرف جديدة فى ديرهم ، وأثار اخضاع القدس لحاكم عكا الشرير مصطفى باشا فزاد من الضرائب ، مما أدى إلى قيام ثورة بالقدس سنة ١٨٢٤ ، ورفض أهلها دفع الضرائب ، وطردوا الجباة لجامع الباشا ، ولكن الاهالى تحصنوا فى الجبال والأودية ولم يستقبله أحد منهم ، فغضب وأمر بمصادرة أملاكهم ، ولكن منازلهم كانت خاوية ، وبعد رحيله رجع السكان إلى منازلهم وثاروا من جديد ، واستولوا على القلعة ، وأسروا من بها من الجند الأتراك ، واخذوا أسلحتهم ، ثم طردوا الحاكم وجنوده ، وقد تزعم هذه الحركة يوسف عرب وأحمد أغا ، وعمل هذان الزعيمان على تقوية أواصر المودة بين المسلمين والمسيحيين ، للوقوف صفاً واحداً أمام المستعمر التركى ، وألغيا الضرائب التركية الباهظة ، وبالطبع غضب السلطان محمود التركى من هذه الحركة الوطنية . وأصدر أوامره لقائده عبد الله باشا بأن يعمل على إخضاع الثائرين بأى ثمن ، وقابل سكان القدس الجيش التركى بقلوب ملؤها الثقة والإيمان ، وساد التعاون التام بين المسلمين والمسيحيين ورفضوا إنذار الأتراك بالتسليم وضربوهم بالمدافع الموجودة فى القلعة سبعة أيام . إلا أن الأتراك وصلتهم إمدادات من الأسلحة الثقيلة والقنابل، التى سرعان ما تساقطت على المدينة المقدسة كالمطر، وكانت ذخائر ومؤن الثوار قد قاربت على النفاذ ، فقرروا الإستسلام بشرط إلغاء الضرائب الجديدة وإعلان العفو العام ، ومنع الجنود من التدخل فى شئون المدينة ، وقد تم تنفيذ كل طلباتهم فهدأت ثورتهم .

الفصل التاسع عشر

القدس تحت حكم محمد على باشا

دخلت القدس وبقية الشام تحت حكم محمد على (١٨٣١) ، وقام ابنه ابراهيم باشا بجمع السلاح من الأهالى ، وفرض التجنيد الإجبارى ، كما فرض ضرائب جديدة ، واستخدم الشدة فى حكمه ، فنفى العصاة لأوامره ، كما قام الجواسيس الأتراك بتحريض السكان على الثورة ، فسادت الفوضى فى القدس فى غيابه عنها ، فلما عاد ابراهيم من يافا لم يقابله أحد من المسلمين لأنهم فروا من باب الأسباط مع عائلاتهم ، فخف لاستقباله اللاتين والأرمن واليهود وفريق من الروم ، وعبثا حاول أن يقنع الأهالى بالعودة إلى مساكنهم ، ومن أماكنهم قاموا بتوزيع المنشورات ضده فقاتلهم فى الأودية وفى التلال جنوب بيت لحم ، ولكن الثورة زادت ، فاختفى فى قلعة القدس ، ثم أسرع اليه محمد على فقابله فى يافا ، وكانت الحالة قد هدأت ، ولكن سرعان ما إشتعلت الثورة من جديد ، لأنه قطع رأس زعيمين كبيرين ، وكان انتشار الكوليرا قد زاد من الصعاب فى وجهه ، فرجع إلى مصر سنة ١٨٤١ ، بعد أن ترك عددا كبيرا من المصريين للسكنى هناك (١٣١) .

ومع ذلك فقد عمر ابراهيم عدة أماكن وشيد قلاعا لحراسة الطريق بين يافا والقدس والحقيقة أن الأرض المقدسة تطورت فى عهده تطوراً جديراً بالذكر ، فقد كافح الرشوة واهتم بطرق المواصلات ، وألغى الضريبة ، التى كان حراس كنيسة القيامة يجبونها منذ أيام صلاح الدين ، ووزع البذور على الفلاحين مجانا ، وشجع الزراعه . وأدخل أنواعا جديدة من المحاصيل الزراعية وأسكن عددا من العرب بالقدس ، وساوى بين المسلمين والمسيحيين واليهود ، وأخذ الجزية من النصارى لقاء إعفائهم من التجنيد . وقد كان حكيماً حينما رفض خطط اليهود للسكنى والتملك فى الأرض المقدسة ، فقد رفض أن يؤجر لليهود خمسين فدانا ومائتى قرية بفلسطين لمدة خمسين عاما ، كما ذكر السير حاييم مونتيفورى اليهودى والانجليزى الجنسية ، وسوف نفصل هذه النقطة فيما بعد عند الحديث عن المشكلة الصهيونية .

الفصل العشرون

عودة القدس للحكم التركى

بعد أن تدخلت الدول الأوربية فى الصراع بين محمد على والباب العــالى ، انسحب الجيش المصرى من الشام سنة ١٨٤١ بعد حكم دام عشر سنوات ، ورجعت القدس لحكم السلطان عبد المجيد ، وضمت لولاية صيدا (التى كانت عاصمتها بيروت) وكان عدد السكان قد انخفض إلى عشرين ألفا فقط نصفهم من المسيحيين . وفى عهده انتظم المسيحيون فى الجندية كالمسلمين ، وقام بإصلاح مبانى الحرم الشريف ، وكانت القدس الجديدة بمبانيها الحديثة قد بدأت تتوسع خارج الأسوار التقليدية منذ سنة ١٨٥٨ م .

وفى أيام السلطان عبد العزيز ضمت القدس لولاية سوريا ، ثم جعلت متصرفية مستقلة تتبع الباب العــالى رأسا ، وفى ذلك الحين رصفت شوارع القدس القديمة وأسواقها بالبلاط ، ومد منها الطريق إلى يافا وإلى نابلس ، ومنع إنشاء المصاطب أمام الدكاكين ، ولبس الناس الطربوش لأول مرة ، وبلغ عدد سكان القدس ٦٨,٠٠٠ نسمة ، وأعيد تشييد المسجد العمرى على مقربة من كنيسة القيامة .

وفى عهد السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ م) تدهورت الأحوال الاقتصادية والادارية فى المدينة ، ومما يثنى عليه أنه أصدر فرمانا يحرم هجرة اليهــود لفلسطين أو شرائهم أى أراضى فيها ، ولكنه سمح لهم بدخول الأرض المقدسة بقصد العبــادة والزيارة فقط ، بشرط ألا يبقوا فيها أكثر من ثلاثة أشهر ، ومد الخط الحديدى بين يافا والقدس سنة ١٨٩٢ ، وشيد مستشفى فى غربى المدينة ، وأقام برجا عاليا على السور فوق باب الخليل وأعاد رصف الطرق . وعندما زار الامبراطور غليوم الألمانى القدس سنة ١٨٩٨ فتحوا له ثغرة فى السور بجوار باب الخليل ، وعلى الرغم من وجود عدد غير قليل من الموظفين الأتراك ، فقد كانت الكلمة العليا للعرب سكانها الأصليين .

وإذا نظرنا إلى الناحية الادارية بالقدس فى العصر التركى فى أواخر القرن الماضى نجد أنها كانت عاصمة فلسطين ، وكانت تتألف من خمس مقاطعات (أقضية)، ١٤ ناحية وكان يتبع لواء القدس (المحافظة) مدن بيت لحم ورام الله ، صفا ، عمورين ، أريحا ،

وهم يكونون ١٢٦ قرية ، وكان المتصرف التركي (الحاكم) يخضع لوزير الداخلية في الآستانة مباشرة ، ومن الطريف أن قاضي القدس كان يتولى السلطة الحقيقيه ، سواء في النواحي الادارية أو القضائية أو السياسية ، فقد كان يقوم - على سبيل المثال لا الحصر - بالنظر في إدارة المساجد ، والقضاء للأحوال الشخصية ، والاشراف على الاوقاف ، والتجارة الداخلية ، ومراقبة الشركات والموازين والمكاييل ، ونظر الدعاوى المدنية والجنائية ، وكان له حق الحكم بالعقوبات من أدناها إلى أقصاها (الاعدام) ، وكان يعين نقيب رؤساء الطوائف ، ويستقبل قناصل الدول . ويقبل أوراق إعتمادهم ، وغير ذلك من الأعمال الأخرى (١٣٢) وكان معظم الموظفين من العرب ، ما عدا الحاكم ورؤساء بعض المصالح ، فقد كانوا من الأتراك ، وكان لواء القدس الشريف يمثل في البرلمان العثماني (حتى ١٩٠٨) بثلاثة نواب .

وكان الأمن مستتبا في أواخر القرن الماضي ، ولكن الأتراك - قبل قيام الحرب العالمية الأولى - قاموا بالقبض على الأحرار من العرب وأعدموا البعض منهم ، فانضموا إلى الشريف حسين أمير مكة سنة ١٩١٥ ، وكان ذلك من ضمن الأسباب التي أدت إلى خسارة الأتراك للحرب ، وانتقال القدس إلى أيدي الإنجليز .

أما بالنسبة للنواحي الاقتصادية في القدس ، فقد كانت المساكن متوفرة ورخيصة ففي سنة ١٨٦٢ كان الرأس من الغنم بقرش ونصف ، والدار المكونة من ساحة وأربع غرف بعشرين قرشا ، وكان مهر المرأة من ٣ - ٦٥ قرشا فقط ، ومع ذلك كانت هناك طبقة من الفقراء تعيش على الصدقات التي ترسل من دار الخلافة العثمانية ، ومن رؤساء الطوائف المسيحية في أوربا ، وكان يحيط بالقدس مساحات واسعة مزروعة بأشجار الزيتون ، ولهذا كان الزيت متوفراً فيها ، حتى أنه في احدى السنوات سكب الناس زيت العام الماضي ، ليتمكنوا من إيجاد أوعية كافية لزيت الموسم الجديد ، ولهذا كثرت بها مصانع الصابون ، الذي كان يصدر إلى مصر ، ولكن بعد سنة ١٨٧٦م أخذت هذه الصناعة تتضاءل بسبب هجوم أسراب الجراد على أشجار الزيتون ، وقضى الأتراك على بقية الأشجار لحاجتهم للوقود لتسيير قاطراتهم ، وقد اشتهرت القدس بصناعة الصلب والأدوات المدرسية والبضائع المصنوعة من خشب الزيتون والمحلاة بالصدف ، والشموع التي تباع في مواسم الحج ، وكانت المعاملات التجارية شفوية (أي دون عقود أو سمسرة) وكان بالمدينة (عام ١٨٧٦) ١٣٢٠ دكانا يشتغل فيها ١٩٢٠ عاملا من أرباب الحرف السابقة .

وقد برزت فى تاريخ القدس أيام الأتراك مشكلتان هما :ـ

أولا : مشكلة محاولات المسيحيين الغربيين التسرب إلى إدارة المقدسات الدينية عن طريق إنتهاز الظروف السياسية التى كانت تمر بها الدولة العثمانية : —

تبدأ هذه المحاولات منذ سنة ١٦٨٦ م حينما تآمر الافرنج على قتـــل البطريرك ذوثيؤس ، فهرب الى بيروت ومنها الى الآستانة متنكراً وجدد الأوامر الممنوحة له من الباب العالى ، وكان سلفه قد هرب إلى دير سانت كاترين بسيناء ، خوفا من بطش اللاتين وفى نهاية القرن السابع عشر تمكن اللاتين من الحصول على فرمان عثمانى بالاستيلاء على كنيسة القيامة وبقية المزارات المسيحية ، وذلك لأسباب سياسية هى محاولة تركيا الحصول على مساعدة فرنسا فى حربها ضد المانيا ، وظل الاوربيون يسيطرون على هذه المقدسات حتى سنة ١٧٥٦ ، حينما طالب أبناء الكنيسة الأرثوذكسية بعودة سلطتهم على الأماكن المقدسة ، على أساس أن صلاح الدين الايوبى عندما طرد الصليبيين ، أرجع القبر المقدس مع سائر الأماكن المقدسة الى الأرثوذكس الوطنيين ، ونالوا فعلا حقهم .

ولكن سرعان ماتجدد المسعى الغربى لدى السلطان لإعادة الفرنجة لنفوذهم بالقدس فأصدر شيخ الاسلام فتوى تعززالوجود الأرثوذكسى،قال فيها« إنه ليس حق ولامشروع ولا من مبادىء السلاطين الشريفة أن تداس فرامانات السلاطين العظام فتعطى مزارات الأرثوذكسيين للغربيين . . » (١٣٣) .

ولما إحترقت كنيسة القيامة (ربما بسبب غيظ الارمن من الفرمان الذى أصدره السلطان سليم الثالث سنة ١٨٠٣ ، الذى خص فيه الروم بجزيل عطفه ، مما أشعر الارمن بأنهم طائفة ليس لها نفس الحظـــوة التى للروم واللاتين ، فراحوا يبحثون عن طريقة للانتقام ، فأحدثوا حريقاً سنة ١٨٠٨ اندلع من كنيستهم إلى أجزاء أخرى من كنيسة القيامة ، وأغلقوا الابواب فى وجوه رهبان الروم واللاتين الذين هرعوا ليطفئوا النيران (١٣٤)) ، وخاب أمل الأرمن بعدما رخص السلطان العثمانى الروم بتعمير الكنيسة ، وحاول اللاتين أن يتدخلوا ويساهموا فى الترميم وإعادة البناء كما كان ، فألف السلطان مجلس تحكيم من مشايخ الاسلام ، الذين أصدروا فتوى قالوا فيها « بأن للارثوذكس وحدهم الحق فى القيام بهذا العمل ، حتى لا يعطى السماح للفرنجة — بالمشاركة فى البناء — حقاً قد يطالبون به فى المستقبل » . وهذا يدل على أنه إلى هذا الحد من الاحتياط رعى الحكام المسلمون حق الكنيسة الارثوذكسية فى مقدساتها :

وفى أثناء حكم محمد على القدس قدم له ضابط روسى جاء للزيارة سنة ١٨٣٤ شكوى، صدر على أثرها الأمر بإلغاء ضريبة الخفر، التى كان يحصلها حامل المفاتيح (البواب) وتعرضت الأرض المقدسة لانتشار وباء الكوليرا فى سنوات ١٨٣٧، ١٨٣٨، ١٨٣٩ وذهبت ضحيتها الآلاف من سكان القدس، ومنذ سنة ١٨٥١ أصبحت الأماكن المقدسة مسرحاً للصراع السياسى بين الدول الأوروبية، فقد وضعت بعض المزارات المقدسة تحت حماية فرنسا، التى كانت تحمى الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية، بينما نالت روسيا أيضاً حق السيطرة على عدة أماكن أخرى، بحجة أنها تحمى الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية، وساءت الأحوال تدريجياً، فحدثت مصادمات بين أبناء الكنيستين. مما أدى إلى قيام سفيرى فرنسا وروسيا برفع شكواهما إلى الباب العالى، الذى أصدر فرمانين آخرين يحدد فى كل منهما حقوق الكنيستين. ونجح السفيران فى الحصول على فرمانين آخرين. مما أثار روسيا فغزت تركيا سنة ١٨٥٣، للحصول على مطالبها فى الأرض المقدسة، فاتجهت تركيا نحو فرنسا وانجلترا، مما أدى إلى قيام حرب القرم (١٨٥٤ — ١٨٥٦) وبعد ذلك منح السلطان عبد العزيز إمبراطورية روسيا إمتيازات أخرى فى الحماية على بعض المزارات عدة مرات، وبعد ذلك صدر فرمان جديد سنة ١٨٥٦ (الخط الهمايونى) نلخصه فيما يلى لأهميته :—

١ ـ أكد عدم التمييز الطبقى أو الدينى، وتأمين جميع الملل فى أشخاصهم وأموالهم.

٢ ـ تثبيت كل المزايا الممنوحة سابقاً للطوائف المسيحية.

٣ ـ تنسيق السلطات الممنوحة من السلطان محمود الثانى (١٨١٠ - ١٨٣٩) وخلفائه لبطاركة وأساقفة المذاهب المسيحية، بحيث تتمشى مع الوضع الجديد المزمع تأمينه لتلك الطوائف.

٤ ـ تنظيم انتخاب رجال الدين المسيحيين وتعيينهم.

٥ ـ تخفيف القيود المفروضة على إنشاء وتعمير مبانى الطوائف المخصصة للعبادة.

٦ ـ منع كل تفرقة أو تسمية يقصد بها الحط من قدر أى طائفة بسبب الدين أو اللغة أو الجنس فى المراسيم الإدارية، وعقاب كل من يستعمل الألفاظ الجارحة أو المهينة، سواء كان مصدرها الأفراد أو السلطات.

٧ ـ حرية ممارسة العقائد، وعدم مضايقة أى فرد من الرعايا فى ممارسة دينه،

أو أحداث أى متاعب له بسببه ، وعدم إكراه أحد على تغيير دينه[١٣٥].

ولكن مع هذا كله فقد منحت تركيا امتيازات لألمانيا لتحقيق أطماعها فى القدس منذ سنة ١٨٨٨ م ، فأنشئت كنيسة لوثرية على أنقاض البيمارستان القديم، وبنى الكاثوليك الألمان كنيسة وديراً على جبل صهيون ، وحضر الامبراطور وليم الثانى القدس ، بعد أن استعدت له السلطات التركية بطريقة تليق بمقامه ، فأزالت جزءاً من السور القديم بين قلعه داود وباب يافا ، لتمهيد طريق كما سبقت الاشارة ، وكان هذا الامبراطور قد شجع الألمان على النزوح إلى المدينة المقدسة والسيطرة عليها ، فانتشرت الأبنية الألمانية مثل دار الضيافة ، التى أقيمت على جبل سكوبس ، ودار باسم بولس الرسول خارج الأسوار فى الشمال .

ولما قام الأوربيون بعمل فتنة سنة ١٩٠٨ لمحاولة عزل البطريرك الأرثوذكسى داميانوس ، قامت مظاهرات شعبية ضخمة تأييداً له ، إشترك فيها المواطنون من المسلمين والمسيحيين أتباعه ، عندما أدركوا جميعا أن يداً أجنبية وراء محاولة العزل ، بل أدى الأمر أن أبلغ الضباط الأتراك حكومتهم بأنهم لن يطلقوا النار على الشعب الغاضب إذا ما طلب منهم ذلك ، وفعلا نجح هذا الاجماع العربى الاسلامى المسيحى فى إلغاء قرار العزل ، وعاد البطريرك إلى خدمته ، وظل يمارس عمله حتى دخول الانجليز للقدس سنة ١٩١٧ م .

ثانياً :ـ مشكلة الخطر الصهيونى فى الأرض المقدسة :ـ

بعد أن تشتت اليهود فى العالم ، عاشوا طوال العصور الوسطى جماعة مهملة تشتغل بالتجارة والصياغة ، وفى سنة ١٤٩٦ طردهم الأسبان (وكانوا نحو ٨٠٠,٠٠٠) فاتجهوا نحو بلاد المغرب وتركيا ، وكانوا يحملون معهم ثرواتهم ، لكنهم لم يكونوا متعلمين كلهم .

وبعد الفتح العثمانى للشام سنة ١٥١٧ جاء بعض اليهود لفلسطين ، وقد نكل بهم السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥) بسبب دسائسهم . وبعد المذبحة التى حدثت لهم فى أكرانيا على يد القوزاق شميلنسكى Chmielnicki سنة ١٦٤٨م هرب منهم عدد كبير إلى الاراضى المقدسة وسمح لهم بسكنى الحى ، الذى تسمى باسمهم فى القدس بالقرب من السور الجنوبى ، وكانوا مجموعتين رئيسيتين الإشكنازى Ashkenazim والسفاردى

Sephardim والأولى كانت تتحدث العبرية بلهجة ألمانية ، تسمى يديش yiddish وجاءت من شمال أوربا ، بينما ترجع الأخرى إلى أصول أسبانية وبرتغالية وتتكلم بلهجة تسمى لادينو Ladino ، وهي خليط من الأسبانية والبرتغالية والعبرية والعربية ، وسكنت في الحي اليهودي بالقدس - جماعة القرائين Karaite community وتضم ١٥ فردا فقط . واقيم مجمع يهودي (كنيس) باسم بيث يعقوب Beth jacov بنشاء موسى مونتفيوري والفونس روتشيلد محل مجمع قديم ، كما شيدوا مجمعا آخر باسم معزي صهيون Menahem Zion وسمح العرب لليهود بأن يقيموا الصلوات عند حائط الهيكل وخاصة في يوم ٩ آب وهو - كما يقولون - تاريخ تدمير الهيكل على يد الرومان ، وفي هذا اليوم كانوا ينوحون ويتلون جزءاً من العهد القديم (مراثي أرميا النبي)(١٣٦) وفي سنة ١٦٦٣ حدث أن جاء للقدس يهودي يسمى شبتاى زيفي وادعى أنه مسيح اليهود المنتظر ، والتف حوله اليهود ولكنه مات فجأة ومازال له بعض الأتباع منهم .

وفي القرن الثامن عشر جاء بعض اليهود من بولندا وروسيا واستقروا في الجليل بعد أن قبلهم الأمير العربي ظاهر العمر ، وفي سنة ١٧٩٨ أرسل يهود فرنسا إلى نابليون خطابا - عندما جاء لمصر - نشر صورته اليهودي ايلي ليفي ، وقالوا فيه « إن عددنا ستة ملايين ونحن منتشرون في جميع أقطار العالم ، وفي حوزتنا ثروات طائلة وممتلكات شاسعة ، فيجب أن نتذرع بكل الوسائل التي لدينا لاستعادة فلسطين ، وأما البلاد التي ننوي قبولها بالاتفاق مع فرنسا فهي أقليم الوجه البحري من مصر ، مع حفظ منطقة شاسعة المدى يمتد خطها من مدينة عكا إلى البحر الميت ، ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر ، فهذا المركز الملائم أكثر من أي مركز آخر يجعلنا بواسطة سير الملاحة الآتية من البحر الأحمر - قابضين على ناصية تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقية ، وموقع بلادنا على البحر الأبيض المتوسط سيمكننا من إقامة مواصلات سهلة مع فرنسا وبقية دول أوربا ، أما الاتفاقات والترتيبات الأخرى الخاصة باقتراحاتنا على الباب العالي فلا يسوغ نشرها علنا ، وسنكون مضطرين لإبقاء هذه المسألة منوطة بحسن إدارة الأمة الفرنسية ، ويجب ألا ندخر وسيلة أو تضحية في سبيل الوصول إلى هذه الغاية »(١٣٧) ، وقد قام نابليون بإرسال منشور سري لزعماء اليهود في آسيا وأفريقية ليجمعهم تحت قيادته في أثناء زحفه على فلسطين لطرد الأتراك منها ، ووعدهم بتعمير القدس وإسكانهم فيها ، ولكنهم كان لديهم بعد نظر فرفشله أمام العثمانيين ، فمال يهود الشام نحو السلطان العثماني - كما قال الكولونيل سباستيان في تقرير له من الآستانة سنة ١٨٠٢ لتحقيق أغراضهم في الأرض المقدسة ، وحاولوا استغلال رفق السلاطين في محاولة الحصول منهم على إذن

رسمى بالتملك فى فلسطين ، ولكن باءت كل محاولاتهم بالفشل وخاصة أيام السلطان عبد الحميد ، على الرغم من ضائقته المالية الشديدة وإغراءاتهم بمساعدته بالمال .

وفى سنة ١٨٢٠ هاجم بعض الغوغاء بطريركية الروم بتحريض من حاكم القدس المسمى سليمان أفندى (الذى كان يهوديا قبل أن يعتنق الإسلام) فسادت الفوضى المدينة ، وسرعان ما اجتمع أعيان القدس المسلمين ، وأذاعوا بيانا بتوقيعهم مطالبين بعدم تصديق إشاعات المغرضين .

ولما خضعت المدينة المقدسة لحكم محمد على ، ضيق على اليهود واتهمهم سنة ١٨٤٠ م باغتيال الفرنسيسكانى المدعو كابشين Capuchin

والحقيقة أن اليهود - حتى ذلك الوقت - لم يكن لهم أى وجود سياسى كما يقول الكاتب أوجين هود (١٢٨) E. Hoade الذى يضيف بأنهم لم يتمكنوا من انشاء مستعمرات زراعية إلا فى أوائل القرن الحالى ، ويقول أيضا بأنهم كانوا أقلية صغيرة تافهة (سنة ١٨٣٩ كانوا ١٢٫٠٠٠ ، سنة ١٨٨٠ وصلوا إلى ٣٥٫٠٠٠ وفى أوائل القرن الحالى ٧٠٫٠٠٠ فقط) ومن الجدير بالذكر أن هذا الكاتب يشير إلى محبة المسلمين لهم وكيف كانوا يعطفون عليهم لفقرهم ، بل وكانوا يسرعون لتقديم المساعدات العينية والنقدية لهم فى أوقات المجاعات (١٢٩).

أما أطماع اليهود فى الأرض المقدسة التى زادت فى القرن الحالى ووصلت قمتها الآن ، فهى معروفة جيداً ، ولسنا فى حاجة أن نكررها فى هذا الكتاب حيث تحدثت فيها المؤلفات ، وعلى كل فهى تبدأ - كما هو معروف - بالمؤتمر الصهيونى الاول ، الذى عقده تيودور هرتزل اليهودى النمسوى فى مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ رفيه وضعت أسس أول حركة سياسية يهودية عرفت بالصهيونية Zionism وكان يحمل هدفها طرد العرب من فلسطين تدريجيا وإقامة دولة يهودية عنصرية دينية خالصة عليها ، بتجميع اليهود المشتتين فى أنحاء العالم فيها ، وجعل القدس عاصمة لها وإعادة بناء هيكل سليمان . وسوف نستكمل بقية المؤامرة الصهيونية والحوادث الدموية التى ترتبت عليها ، بعد أن نتحدث أولا عن خضوع فلسطين لبريطانيا .

الفصل الحادى والعشرون

القدس تحت الحكم البريطانى

زحفت القوات البريطانية على فلسطين من مصر ، واستولت فى آخر تقدم لها نحو الشمال على قرية النبي صمويل ، التى تعتبر فى نظر العسكريين مفتاح القدس وأخطأ الاتراك فى القتال ، فبدلا من الثبات فى خنادقهم وورد الغارات ، راحوا يقومون بهجمات مضادة أنهكت قواهم . فدب اليأس فى قلب الحامية التركية بالقدس (٥٠،٠٠٠ مقاتل) بسبب الجوع والمرض وقلة المؤن والذخائر ، فى الوقت الذى وصلت فيه نجدات بريطانية جديدة واستولت على وادى الصرار وبيت لحم وعين كارم ، وراحت المدافع الانجليزية تدق القدس من الشمال والغرب والجنوب ، مما دفع بالمتصرف التركى أن يدلى بالحقيقة المرة لسكان القدس بقدرة البريطانيين على هزيمتهم ، وحملهم رسالة نصها : —

« إلى القيادة الانجليزية — منذ يومين والقنابل تتساقط على القدس ، المقدسة لدى كل ملة ، فالحكومة العثمانية — محافظة منها على الأماكن المقدسة من الخراب — قد سحبت عساكرها من المدينة ، وأقامت موظفين لكى يحافظوا على الأماكن الدينية كالقيامة والمسجد الأقصى ، وعلى أمل أن تكون المعاملة من قبلكم على هذا الوجه أيضا ، فإنى أبعث بهذه الرسالة مع حسين بك الحسينى رئيس بلدية القدس بالوكالة »(١٤٥).

وفى صباح اليوم التالى انسحب الاتراك من المدينة فدخلها الانجليز ، وكان يوم الاحد الموافق ٩ ديسمبر سنة ١٩١٩ عن طريق الشيخ بدر ، وهو حى فى غرب المدينة وبعد يومين دخلها السير أدموند اللنبى Allenby قائد الحملة البريطانية ، من طريق باب الخليل . ومن على سلم القلعة أذاع بيانا بمكبرات الصوت ، أعلن فيه الاحكام العرفية على المدينة ، وطمأن الاهالى بأنهم لن ينالهم جوع ، كما كان يحدث لهم فى العصر التركى على حد قوله ، وأن جميع الأماكن المقدسة ستصان . ونصب الانجليز عمودا من الرخام تذكارا للفتح ، وأخفوا فى حديقته صليبا ، دون أن يكون ظاهرا من بعيد بناء على طلب اليهود ، وأقام البريطانيون حكومة عسكرية للقدس .

وقد فوجيء العرب بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى بعدم تحقيق آمالهم فى الاستقلال وفوجئوا بظهور وعد بلفور المشئوم فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ م بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، ولم يذع بالطبع إلا بعد إنتهاء الحرب ، حيث لم يعد الانجليز فى حاجة إلى مساعدات العرب ، فاندلعت الثورات فى الأرض المقدسة ، وعقدت الجمعيات الإسلامية والمسيحية فى يافا مؤتمرا عاما سنة ١٩١٩ . قرر فيه المجتمعون أن ينضموا لسوريا ، وفى ٤ أبريل سنة ١٩٢٠ حدثت اضطرابات قتل فيها ٩ من اليهود ، ٤ من العرب وجرح فيها ٢٥٠ يهوديا ، ٢١ عربيا ، فأعلنت بريطانيا الأحكام العرفية وتألفت محاكم عسكرية لمحاكمة الشباب الثائر ، واضطرت الحكومة البريطانية إلى انشاء إدارة مدنية بالقدس وتقرر فى مؤتمر سان ريمو فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٠ بأن تتحول فلسطين إلى محمية بريطانية ووصل أول مندوب سام فى أول يوليو وهو السير هربرت صموئيل Herbert Samuel وهبط إلى القدس فى حراسة الطائرات والدبابات خشية أن يغتاله العرب لأنه فى الأصل يهودى إنجليزى . ومما فعله أنه حظر على السكان العرب حمل السلاح ، فى الوقت الذى زود فيه المستعمرات اليهودية بالسلاح ودربهم على القتال وجعل اللغة العبرية مع العربية والانجليزية من اللغات الرسمية وفتح باب الهجرة لليهود حتى بلغوا فى عهده نحو ٠٠٠ر١٠٠ وسمح لهم بشراء الأراضى كيفما شاؤا وزادت أملاكهم فى القدس ، وصرح لشركة انجليزية - يهودية بشراء حق إضاءة المدينة مع قطاعاتها (رام الله - بيت لحم - بيت جالا) من رجل يونانى ، كان قد حصل على هذا الامتياز فى العهد التركى وكانت له اليد الطولى فى أن أصرت بريطانيا فى دستور سنة ١٩٢٢ على أن فلسطين وطن قومى لليهود ، وقد عانت القدس كثيرا من مظالم هذا المندوب .

ومن الجدير بالذكر أن عصبة الأمم لم توافق على الانتداب البريطانى فى فلسطين إلا بعد تحفظ صريح على وعد بلفور ، يقضى باستبعاد إنشاء دولة يهودية فى فلسطين وقد قدم مجلس لإدارة المنظمة الصهيونية إقرارا بذلك ، فقدمته بريطانيا بدورها إلى عصبة الأمم .

ثم جاء حاكم آخر هو الفيلد مارشال بلومر Plumer سنة ١٩٢٥ فأدار الأرض المقدسة بنظام عسكرى صارم ، وأكثر من الموظفين الانجليز ، وفى سنة ١٩٢٧ حدث زلزال عنيف بالقدس قتل الكثير من سكانها ، وهدم أجزاء منها ، وفى ٥ أغسطس سنة ١٩٢٩ قامت عدة اضطرابات بالمدينة المقدسة (ثورة البراق) عندما حاول بعض اليهود وضع بعض الكراسى والمصابيح والستائر فى ساحة الحرم الشريف بالقرب من

حائط المبكى متجاهلين بذلك العرف السائد من عدة قرون وجرح فى هذه الاضطرابات ٤٧٢ يهوديا ، ٢٣٨ عربيا ، وكانت قد سبقتها عدة مناوشات فى السنة السابقة وكان حاكم القدس وقتهـــا هو السير جون تشانسلر John Chancellor فعقد المسلمون مؤتمرا إسلاميا فى تلك السنة بالقدس ، احتجوا فيه على تصرفات اليهود فأرسل وزير المستعمرات البريطانى لجنة إلى المدينة المقدسة (لجنـــة البراق) وبعد تحقيق فى الأوضاع دام شهراً وضعت اللجنة تقريراً (الكتاب الأبيض رقم ٣٢٢٩ لسنة ١٩٢٨) يقرر صراحة ضرورة الاحتفاظ بالوضع الراهن فى القدس Status Quo

ولم يرض اليهود طبعا بهذا القرار بل راحوا يتحدونه علنا ، كما تحدوا العرب أيضا مما أدى إلى قيام ثورة عربية عارمة دمرت مستعمرات يهودية تدميراً كاملا فأرسلت عصبة الأمم سنة ١٩٣٠ لجنـــة دولية محايدة برئاسة السير والترشو Walter Show وبذلت اللجنة جهـــوداً كبيرة فى سبيل تحرى الحقائق ، والاستماع إلى وجهتى النظر العربية واليهودية والاطلاع على المخطوطات العربية القديمة ، وأصدرت قرارها (رقم ٣٥٠ لسنة ١٩٣٠) فجاء لصالح العرب ، لكنه للأسف لم ينفذ منه شيء وكان يقضى بضرورة الخضوع إلى نظام الوضع القائم فعلا على أساس :ــ

١ ـ أن للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربى للمسجد الأقصى (المبكى) ، ولهم وحدهم الحق العينى فيه ، لأنه يؤلف جزءا هاما من هذا المسجد .

٢ ـ للمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط وأمام حارة المغاربة لكونه موقوفا حسب الشرع الاسلامى لجهات البر .

٣ ـ أدوات العبادة التى يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط ، لا يجوز بأى حال من الأحوال أن تعتبر ـــ أو أن يكون من شأنها ترتيب حـــق عينى فى الحـائط أو الرصيف المجاور له .

وهذا القرار الدولى له أهمية كبرى كوثيقة دامغة لإبراز عربية القدس وفى إثبات ملكية العرب لهذا المكان المقدس (١٤١)

وقد تكررت الثورة العربية سنة ١٩٣٥ بعد سماح الانجليز بهجرة عدد كبير من اليهود إلى الاراضى المقدسة من ألمانيا النازية ، ثم تكهرب الجو فى أواخر سنة ١٩٣٥ بسبب بيع الأراضى لليهود واشتداد تيار الهجرة ، فقد دخل فى هذا العام وحده خمسون

ألف يهودى ، مما أدى إلى إندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٣٦. ودامت ستة أشهر كاملة ، وراح رجال الدين يعظون العرب فى مساجدهم وكنائسهم بالثورة التى قتل فيها ١٢٢ من اليهود ، ١٩٣ من العرب وجرح فيها المئات من الطرفين .

وهكذا خلقت المشكلة الصهيونية فى الأرض المقدسة تحت حماية وسمع الاستعمار البريطانى الذى شجع الهجرة اليهودية والتوسع فى إقامة المستعمرات من أموال البارون اليهودى المليونير دى روتشيلد والهيئات الصهيونية التى نشطت فى جمع المال من يهود أوروبا وأمريكا (١٤٢) .

لكن لم تزد المساحة التى اشتراها اليهود فعلا منذ سنة ١٩٢٠ حتى طرد العرب من أراضيهم سنة ١٩٤٨ عن ٤٪ فقط من جملة مساحة فلسطين ، وقد اشتروا معظمها من ملاك غير فلسطينيين يقيمون خارج فلسطين، كما سهل لهم الانتداب البريطانى الاستيلاء على مساحات من الأراضى الأميرية .

والحقيقة أن فكرة الوطن القومى لليهود كادت تموت . فلولا بعض الظروف السياسية الدولية فى الثلاثينات ، مثل ظهور النازية الألمانية سنة ١٩٣٣ واضطهاد هتلر لليهود ، واشتراكهم بفرقة خاصة لكسب عطف الحلفاء وقد استخدموا أسلحتها فيما بعد فى إرهاب العرب وطردهم من بلادهم ، كما تدخلت الأجهزة الصهيونية بمالها من سيطرة كبيرة على وسائل الإعلام ، وتغلغلها فى الاقتصاد الأوربى والأمريكى ، فضغطت على الولايات المتحدة ، بعد أن قل ميل الانجليز إلى فكرة الوطن القومى . وكان من نتيجة اشتداد العسكرية الصهيونية فى فلسطين ممثلة فى عصابات الهاجاناه والبالماخ وأرجون وشيترن وغيرها — أن حدثت اشتباكات دامية مع العرب بالإضافة إلى قيام العرب بالثورة على الادارة البريطانية :

ومع حلول عام ١٩٤٧ كانت بريطانيا قد فشلت فى إيجاد حل لقضية فلسطين ، بعد أن تعقدت نتيجة لسياستها المتحيزة إلى جانب اليهود طوال ربع قرن فقررت أن تحيل المشكلة برمتها إلى هيئة الأمم المتحدة ، التى تمكنت المناورات السياسية التى قامت فيها من إحياء مشروع بريطانى قديم رفضه العرب ، ويقضى بتقسيم فلسطين وقررت الجمعية العامة (٥٦ دولة) الموافقة على إنهاء الانتداب وانشاء دولتين إحداهما عربية والأخرى يهودية ، ووافقت ٣٣ دولة، وعارضت ١٣ وامتنعت ١٠ دول .

والحقيقة أنه لولا وقوف الولايات المتحدة مع هذا القرار لرفضته الأمم المتحدة ، وتضمن القرار أيضا تدويل القدس بما فيها بيت لحم ، وطبعا رفضته الدول العربية وتدخلت عسكريا يوم ١٩٤٨/٥/١٥ وهو موعد إنسحاب آخر جندى بريطانى بعد إنهاء الإنتداب واعلان قيام دولة اسرائيل ، ويرجع فشل المقاومة الفلسطينية فى السنوات السابقة على حرب سنة ١٩٤٨ إلى عدم وجود قيادة سياسية تستطيع تعبئة الشعب بكل طاقاته لخدمة المعركة وعدم توفر المنظمات العربية لتدريب الشباب ومدهم بأحدث سلاح وحصار الاستعمار لفلسطين ورفضه دخول أى عتاد أو رجال لها ، ووقوع معظم الدول العربية التى تساند فلسطين تحت سيطرة الاستعمار ، ونتيجة لهذه الأوضاع السيئة تمكن اليهود من الاستيلاء على بعض الأراضى فى القدس (الشطر اليهودى) بإستخدام الإرهاب لإجبار السكان العرب على الهرب تاركين ضياعهم وممتلكاتهم وعن طريق سياسة الاجبار على بيع الأراضى تحت ضغط الضرائب الباهظة ، التى يعجز أصحاب الأراضى عن تسديدها والتى كانت تفوق ما يدفع فى العهد التركى ، ولم تسلم الأوقاف المسيحية والاسلامية من الاستيلاء والهدم لانشاء أبنية لاستيعاب المهاجرين الجدد ولم يقم اليهود بتنفيذ قرار الأمم المتحدة فى ١٩٤٨/١٢/١١ الخاص بضرورة عودة اللاجئين إلى ديارهم .

وقد خاض العرب معارك ضارية من أجل المحافظة على القدس وكانوا يستولون على معظم الطرق المؤدية إلى المنطقة التى يحتلها اليهود من المدينة المقدسة ولكن لم يبق لهم فى سنة ١٩٤٨ سوى القدس القديمة والأحياء الجديدة فى باب الساهرة والشيخ جراح ووادى الجوز ، وهى التى ظلت فى يد الإدارة الأردنية العربية حتى يونيو سنة ١٩٦٧ .

دحض الاراء الصهيونية :ـ

قامت الدعاية اليهودية على عدة أسس أهمها : ـ

١ ـ أن اليهود جاءوا إلى الأرض المقدسة لتعميرها .

٢ ـ أنهم يودون إقامة دولة عنصرية دينية تضم كل سلالة بنى اسرائيل على أساس أن فلسطين هى أرض الموعد، التى منحها الله لهم منذ أيام سيدنا ابراهيم الخليل ، وأنهم سلالة العبرانيين القدماء (النقية) .

وللرد على هذه الدعاية نذكر فقط ما كتبه الغربيون والكتاب اليهود

أنفسهم تفنيـــداً لمـــزاعم بنى جلدتهم:ـ

فالزعم بأن اليهود جاءوا إلى فلسطين فى القرن العشرين لتعميرها زعـم باطل ، إذ أن سكانها ـ طبقا للاحصاء الذى نشره اليهودى ايلى ليفى كان ٨٠٨ر٤٦٦ نسمة سنة ١٩٢٥ منهم على حد قوله ٠٠٠ر٨٤ يهودى فقط ، وعلى حسب روايته فإن كل يهودى كان يقابله عشرة من العرب (رغم صغر مساحة الأرض المقدسة) وأضاف هذا الكاتب « أن توالى الهجرة اليهودية قـــد تضاءل أمام زيادة المواليد العرب ، فكانت الزيادة الطبيعية تسير بمعدل ١٣٠٠ مولود عربى كل عام فى مقابل ١٩٠ يهودى ، ويضيف أيضا ـ أنه فى سنوات ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٢ حجب طوفان المواليـد العرب الهجرة اليهودية » وكان معدل الزيادة بهذه النسبة منـــذ ذلك التاريخ ـ كفيل بوجود تضخم فى عدد السكان لصغر مساحة الأرض المقدسة ، والحقيقة أن القصد من هذه الدعاية كان التمهيد لهجرة عدد كبير من اليهود ، وطرد سكانها الحقيقيين منها لإحلالهم محلهم ، كما كانت ترمى إلى التوسـع فى المستقبل بضم أراض جديدة من الأراضى العربية الأخـرى لتحقيق حلمهم القديم وهـو إقامة دولة تمتد من النيل للفرات كما سبقت الاشارة ؛ وهذا ما أكـده بن جوريون (رئيس وزراء اسرائيل الأسبق) فى أول يوم لقيام الكيان الاسرائيلى المصطنع بقوله « ليست هذه هى النهاية ، إننا اليوم (١٩٤٨) قد بدأنا وعلينا أن نمضـــى لتحقيق قيام الدولة اليهودية من النيل للفرات »[١٤٣] :

أما بالنسبة لزعم اليهود بقيام وطن قومى يهودى عنصرى فى فلسطين عـــلى أساس تاريخى فهو زعم باطل أيضا ، كما يقول اسرائيـل أبرهامز Abrahams أستاذ الأدب العبرى بجامعة كمبردج الذى يذكر فى إحدى مقالاته العلمية « أن فلسطين لم تكن وطنـا لليهود ، فقد هاجروا اليها من العراق وعاشوا فيها كغرباء ، ثم تشتتوا فى كل المدن الهيلينية ، وقال هذا الكاتب اليهودى أيضا « أنه إذا كان اليهود يودون اقامة وطن قومى ، فليكن بعيداً عن فلسطين ، التى يسكنها سكانها الأصليون منذ عدة قرون »[١٤٤] .

ويذكـر الكاتب بازيل ماثيـوز Basil Mathews « أن اليهـود كانوا طوال حياتهم فى فلسطين أقلية تافهة تثير القلاقل السياسية »[١٤٥] .

ويشن راسين Racine هجوما عنيفا عليهم « لأنهم انتزعوا بالقوة أرضــا عربية من أصحابها الآمنين ، وهى كانت ملكا للعرب منذ مئات السنين »[١٤٦]

« مع أنهم قوم مسالمون عاش فى وسطهم اليهود متمتعين بالتسامح التام » على حد قول الكاتب اليهودى لاندشط Landshut « وأن العرب يعتبرون كل انسان يعيش فى بلادهم ويتكلم لغتهم ويشاركهم فى حضارتهم واحـــداً منهم » واليهود يعيشون معهم ويتكلمون العربية ، وقد فتح لهم العرب صدرهم الحنون بعد هروبهم من محاكم التفتيش الاسبانية ، وكان كبير الحاخامات اليهودى يتمتع بالاحترام ، مثـــل حاييم ناحوم ، الذى انتخبه المصريون عضواً فى المجمع اللغوى المصرى، وقد منح القانون المصرى (رقم ٨ لسنة ١٩١٥) اليهود حقهم الكامل فى إدارة أحوالهم الشخصية بمحاكمهم الدينية الخاصة بهم . الـــتى تطبق شريعتهم »(١٤٧).

وقال ايلى ليفى تحت عنوان تسامح العرب نحـــو اليهود « إننـا لسنا نعجب من ذلك التسامح النبيل ، الذى تجلى من جانب العرب المسلمين نحو اليهود ، ولسنا ندهش لأننا نرى سبباً طبيعيا وميلا فطريا فكان العرب فى كل مكان وكل زمن يعاشرون اليهود معاشرة قائمة على الاخلاص وحسن النية ونادراً ما كان ينال اليهود عطفاً يضارع عطف العرب عليهم لدى الأمم الاخرى »(١٤٨).

بل أنه أشار إلى أنه لما قامت الحرب العالمية الأولى فتحت مصر صدرها لاستقبال ١٥٫٠٠٠ يهودى هربوا من فلسطين اليهـا (١٤٩)، ومع كل هذا فإنه لم يخف أطماع اليهود فى السيطرة على أرض العرب من النيل للفرات مع أن كتابه طبع فى مصر(١٥٠):

وقـــد أكد الكاتب اليهودى فيدربوش Federbush « أن حال اليهود فى مصر والشام كان يبعث على الارتياح بعد مرور الحرب العالمية الاولى(١٥١).

ومن حسن الحظ نجد أن المكتبات فى أنحاء العالم كلــه تضم الكثير من الكتب والآلاف من المقالات ، التى حررها رجال الفكر والدين من اليهود ، الذين دافعوا عن وجهة النظر العربية السليمة ، وحملوا على الصهيونية وأطماعها فى فلسطين تحت ستار الدين ونسوق فيما يلى أمثلة من هذه الكتابات والآراء على سبيل المثال لا الحصر . ففى ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٤ قررت الجمعية الاخـــوية اليهودية بلندن برئاسة السير بزول كوهين مناهضة الروح الصهيونية ونادت رسمياً بأن اليهود طائفة دينية تعيش فى أى دولة وليست جماعة قومية سياسية .

وعارض الحبر جر الحاخام اليهودى ورئيس المجلس اليهودى الامريكى فى سان فرنسسكو نظرية القوة اليهودية أو قيـام دولة على أساس جنسى ويراها ضـــد مصلحة

اليهود ، ويصر عـلى ضرورة مشاركة اليهود والفلسطينيين فى إقامة دولة عربية يهودية يتمتع فيها الطرفان بالامتيازات والالتزامات ، مع المسلمين والمسيحيين العرب ، كما أوصى بأن يعود اليهود الأوربيون للبلاد التى فروا منها، ومازال يحرر المقالات حتى اليوم وينشرها فى جريدة النيويورك تيمس الامريكية لمواجهة الفكرة الصهيونية العنصرية ، وكان من المعارضين أيضا للسياسة الصهيونية السير أدوين مونتاجيو الوزير اليهودى فى وزارة لويد جورج ، التى أقرت وعد بلفور .

أما ألفـريد ليلينتال Linlienta1 الكاتب الامريكى المشهور فقد وصف فكرة العودة إلى فلسطين بأنها فكرة عنصرية بغيضة ، ونبه قومه إلى الخطر الذى يهدد اليهود من وراء أفكار الصهيونية (١٥٢).

ونشرت مجلة الفيجارو الفرنسية يوم ١٩٦٢/٢/٢٤ مقالا للصحفى اليهودى ريمون أرون انتقد فيه قيام دولة اسرائيل على فكرة الدين وقال « إن لكل انسان أن يحب وطنه الذى يعيش فيه ، ويعبد آلهه فى أى بقعة من العالم ، وله حرية الإنتماء إلى أى طائفة دينية وأى وحـدة سياسية ، وقال عن نفسه إنه « فرنسى يحب وطنـه فرنسا وإن كان يهـودى المذهب » .

وقد أتخذ المجلس اليهودى الامريكى موقفا معادياً للصهيونية منذ إنشائه سنة ١٩٤٤ على أساس أنها حركة عنصرية متطرفة ، وكان رأيه أن اليهود - كطائفة دينية - يمكن أن يندمجوا فى ظل جنسيات مختلفة ، كما أيد هذه الفكرة أيضا الدكتور ولـيم ماليسون الاستاذ بجامعة جورج واشنطون ، والمستشار القانونى للمجلس اليهودى الامريكى - فى محاضرة ألقاها بدار الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٨ (١٥٣)

وفى مناظرة قامت بين العالم اليهودى المعروف ألبرت أينشتين ، والدكتور فليب حتى ، اللبنانى المولد والاستاذ بجامعة برنستون ، نشرتها جريدة أمريكية سنة ١٩٤٤ تحت عنوان « من الأحق بفلسطين العرب أم اليهود ؟ » (١٥٤) إدعى فيها اينشتين أن اليهود لم يهاجروا منهـا كلهم لمصر أيام يوسف الصديق ، وبقوا حتى دخـول يشوع فلسطين بعـد ٤٣٠ عام ، وفضلا عن أن هـذا الرأى يخالف نصوص التوراة نفسها ، فإنه لا يوجد أى دليـل تاريخى أو أثرى يؤيده ، وبعد ما فند الدكتور فيليب كل مزاعم خصمه - أتفق معـه على أن التفكير فى إنشاء دولة يهودية عـلى

أرض عربية خالصة مغالطة تاريخية وأنه ليس من العدل أبداً أن تحل مشكلة اليهود على حساب العرب الفلسطينيين ، الذين هم فى الحقيقة من ذرية هذا الجنس الذى توطن الأرض المقدسة قبل وصول ابراهيم عليه السلام ، وأن العرب المسلمين هم الذين حملوا مسئولية الإدارة بعد طرد اليهود على يد الرومان منذ القرن الأول الميلادى وبعد أن أفلتت فلسطين نهائيا من يد اليهود وأصبحت مسيحية لا يهودية ، ويؤيد ذلك ما قاله الكاتب أوجين هود « إن المسلمين الفلسطينيين اليوم هم من غير شك سلالة السكان الأصليين لتلك البلاد[١٥٥] .

أما بخصوص زعم الصهيونية بأن اليهود المعاصرين هم من نسل ابراهيم الخليل ، ومحاولتهم الربط بينهم وبين الإسرائيليين فى فلسطين القديمة (العبرانيين) لخلق مبرر لاقامة دولة يهودية على أساس أنهم من عنصر يهودى نقى[١٥٦] » فهو زعم باطل لا يستند إلى أسانيد انثروبولوجية أو تاريخيـه ، فهل نسوا أن اليهود الذين كانوا فى فلسطين قديما قد طردهم البابليون والآشوريون والرومان ، ثم جاءت المسيحية فدفعت بمن بقى منهم إلى إعتناقها ، ثم دخل عدد منهم فى الاسلام بعد ظهور الدعوة الاسلامية ، وهربت البقية الباقية إلى شمال افريقية وآسيا وأوربا وأخيرا إلى امريكا واستراليا وجنوب افريقية . وإمتزجت كل دمائهم بالشعوب التى سكنوا معها ؟ ! أم تناسوا أن الدليل على عدم نقاء الشعب اليهودى ـ منذ أيام أنبيائهم ـ موجود فى توراتهم وتؤيده أقوال علماء الأجناس البشرية ؟ !

ونسوق فيما يلى أمثلة قليلة من التوراة لتأييد وجهة نظرنا هذه على سبيل المثال لا الحصر . ففى (سفر اللاويين ٢٤) يبدو واضحا للقارىء ان تزاوجا حدث بين فتيات يهوديات وبين مصريين أثناء وجود بنى اسرائيل فى وسط الشعب المصرى ٤٣٠ عاما كاملة ، فيقول النص « خرج ابن إمرأة يهودية وهو ابن رجل مصرى » وقد تزوج موسى النبى من امرأة كوشية (حبشية) ومن إبنة كاهن مديان العربية ، وكذلك تزوج يوسف الصديق من أبنة كاهن مصرى كما تقول التوراة ، ويذكر عزرا النبى فى سفره « أن اليهود أثناء السبى (البابلى) اتخذوا زوجات من الشعوب الأخرى ، وأختلط الزرع المقدس (يقصد اليهود) بشعوب الأرض ، وقد تفشى الزواج المختلط بشكل كبير لدرجة أنه أصر على ضرورة ترك نساء الشعوب الأخرى خوفا من فناء الجنس اليهودى تماما ، ولم يتمكن من تنفيذ رغبته ، إذ أن أبناء الكهنة اليهود كانوا قد سلكوا نفس المسلك كما يقول

نحميا النبي « في تلك الأيام رأيت اليهـــود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات ، ونصف كلام بنيهم باللسان الأشـــدودي ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي » .

ومن الأمثلة الواضحة أيضا زواج داود من امرأة حثية وسليمان من ابنة فرعون مصر وزواج إستير اليهودية الجميلة من الملك الفارسي أحشويرش وزواج الكثير من ملوك اسرائيل بالفينيقيات والأمثلة على ذلك كثيرة جدا .

والمهم أن نذكر في هذا المجال وهو ما نريد أن يفهمه الجميع أن اليهودية دين وليست جنساً أو سلالة بشرية ، إعتنقها على مر العصور اشتات من البشر ينتمون لعدة أجناس وسلالات مختلفة ، كما يحدث لأي دين آخر كالمسيحية أو الإسلام أو الهندوكية مثـــلا ، وهناك أمثلة واضحة في تاريخ اليهود ودائرة معارفهم تؤيد هذا الرأي ، فتذكر التوراة أن أسرحدون ملك أشور أرسل عدداً كبيراً من السكان الأشوريين من العـــراق لفلسطين أعتنقوا الديانة اليهودية وأندمجوا في الشعب الاسرائيلي ، وهم الذين سموا بالسامريين ، كما سبقت الاشارة . وذكرت الموسوعة اليهودية خبر اعتناق قبائل الخزر لليهودية ، وانتشار هذه الديانة في عدة أماكن في روسيا وفي أوربا في العصور الوسطى (١٥٧) .

أما من الناحية الانثروبولوجية (الاجناس البشرية) فقد سخر العالم اليهودي فردريك هرز Herz من خرافة السلالة النقية للعبرانيين ، ويرى أن اليهود قد إمتصوا الكثير من الدماء الغربية ، فقد دخل الكثير من اليونانيين والرومان إلى الديانة اليهودية وصاهروا اليهود في القرنين الأول والثاني للميلاد ، وكذلك فعل السلاف والألمان في العصور الوسطى ويذكر هذا العالم أيضا أن اليهود الألمان لا يمتون ليهود فلسطين بصلة أو بشبه (١٥٨)

كما أكد ذلك أيضا عالم الأجناس ريبلي Ripley فقال أنه حدث اختلاط عن طريق الاتصالات غير المشروعة (من الناحية الكنسية) بين المسيحيين واليهود ، وينتهي إلى قوله بأن تسعة أعشار اليهود في العالم اليوم لا يمتون إلى اليهود الاولين بأية صـــلة أو شبه ، وأن القول بنقاء اليهودية خرافة ويستشهد بقول رينان بأن اليهودية ليس لهـــا دلالة أنثروبولوجية لا في أوربا ولا في حـــوض الدانوب ، ويشير كذلك إلى ماقاله العلامة لمبروزو الايطالي من أن اليهود أدنى إلى الجنس الآري منهم إلى الجنس السامي في الوقت الحاضر (١٥٩) .

وقد ذكر المؤرخ العربى البلاذرى صورة كتاب أمان كتبه القائد حبيب بن مسلمة لأهل وسيل (من بلاد الأرمن) ملخصه أنه أعطى الأمان لنصاراها ومجوسها ويهودها أى أنه كان هناك يهود فى هـذه المناطق فى زمن هـذا الكتاب (أى فى عهد عثمان ابن عفان) (١٦٥).

كما كان هناك من عرب الجزيرة العربية من أعتنق اليهودية فى الجاهلية ، فبعد ما نكل الرومان باليهود هربت قبيلة من بنى شمعون إلى شمال يثرب وجنوبها وهم بنـو قريظة وبنو بهدل ، وقد أعتنق ملوك حمير العرب الديانة اليهودية بسبب خصوماتهم مع الروم المسيحيين ، وعمد ذو النواس ملك حمير اليهودى إلى التنكيل بنصارى نجران فقتلهم ورماهم فى أخدود به نار مشتعلة ، كما جاء فى القرآن (سورة البروج ٥ : ٨) فكيف يعقل بعد هذه الأدلة أن اليهود سلالة نقية ؟ .

ومع ذلك فالجنس - من الناحية العلمية لم يعد أساسا لمعرفة الشعوب ، فلا يستطيع أحد أن يعتبر الجنس أساسا لقيام أى تجمع بشرى ، وذلك بعـد الاختلاط الشديد بين الأجناس على مر العصور ، وقد تكون اللغة أحـد الأسس التى تربط بين شعب من الشعوب ، ولكن الجنس أصبح من الصعب تحديده ، بل وأصبح مرفوضا فى المجتمعات الدولية الحديثة أن يكون الجنس هو كل مقومات الدولة ، ولا يستبعد المستشرق الدكتور جرمانوس المجرى - بناء على نظرية اليهود - أن يفعلوا ما فعله هتلر من دمار فى العـالم استنادا إلى عظمة الجنس الآرى (الألمانى) ويصر هذا العالم على أن الاسرائيليين الذين يعيشون الآن على الأرض المقدسة فى تنافر عجيب ليسوا بالطبع من أصل واحد أو من جنس واحد مطلقا ، لأنهم جاءوا من عدة بلاد ، ومن عدة سلالات نتيجة التزاوج بينها ويذكر أيضاً ، ان التاريخ لم يذكر لنا أية دولة قامت على الدين وحده ، فالدولة الاسلامية - على سبيل المثال - ضمت المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والمسيحيين ، وعاشوا جميعاً تحت ظل الادارة العربية فى وئام وسلام » (١٦٦).

هذا فى الوقت الذى يعانى فيه المجتمع الاسرائيلى بالارض المحتلة من التنافر والتفكك مما يؤكد الرأى فى اختلاف جنسيات اليهود الذين جاءوا من عدة دول وعلى فترات مختلفة ، ويناقض مزاعمهم فى ايجاد دولة مترابطة تربطها وحدة الدم .

وأمامنا أمثـلة كثيرة للعداء بين يهود غـرب أوربا ويهود الشرق ، الذين هاجروا لفلسطين من البـلاد العربية وآسيا والبلقان ، فهؤلاء الاولون يحتقرون يهود الشرق ،

الذين يختلفون عنهم في الشكل والمظهر واللغة والعلم والثروة ، ونجدهم يحرمونهم من المراكز الممتازة في البنوك والشركات الاسرائيلية ، كما يفعل الامريكيون بالزنوج في أمريكا الشمالية ، فيدفعونهم إلى أعمال الزراعة (١٢٦ مستعمرة زراعية لليهود الشرقيين مقابل ٩٥ للغربيين) ، وتسود الطبقية في العلاقات الاجتماعية ، فالزواج يتم في نفس الطبقة فقط ، فاليهود الشرقيون لا يمكنهم أن يتزوجوا من اليهوديات الغربيات — وإن حدث فبنسبة ضئيلة جدا ، أما مهاجرو الغرب فهم الأكثر غنى بالطبع ويترفعون عن التزوج بيهوديات أسيويات أو إفريقيات مهما كانت الظروف(٦٢).

وقد بقيت نقطة أخيرة في الرد على مزاعم اليهود بخصوص أرض الموعد وأنهم دون سواهم - شعب الله المختار . لو رجعنا إلى التوراة نجد أن الله أعطى عهداً مشروطاً لبني اسرائيل (خروج ١٩ : ٥ ، ٦) بمساعدتهم طالما ظلوا حافظين وصاياه وإلا أبادهم (تثنية ٨ : ١٩) وشتتهم بين الشعوب في العالم كله (لاويين ٢٦ ، تثنية ٢٨) ، وفعلا نفذ الله وعده وأخرجهم من أرض مصر ، ولكنهم تذمروا عليه في الطريق نحو فلسطين عشرة مرات (خروج ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، عدد ١١ ، ١٤) ، بل وتركوه تعالى وعبدوا الأوثان (خروج ٣٢) وقد عدد سفر القضاة (١٠ : ٦) هذه الأوثان الكثيرة بقوله « فعبدوا البعليم والعشتاروث وآلهة آرام ، وآلهة صيدون ، وآلهة موآب ، وآلهة بني عمون ، وآلهة الفلسطينيين » . وقد أورد سفر الملوك الثاني موجزاً لشرورهم بقوله « إنهم عملوا أموراً قبيحة لإغاظة الرب ، ولم يسمعوا لكلامه ، ولم يحفظوا وصاياه ، بل صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب ، ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم » (٢ ملوك ١٧ : ٧ — ١٨) ، وزاغوا جميعا عن طريق الحق ، حتى أن الله كان مستعداً أن يصفح عن أورشليم إن وجد فيها شخصاً واحداً فقط يعرف طريق الله ، ولم يجد هذا الواحد (أرميا ٥ : ١)

ولهذا قال الله على فم أرميا النبي « هكذا أكسر هذا الشعب . وهذه المدينة (القدس) كما يكسر وعاء الفخاري ، بحيث لا يمكن جبره بعد » (أرميا ١٩ : ١١) ، وقال الرب أيضا « أنتم تركتموني وعبدتم آلهة أخرى . لذلك لا أعود أخلصكم » (قضاة ١٠ : ١٣) ، وتذكر التوراة صراحة أن الله رفضهم (أرميا ٦ : ٢٨) وقال لهم على فم هوشع النبي « لأنكم لستم شعبي ، ولا أنا أكون لكم آلها » وأكد لهم تعالى « أنه قد تنحى عنهم » (هوشع ٥ : ٦) ، وقال بولس الرسول « إن غضب الله قد حل عليهم إلى

النهاية » (١ تسالونيكى ٢ : ١٥) ، وقد بلغ من شدة غضبه تعالى على هـــذا الشعب الغليظ الرقبة أنه رفض شفاعة أعظم الأنبياء فيهم فقال لارميا النبى « وأنت فلا تصل لأجل هذا الشعب ، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ولا تلح على ، لإنى لا أسمع منك » وقال تعالى أيضا « لا تصل لأجل هـذا الشعب للخير . . . أنا أفنيهم » وأضاف الخالق « بأنه وإن وقف موسى وصموئيل أمامى لا تكون نفسى نحو هذا الشعب » (أرميا ٧ ، ١٤ ، ١٥) ولهذا رفع الله عهده لهم فسباهم البابليون (أرميا ٩ ، ١٥ ، ٨ ، هوشع ٩ : ١٦ ، صفنيا ١ : ١٦ ، عاموس ٩ : ٨) .

ثم تشتتوا فى العالم أجمع (لوقا ٢١ : ٢٤) على يد الرومان ، بعد أن أعلمهم المسيح بقرب خراب هيكلهم المقدس ، الذى كانوا يتباهون به (لوقا ١٣ : ١٤) وقال لهم جهراً « إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (متى ٢١ : ٣٣) .

ويقول قداسة البابا الأنبا شنودة الثالث[١٦٣] « إن المسيحية لا تعترف باليهود كأصحاب ديانة قائمة ، لأن اليهودية كانت عمدة للمسيحية ، التى انتهت بمجيئها ، وقضى على الهيكل ، الذى كانت تقدم عليه ذبائح العهد القديم ، وانتهى بذلك الكهنوت اللاوى إلى الأبد ، ويضيف بأن كلمة « أرض الموعد » تشير فى معناها الرمزى إلى الموضع الذى يعدنا به الرب فى اليوم الأخير (مزمور ٢٧ : ١٣) ، (رؤيا ٢١ : ١) وكذلك كلمة أورشليم فهى ترمز للكنيسة أو إلى النفس البشرية ، وإن وجدت مثل هـــذه الكلمات فى صلواتنا أو تراتيلنا كمسيحيين فهى تعنى المعنى الرمزى المشار إليه » .

وهنا جاء موضع التساؤل ـ هل بعد كل ما فعله اليهود من شرور ، وبعد رفضهم لله ونقضهم عهده ، حسب ما توضح فى نصوص التوراة والانجيل السابقة ، يدعون ملكية أرض الموعد ويستحقون لقب شعب الله المختار ، الذى هو جميع المؤمنين الصالحين أينما كانوا فى العالم (مزمور ٢٤ : ١ ، يوحنا ١ : ١٢ ، متى ٨ : ٥ ، ٢٤ : ٣١ ، أعمال الرسل ٢ : ٣٩ ٢ تسالونيكى ٢ : ١٣ ، أفسس ١ : ٤ ، ١ بطرس ٥ : ١٣ . رومية ١١ : ٧) .

ويقول الدكتور مراد كامل رداً على وجهة النظر اليهودية ، التى يروجون لها ـ إستناداً لبعض آيات من التوراة ـ « أنه لا يمكن أن نطبق نصاً منذ ألفين أو ثلاثة آلاف سنة على ظروف جغرافية وتاريخية وسياسية ، إذ أن فى ذلك إنكاراً لعمليات التغيير ، التى سنها الله لتاريخ الإنسان ، والدوام فى رسالة الكتاب المقدس أتى من عرض المبادىء الأخلاقية ، ولم يأت من مشروع وهمى لترتيبات سياسية حديثة » [١٦٤] والخلاصة أن

وعــد الله كان مشروطا ، فلما نقضوه تحلل الله من وعده ، كما سبق التدليل بآيات كثيرة من كتابهم المقدس عـلى سبيل المثال لا الحصر . والحقيقة أنه لا يمكن أن يقبل العرب أن يأتى اليهود ليدعوا ملكية أرض يسكن عليها شعب عربى منذ قديم الازل ، علما بأنهم قد طردوا منها منذ ١٩٠٠ عام كامل فى آخر مرة على يد الرومان ، وهـل يمكن مثلا أن يطالب الهنود الحمر بطرد جميع الأمريكيين الذين هاجروا إلى أمريـكا منذ أربعة قرون ؟ ! وهذا بالطبع ينافى المنطق ويجافى القوانين الوضعية والسماوية .

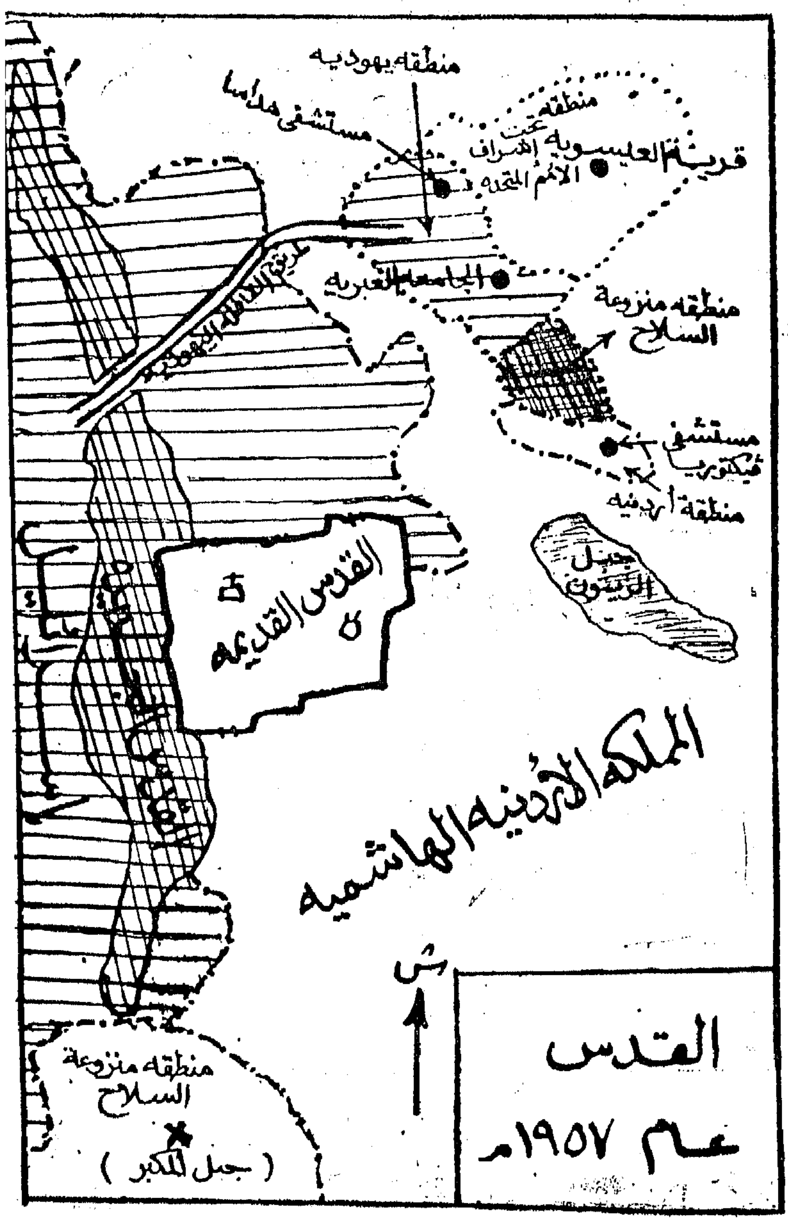
الفصل الثانى والعشرون

القـــدس من ١٩٤٨ — ١٩٦٧

ظلت القدس القديمة والأجزاء الشرقية من القدس الحديثة فى يـــد الادارة العربية الأردنية حتى سنة ١٩٦٧ ، وقد اذدهرت المدينة فى عهدها جدا جدا (١٦٥) ، وتقسم القدس إلى ثلاثة قطاعات : القطاع الشرقى (وهو القطاع المحتل الآن) ويتألف من جزئين أولهما المدينة القديمة داخل السور ، وبها بيوت العبادة المسيحية والاسلامية . وسيأتى تفصيلهـا فى الباب الثالث بإذن الله . أما الجزء الثانى من القدس العربية فهو صغير وتظيف ومرتب ومعظمه مناطق سكنية ، ويضم منطقة جبل الزيتون ، وتقام عليه البنوك والفنادق الحديثة والـكاتدرائية الانجيلية ومقر محافظة القـــدس العربية (الذى أصبح مؤقتا مقراً للقيادة العسكرية اليهودية بعد عدوان الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ وكل سكانه من العرب (١٦٦)

أما القطاع الغربى من القدس الحديثة خارج الاسوار ، فقد سقط تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلى منذ سنة ١٩٤٨ (ويسمى بالقدس الجديدة) وهذه المنطقة بدىء التوسع فيهـا لاقامة مدينة جديدة منذ سنة ١٨٥٨ كما سبقت الاشارة ، فأقيمت فيهـا تباعا أديرة للروم الـكاثوليك والارثوذكس، وكان أهم مبانيها فى أواخر القرن الماضى تلك الخاصة بالرهبان الروس ، وكان بعض اليهود قد هاجروا إلى هـذه المنطقة ، ولـكن حيهم تهدم أثناء حرب سنة ١٩٤٨ م وقـــد إمتدت الأحياء السكنية شمال الأسوار ، فأقيمت المساكن فى حى الطالبية وفى طريق جبل سكوبس العربى ، الذى حاولت اسرائيل السيطرة عليه بعد أن

أعتدت على منطقة جبل المكبر بجنوب القدس سنة ١٩٥٧ وكانت منطقة منزوعة السلاح، وواقعة تحت إشراف الامم المتحدة، طبقا لاتفاقية الهدنة [١٦٧]، وفي ٢٣ يناير سنة ١٩٥٠ قررت اسرائيل اعتبار القطاع المحتل من القدس الجديدة عاصمة لها بدلا من تل أبيب ، وظلت تنقل إليها مكاتب حكومتها تدريجيا حتى سنة ١٩٦٧ وطالبت السفارات الاجنبية بنقل مقارها إلى العاصمة الجديدة ، ولكن أكثرها رفض لعدم الموافقة على هذا الاجراء



الصهيونى . وفى عهد الاحتلال شيد اليهود فى القدس الجديدة الكثير من المبانى الحديثة العالية ، وشقوا الطرق الواسعة المرصوفة وأقاموا فيها حتى الآن نحو مائة مصنع تضم صناعات الأدوية والأحذية والزجاج والاقلام والنسيج والأخشاب والمواد الغذائية المعلبة وصناعات أخرى كالسباكة والطباعة ودبغ الجلود وغيرها (١٦٨) وبلغ سكانها من اليهود ٠٠٠ر١٤٩ عام ١٩٥٨ (١٦٩) .

ومن الجدير بالذكر أنه أثناء حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ اعتدى اليهود بالقنابل على الأماكن المقدسة المسيحية والاسلامية ، وفيما يلى نص الوثيقة التاريخية ، التى أصدرتها لجنة ممثلى إتحاد الطوائف المسيحية فى القدس سنة ١٩٤٨ بهذا الشأن :ـ « لقد اشتعلت الحرب فى مدينة القدس ، وما كنا انتوقعها وذلك لأن مجلس الأمن وهيئة الامم ولجنة هدنة القدس كانوا قد وعدونا بهدنة تحمى هذه المدينة وأماكنها المقدسة من ويلات الحرب وما يلحقها من خراب ودمار ، إذ أن الطرفين المتحاربين وقعا أمام لجنة الهدنة المذكورة وأمام ممثلى الصليب الأحمر على تعهد بوقف إطلاق النار لمدة ثمانية أيام إعتباراً من الساعة التاسعة من مساء ١٩٤٨/٥/١٤ وأعلنت القيادة ذلك بواسطة مكبرات الصوت ، فساد الهدوء فى الجبهات العربية تنفيذاً لهذا الاتفاق ولكن اليهود لم يكترثوا لهذا الاتفاق الذى وقعه زعماؤهم وتابعوا إطلاق النار والعرب لا يجيبون ، مما جرأ اليهود على التقدم لإقتحام الخطوط العربية الأمامية ومهاجمة المدينة المقدسة .

وهكذا أصبحت مدينة القدس مسرحاً لمعارك رهيبة وتدميرات ، فصارت الكنائس والأديرة والمؤسسات الدينية هدفاً لنيران المدافع وطلقات الرصاص ، فتهدم بعض هذه المبانى وأصيب الكثير من النساء والأطفال والرهبان والراهبات بشظايا القنابل ، التى كانت تطلق بغير هدف ، فأمام هذه الحوادث المروعة رأينا نحن ممثلى الطوائف المسيحية أن من واجبنا المقدس أن نرفع الصوت عالياً بالاحتجاج على إنتهاك حرمات كنائسنا وأديرتنا ومؤسساتنا التى تهدم بعضها وصار البعض الآخر طعمة للنار ، وفيما يلى بعض من هذه الاضرار التى لحقت بمؤسساتنا وبالقائمين عليها واللاجئين بها :ـ

أولا : ـ الأديرة والمؤسسات الدينية التى احتلها اليهود واتخذوها معاقلا يطلقون منها النار على المدينه المقدسة دون مراعاه لحرمة هذه الأماكن :ـ

١ ـ دير مار جرجس للروم الارثوذكس فى ١٩٤٨/٥/١٣ .

٢ ـ دير نوتردام دى فرانس للآباء الانتقاليين فى ١٩٤٨/٥/١٥ وقد اتخذه

اليهود قاعدة رئيسية لمهاجمة المدينة المقدسة وضربها بالقنابل والرصاص .

٣ — دير راهبات القربان المقدس فى ٤٨/٥/١٥ الذى استخدموه معسكراً لهم .

٤ — المستشفى الفرنسى الذى احتلوه عسكريا ، رغم وجود راهبات مار يوسف والكثير من المرضى به .

٥ — المستشفى الإيطالى ، الذى كان الصليب الأحمر قد وضعه تحت إشرافه فدخله اليهود المسلحون عنوة وأنزلوا عنه علم الصليب الأحمر ومزقوه ورفعوا عليه العلم الاسرائيلى . بالرغم من احتجاج القنصل الإيطالى .

٦ — دير الآباء الهندوكيين على جبل صهيون فى ١٩٤٨/٥/١٨ .

ثانيا : الكنائس والأديرة التى أصابها اليهود بالقنابل وتهدمت أجزاء منها : —

١ — دير راهبات نوتردام دى فرانس تهدم .

٢ — دير راهبات القربان المقدس نسف اليهود معظمه وأحرقوه .

٣ — دير الآباء الهندوكيين تهدم برجه وتضعضعت كنيسته وخربت الشظايا منه كنيسة القيامة نفسها فى ١٩٤٨/٥/١٧ .

٤ — كنيسة قسطنطين وهيلانة بجوار كنيسة القيامة تهدمت .

٥ — تهدمت بطريركية الأرمن الأرثوذكس وملحقاتها .

٦ — ساحة كنيسة مار مرقس للسريان الارثوذكس فى ٤٨/٥/١٦ سقطت عليها قنبلة فقتلت الراهب بطرس سوى سكرتير المطرانية وجرحت إثنين .

٧ — دير الآباء الفرنسيسكان الكبير بجوار القيامة سقطت عليه القنابل فى ١٩ / ٥ / ١٩٤٨ .

ثالثا : — هناك عشرات بل مئات النساء والأطفال غير المحاربين قتلوا وجرحوا فى داخل المدينة المقدسة يوم أن بدأ اليهود يهاجمونها . ومن هذه الضحايا لا نذكر إلا من تحققنا من أسمائهم ، وهم من رجال الاكليروس الاب مامير فرنيه من الآباء

قتل بالرصاص فى ديرنوتردام دى فرانس ، الآب يوحنا صلاح قتـــل بالرصاص فى ٢٠ / ٥ / ٤٨ وهو بداخل كنيسة راهبات المحبة وهو يقوم بطقوس القداس الآلهى ، الأخ سيجمون والاخ سيريل من المدارس المسيحية .

ونستطيع أن نؤكد أن معظم القنابل التى سقطت على كنيسة القيامة وسائر الكنائس والاديرة المسيحيـــة المذكورة صادرة من المواقع الصهيونيـــة ومما تقدم يتضح :-

أ - أن اليهود هم الذين بدأوا واحتلوا الاديرة وأتخذوها قواعد حربية . يطلقون منها النار على المدينة المقدسة . محاولين احتلالها والاستيلاء عليها ولا يزال اليهود إلى يومنا هذا يحتلون هذه الاديرة ويطلقون النار منها .

ب - إثباتا للحقيقة الواقعة نقول لقد صرح العرب أنهم يحترمون الاماكن المقدسة والكنائس والاديرة وبالفعل إحترموها إلى الآن . . فنـــوجه نداءنا إلى الهيئات الدينية والسلطات السياسية وإلى الضمير الانسانى فى العالم المتمدين لكى يضع حـــداً لهذه الفظائع فى المدينة المقدســـة ، صونا لاماكنها المقدســـة التاريخية .

وقد انتهت هذه الوثيقة بتوقيعات كل من ممثل بطريركية اللاتين . وبقية ممثل الكاثوليك والروم الارثوذكس والاقباط والسريان الارثوذكس وهذه الوثيقة التاريخية لاتحتاج منا إلى تعليق (٧٣) .

الفصل الثالث والعشرون

القدس تحت الإحتلال الإسرائيلى (١٩٦٧)

بعد استيلاء اسرائيل على الضفة الغربية لنهر الاردن بما فيها القدس العربية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان السورية فى يونيو سنة ١٩٦٧ م وبعد ثلاثة أسابيع فقط من الاحتلال الغاشم . أصـــدر الكنيست الاسرائيلى (البرلمان) قراراً

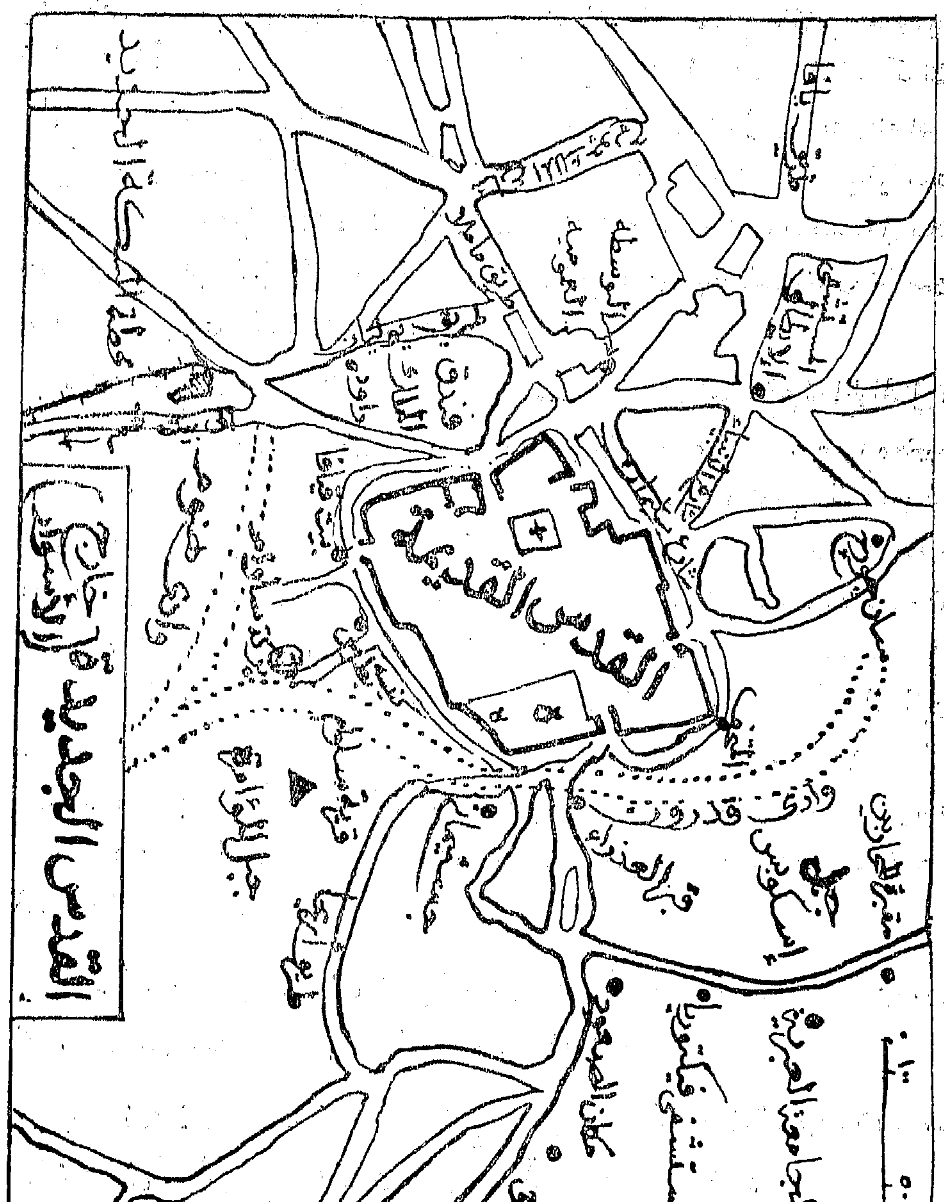
بضم القدس العربية وتوحيد شطريها ، وجعلها عاصمة لاسرائيل ، وتبع ذلك بعد يومين فقط اتخاذ أول إجراء لاذابة الكيان العربي للمدينة بحل التنظيمات العربية فيها ، وكذلك حل المجلس البلدى العربي وتأليف مجلس يهـــودى ، واتخذت عدة إجراءات إقتصادية لصالح اسرائيل ، مثل إقامة مراكز جمركية على الطرق التى تصل المدينة المقدسة ببقية مدن الضفة الغربية الأردنية المحتلة ، بينما تركت الطرق الأخرى ، المتصلة بمدن اسرائيل بلا حواجز تمر عليها السلع الاسرائيلية بلا رسوم جمركية ، وسحبت العملة الأردنية من المدينة ، وأستبدلت بالليرة الاسرائيليـة .

وعملت إسرائيل على إرغام الأهالى العرب عـــلى دفع ضرائب دفاع لصالح المحتل ، وسادت اجراءات نازية للبطش بالسكان العرب ، لكى يهاجروا من القدس ، ومنهـا احتلال منازل العرب بالقوة بعد طرد السكان منها واحلال يهـــود محلهم ، وهدموا فى السنة الأولى عـــلى العدوان ١٣٠ منزلا تأوى ٦٥٠ عربياً ، وكان نتيجة الارهاب الشديد على المدنيين العزل أن عبر ١٥,٠٠٠ منهم نهر الاردن ، وتبقى ٧٠,٠٠٠ آخرون تحت هذه الظروف الصعبة ، وطبق العدو قانون « أملاك الغائبين » ، الذى ينص عـــلى استيلاء الحكومة الاسرائيلية على جميع أملاك العرب ، الذين يتغيبون ، منهم أولئك الذين كانوا خارجها أثناء العدوان سنة ١٩٦٧ ، فتم بناء عـــلى ذلك الاستيلاء على ٥٩٥ منزلا جملة مساحتها ١١٦ دونماً مربعاً (الدونم ١٠٠٠ مــــتر) داخل أسوار القدس القديمة ، وتوالت هـذه العملية ، خاصـة فى حى المغاربة القريب من المسجد الأقصى ، ونتيجة لهـــذه الأعمـال :ـ

١ ـ أصبحت اسرائيل تملك داخل أسوار المدينة ـ بدون وجه حق ـ ما يقرب من خمس الأراضى الملاصقة للحرم الشريف والمسجد الاموى .

٢ ـ استولت على ثلث الأراضى خارج أسوار المدينة وكلها ملك للعرب ، خصوصا فى المنطقة التى تحيط بالقدس ، وتعزلها عن باقى أراضى الضفة الغربية .

٣ ـ إختارت السلطات الاسرائيلية مساحه كبيرة من الأراضى فى شمـال المدينة (نحو ٦٠٠ دونم) لاقامة أول حى يهودى جديد عليها ، على أساس بناء ٢٥٠٠ وحـدة سكنية لاستيعاب ٣٠,٠٠٠ يهودى ، وعندما يكتمل المشروع سيفصل القدس من الغرب إلى الشمال الشرقى عن بقية الاراضى ، وهو جزء من مشروع تتولاه هيئة برئاسة يهوذا تامير لإسكان ١٠,٠٠٠ إسرائيلى آخر داخل القدس القـــديمة الاردنية ، وهـو ملحق


القدس القديمة
جبل الزيتون
وادي قدرون
قبر العذراء
الجامعة العبرية
بيت فاجي

مباشرة بمكتب رئيسة الوزراء الحالية . كما قامت حكومة الاحتلال بضم جميع مدارس القدس بالذات الى وزارة التعليم الاسرائيلي ، واستبدل معلموها العرب باسرائيليين ، وغيروا المناهج بما يتمشى مع سياستهم الاستعمارية ، فأرغموا التلاميذ العرب على دراسة اللغة العبرية والتوراة

هذا وقد أقر الكنيسيت الاسرائيلي « قانون التنظيمات الإدارية والقانونية » في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٦٨ وصدر بالجريدة الرسمية العبرية (بالعدد رقم ٥٤٢) ، وهو يضم ٢٢ مادة ملخصها أن تقوم كل شركة وكل جمعية تعاونية بالقدس العربية ، وجميع أصحاب المهن والحرفيين العرب بتسجيل أنفسهم ، طبقا لقواعد القوانين العالية الاسرائيلية قبل ٢٢ فبراير سنة ١٩٦٩ ، على أن يشمل التسجيل العلامات التجارية والاختراعات ، ونصت المادة ١٨ من هذا القانون الاسرائيلي على أن كل شخص يريد القيام بأى بناء أن يطلب رسميا الترخيص له بذلك من السلطات الاسرائيلية المختصة ، ومعنى ذلك هو محاولة تصفية أموال وممتلكات ٧٠,٠٠٠ عربي في القدس ، وتهويد المدينة العربية تماما ، بادماج الحياة الاقتصادية العربية في الحياة اليهودية ، وبالتالى ابتلاع الاقتصاد اليهودى ١٨٠ شركة عربية مسجلة بالقدس ، ورأسمالها يزيد على خمسة ملايين دينار أردنى . وقد ثارت ضجة كبيرة في العالم العربي وفي أروقة الأمم المتحدة في حينه . مما أرغم السلطات الاسرائيلية على تأجيل تنفيذه مؤقتا أمام ضغط الرأى العام العالمى .

ولعل أقرب وصف لحالة المدينة المقدسة ، هو ما ورد في المقال الذى كتبه الأستاذ الأمريكى جون هربرت رئيس الجمعية الأمريكية لمساعدة اللاجئين ونشره في نيويورك - مركز الثقل اليهودى في أمريكا - (١٧١) ويقول فيه ما ترجمته بالحرف الواحد « إننى دهشت كثيراً حينما عدت لزيارة هذه المدينة المقدسة في أوائل هذا العام (١٩٦٩) ، ولاحظت مظاهر تغيير مفجع يزحف على القدس القديمة ، لتمتد معاول الهدم الاسرائيلية إلى مناطق واسعة ، كما تفسح الطريق أمام عدد كبير من المبانى الحكومية (الاسرائيلية) الجديدة والعمارات السكنية ، التى تبدو كئيبة غير جذابة ، وقد أعلن متحدث اسرائيلى أن القدس قد أصبحت الآن مدينة موحدة ، وأنها أضحت مفتوحة لكل من ينتمى إلى العقائد الثلاث ، ولكن هذا ليس صحيحاً ، فان أهالى القدس قد أصبحوا الآن أكثر انفصالا عن ذى قبل ، على الرغم من أن الاسلاك الشائكة ، التى كانت تفصل بين قطاعى المدينة قد أزيلت ، فلم يعد الوصول للأماكن المقدسة - بصفة عامة - أمرا سهلا لأكثر من ثمانية ملايين مسيحى عربى ، أو بالنسبة لأكثر من سبعمائة مليون مسلم ، وعلى عكس

ماكان الأمر عليه ـ أصبحت الأماكن المقدسة مغلقة في وجه أتباع الأديان الثلاثة على نحو أشد قسوة بكثير ، مما كان عليه الحال خلال السنوات الممتدة من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ ، وأن اسرائيل لن تستطيع أبداً إدارة القدس بطريقة ترضي الأديان الثلاثة ، وأن سعيها إلى فرض حكمها وسيطرتها على أهالي القدس ليس خطأ من حيث المبدأ فحسب ، ولكنها سوف تجد معارضة منهم ، ولهذا ستجد نفسها مرغمة أكثر فأكثر على اتباع أساليب أشد قسوة ووحشية . وخلال زيارتي لعمان وبيروت تحدثت إلى قرابة عشرين من الشخصيات العربية البارزة من أهالي القدس ، الذين أكرهوا على مغادرة المدينة ، وفي معظم الأحيان بقيت الزوجات والأطفال في القدس ، للمحافظة على منازلهم وممتلكاتهم ، والحيلولة دون استيلاء السلطات الأسرائيلية عليها ، وتوزيعها على الأسر اليهـــودية ، تحت زعم أنها ممتلكات مهجورة ، ونحن في نظرتنا إلى مشكلة القدس لاينبغي أن نتجاهل هذه الحقيقـة وهي أن القدس القديمة ظلت لقرون عديدة مدينة عربية ، سواء فيما يتعلق بممتلكاتها أو بأهلها ، وفضلا عن ذلك فإن العرب يفخرون بأنهم نجحوا طوال هذه القرون كلها في إدارة مدينة القدس ، على نحو أرضى جميع الأديان بما فيها الديانة اليهودية نفسها ».

ولدينا شاهد غـــربي آخر هو جافن يانج Gaven Young ، الذي زار القدس أخيراً ، ونشر مقالا في جريدة الأوبزرفر البريطانية . تحدث فيه « عن سخط العرب على معاملة الاسرائيليين لهم » ، وأضاف بقوله « أنه كان هناك أسباب تدعو للمزيد من السخط فالقوانين اليهودية تطبق على القدس العربية بالذات ، دون غيرها من سائر المدن بالضفـة الغربية المحتلة ، واحتج المحامون العرب على نقل محكمة الاستئناف العربية من القدس إلى رام الله ، واعتبروا ذلك خرقا لقرارات مجلس الأمن ، التي ترفض ضم القدس لاسرائيل وبطلان كافة الاجراءات التي اتخذها اليهود ، ويمضي الكاتب فيقول أن اسرائيل استولت على ٨٣٦ فدانا في شمال شرقي القدس لتنفيذ مشروع الإسكان العاجل ، لنقل نحو ٢٥٫٠٠٠ اسرائيلي للإقامة فيها ، وبذلك تجعل ضم القدس ـ على حد تعبيره ـ أمراً واقعياً ، كما قامت بتحويل أحدث مستشفى عربي في القدس إلى مقر لرئاسة البوليس الاسرائيلي ، وأقيمت مدينة جامعيه لسكنى طلبة الجامعة العبرية على سفح جبـــل أسكوبس في أرض عربية ، وهناك مساحات أخرى في جنوب المدينـــه قد أدخلت في برامج عاجلة من أجـل توطين الاسرائيليين فيها . وفي داخل المدينة المسوره فإن المساكن التي يقطنها الطلبة العرب قد انتزعت منهم أو هدمت ، وقد رفض أصحابها أخذ أي تعويضات عنها » .

ويختم هذا الصحفي مقاله بأن « السلطات الإسرائيلية تهدف من هـــذا كله إلى

مواجهة العالم بالأمر الواقع ، رغم أن العالم نفسه قد رفض هذه الاجراءات جميعا في القرارات المتكررة ، التي اصدرها المنظمة الدولية بخصوص عروبة القدس ، وعدم مشروعية الاجراءات اليهودية فيها ، والتي تنتهي بقرارها الصادر في ٣ / ٦ / ١٩٦٩ ، وإصرار الأمم المتحدة على ضرورة الانسحاب الكامل من الأراضي التي احتلها اليهود بعد يونيو سنة ١٩٦٧ ، على أساس القرار الدولي الصادر في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ ، وهي في الواقع إدانة قوية من المجتمع الدولي ، ورفض صريح لسياسة الأمر الواقع ، أو سياسة الإستيلاء على أراضي دول مشتركة في عضوية الأمم المتحدة عن طريق القوة الحربية ، مما يتعارض مع ميثاقها .

أما من ناحية أثر العدوان الإسرائيلي الأخير على الآثار المسيحية والاسلامية بالأرض المقدسة ومستقبلها في ظل هذا الإحتلال . فمن المعروف للعالم كله أن اسرائيل قد دأبت - منذ احتلالها للقدس وبقية المدن المقدسة الأخرى بفلسطين (١٩٦٧) - على الاساءة للأماكن المقدسة ، لأنها لا تؤمن بقدسيتها ، فهي لا تعترف في الحقيقة بالديانة المسيحية أو الاسلامية ، ولم تخف نواياها إزاء مقدساتها ، فقد قررت جعل القدس مدينة يهودية صرفة ، وهذا مما يمثل خطرا حقيقيا يهدد بالقضاء تماماً على الأماكن المقدسة المسيحية والاسلامية ، وليس هناك أدل على صحة هذا الرأي غير جريمة حرق المسجد الأقصى التي دبرتها اسرائيل يوم ٢١ / ٨ / ١٩٦٩ محاولة الصاق التهمة بشاب استرالي ادعت جنونه فيما بعد وأطلقت سراحه ، لتقسيم فتنة بين المسيحيين والمسلمين ولتنفي عن نفسها شبهة لاصقة بها ، وقد استنكرها الضمير العالمي واهتز لها كل قلب عربي ، (وفي هذا اليوم أتت النيران على الجناح الجنوبي الشرقي من المسجد) ، ونسوق فيما يلي أدلة أخرى منها :—

١- تصريح وزير الأديان الإسرائيلي عقب الاحتلال مباشرة (يونيو ١٩٦٧) في مؤتمر ديني عقد بالقدس « بأن أرض الحرم ملك يهودي بحق الاحتلال ، وبحق شراء أجدادهم لها » . وقد سبق تفنيد هذا الزعم الباطل .

٢- مواصلة أعمال الحفر والتدمير حول المسجد الأقصى منذ ٦ / ١١ / ١٩٦٧ وقيام اسرائيل فعلا بهدم المنطقة الواقعة أمام حائط المبكى بعد إجلاء سكانها العرب ونسف منازلهم ، وقد أدان مجلس الأمن هذه الاجراءات .

٣- قيام بعثة من الجامعة العبرية بالتنقيب تحت المسجد الأقصى ، وهدمت أثناء ذلك

جامع الزاوية ، والجامع الواقع جنوب حائط المبكى . وفى أوائل سنة ١٩٦٨ قامت بعثة أخرى برئاسة بنيامين مازار بالتنقيب فى نفس المنطقة ، فحطمت أثنـــاء عملها الباب الأوسط للمسجد الأقصى ، وهدمت أجزاء من كنيسة القـديس يوحنا ، وسرق أثنـاء ذلك تاج العذراء ، ومجمـــوعة من التحف الأثرية ، مما أثار ضجة فى العـــالم فى حينـه .

٤- التقرير الرسمى الذى قدمه يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة إلى المنظمة الدولية عن مهمة ممثله الشخصى أرنست تالمـان فى القدس فى ١٢ / ٩ / ١٩٦٧ وجاء فيـه « أن ممثلى جميـــع الطوائف الدينية بالمدينة لديهم إحساس بحاجـة الأماكن المقدسة إلى حماية خاصة ، وأن ممثـله لمس لدى ممثل الطوائف الذى اجتمع به قلقا شديـداً بالنسبة لمستقبل الأماكن المقدسة ، وقال له ممثـل الكنيسة الكاثوليكية السريانية أن كنيسة الأبروشية ظلت واقعة فى الأرض المقدسة منذ سنة ١٩٤٨ ، وان أحداً من العـرب لم يمسها حتى يوم ٣٠ يونيـــو سنة ١٩٦٧ حين قام الإسرائيليون بهدم الكنيسة وإزالتهـا تمـاما » .

٥- دعت اسرائيل إلى انشاء صندوق لجمع الأموال لإعادة بنـاء هيكل سليمان ، ويقـوم المحفل الماسونى اليهودى الأمريكى بجمع مائة مليون دولار لهذا الغرض ، وقد أرسل أحد أعضاء المحفل رسالة الى أئمة مسجد عمر ، بعد العدوان مباشرة قال فيها « إننى وزميلى أودو مورف عضوان فى المحفل المـاسونى ، وأنتم تدركون أن هيكل سليمان كان المحفل الماسونى الأصلى ، وأن الملك سليمان كان رئيس المحفل ، وقد دمر الهيكل سنة ٧٠ م ، وأننى أعلم أن مسجدكم هو المـائل الحقيق الشرعى لذلك الهيـكل ، وأن مسجدكم هذا واقع على هذا الملك ، هو والصخرة التى قدم عليها أبونا إبراهـيم ولده إسحق قربانا لله . . . وإذا سمح أئمة مسجد عمـــر لمنظمتى بالقيام بذلك المشروع ، فإننا سنقـوم بجمع مائة مليون دولار لذلك الغرض ، وكل ماسونى العـالم يحبون أن يـكونوا أعضاء فى محفل الملك سليمان الماسونى ، وهناك احتمالات الا يزور أحدهم الهيكل طيلة حياتهم ، غير أن عضويتهم ستنتقل إلى أبنائهم المـاسونيـين ، وستتجدد هذه العضوية سنوياً ، وهـذا يعنى أن الهيكل سيستلم سنويا مئـات الملايـين من الدولارات ، وإننى أؤكد لحضرتكم أنكم إذا تعاونتم معنا فى إعادة بنـاء الهيـكل ، فإن هيئتكم ستكون أغنى مؤسسة دينية » . - توقيـع - جريدى ترى - ٥١٤ شارع السبت - مارفارد ، بوربانك - كاليفورنيا »

وقد قدم المسجد هذه الوثيقة لجامعة الدول العربية لنشرها على المستوايين، وقد حاول كاتب الرسالة مقابلة أئمة مسجد عمر لهذا الغرض نفسه فقوبل طلبه بالرفض طبعاً . ويبدو من هذه الرسالة أن اليهود يريدون أن يقيموا هيكل سليمان للتجارة والسياحة ولكسب المزيد من الأموال .

وهذه الطريقة لم تكن الأولى من نوعها ، فقد كانت هنــاك محاولة مماثلة قام بها الحاخام اليهودى فى رومانيا ، حينما أرسل رسالة إلى الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين سنة ١٩٣٠ م نصها « إلى حضرة المفتى المحترم ـ القــدس ـ بسم الله الحى الأزلى . إن موقعه ابراهام روزنباخ الحاخام الأكبر، المقيم فى شرنوتى، فى شارع تريى رقم ٢٠ بوخينا ـ رومانيا . يستأذن فى أن يعلن سيادتكم بما يــلى : إن الملك داود قد اشترى بموجب عقد جبــل الموريا (المشيد عليه حاليا الحرم الشريف) فى القدس من عرنون اليبوسى ، ووقف ذلك لله الحى الأزلى . . . وباسم الله الحى الأزلى أطلب : ـ

أ) أن تحملوا العرب على أن يبيحوا هذا المكان للكهنة من أبناء هارون ، ليقيموا فيه الشعائر الدينية (اليهودية) ، وأن تبينوا العرب أن إباحة هذا المكان . يتحقق بها المساعدة المطلوبة لجميع الشعوب ، فيستطيع العالم بأسره أن يسمع بالراديو البركات الدينية التى يطلبها الكهنة من الله فى ذلك المكان المقدس .

ب) بعد أن يبيح العرب هــذا المكان ، ويتم ذلك بحسن نية ، يظلون هم حراسه وسدنته ، وبهذا تحفظ حقوق التملك المكتسبة بمرور الزمن للملك داود فى المزمور الرابع والعشرين من اليعث .

كتب مساء فى الساعة الواحدة والنصف . فى عشرين نوفمــبر سنة ١٩٣٠ م . الموافق اليوم الثامن والعشرين من الشهر اليهودى سنة ٥٦٦١ » .

ويتضح من هذه الرسالة أنها تدعو العرب ـ بمنتهى البساطة ـ أن يهدموا مسجدهم الأقصى ، وجميع ملحقاته ليقوم اليهــود ببناء هيكل جديد محله ، وأن يكون العــرب هم الحراس له ، وذلك إستناداً إلى وقائع تاريخية حدثت منذ أكثر من ثلاثين قــرناً ! !

٦ ـ التصريح الشهير الذى أدلى به بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل الاسبق ، عقب حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، والذى جاء فيه وأنه لا معنى لفلسطين بدون أورشليم ،

ولا معنى لأورشليم بدون الهيكل » ، ومعنى ذلك بصريح العبارة أنه يجب أن يبنوا الهيكل على المقدسات الاسلامية الحالية ، هذا كله بالاضافة إلى مايتردد يومياً فى وسائل الإعلام علانية ، وعلى ألسنة المسئولين الاسرائيليين فى أروقة المنظمة الدولية بأنهم لن يتخلوا أبداً عن القـــدس مهما كانت الاسباب ، رغم أنها ليست مدينة روحية بالنسبة لليهود ، إذ لا تمود بهم إلى أية علاقات روحية بأنبياء العهد القديم مثل ابراهيم وموسى وصموئيل وإيليا واليشع وغيرهم من أنبياء اليهـــود ، وكل ادعائهم يقوم على أساس أنها خضعت لسلطان داود وسليمان وهى فترة وجيزة جداً من عمر المدينة الطويل ، لاتتجاوز السبعين عاما فقط ، وقد أثبتنا من قبل أن داود قد اغتصبها بالقوة من يد سكانها اليبوسيين العـــرب ، وأن سليمان كان واليا خاضعاً للحكم المصرى .

أما بالنسبة لادعاء ملكية حائط المبكى ، على أساس أنه جزء من هيكل سليمان ، فهو ادعاء باطل ليس له سند تاريخى أو أثرى ، إذ أنه جزء من حائط المسجد الأقصى الحالى ، ومن المعروف أن اليهود كانوا قد نقضوا جميع أساسات الهيكل ، ولم يتركوا فيها حجراً واحداً ، على حسب قول السيد المسيح ، كما أن اللجنة الدولية المحايدة ، التى أرسلتها عصبة الأمم سنة ١٩٣٠ سبق أن أثبتت بما لايدع مجـــالا للشك بأن الخمسين متراً - التى تكون ما يسمى بحائط المبكى - هى ملك العرب ، لأنها جزء من المسجد الأقصى .

ويرى البعض أن من بين مقاصد الصهاينة فى محاولاتهم الفاشلة لاعادة بنـــاء الهيكل تكذيب السيد المسيح ، ولكى يثبتوا أنه ليس هو المسيح المنتظر ، الذى أخبرت عنه التوراة وكتب الأنبياء اليهود من قبل ، وألزمت اليهود الايمان به وتصديق رسالته (١٧٢).

بقيت نقطة أخيرة استكمالا للبحث ، وهى أن الاجراءات التى قامت بها اسرائيل فى المدينة المقدسة - بعد احتلالها إياها أخيراً - تضاد القانون الدولى ، الذى لا تعطى قوانينه الدولة المحتلة إلا سلطة ممارسة مظاهر السيادة عليه ، بمـا يكفل الأمن وسلامـة الاراضى المحتلة ، كما يقول فقهاء القـــانون الدولى ، أما وضع الإقليم والسيادة عليه فيبقى للدولة صاحبة السيادة الاولى (وهى الأردن فى حالة القدس) ، كما يمنع الدولة المحتلة من ضم أى جزء من الأراضى المحتلة ، ولا يترتب أثر قانونى على الإحتلال ، إلا إذا توصل أطراف النزاع لتسوية الخلاف (١٧٣).

وعلى ذلك فالقدس عربية وستظل كذلك إلى الأبد ، وإذا لم تتمكن المنظمة الدوليـة

من إعادتها الحكم العربي ، فسوف نتمكن بإذن الله من استعادتها بالقوة ، وما أخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة .

الفصل الرابع والعشرون

فكرة التدويل (الحكم الدولي) وعواقبها

عرضنا فيما سبق تأكيداً مدعما بآراء المشاهير من كتاب الغرب واليهود ، وموضحا بالوثائق والأسانيد التاريخية أن القدس قد إزدهرت أثناء الحكم العربي ، وأن المسلمين كانوا أكثر تسامحا ليس فقط لأنهم منذ الفتح العربي لفلسطين جعلوا هذه المقادس شركة بين جميع المسيحيين ، بل أيضا لأنهم دأبوا على التوسط بين الطوائف لتهدئة النفوس وتسوية المنازعات الناشئة عن مطالبة كل طرف بامتيازات قاصرة عليه وحده ، مع تزويده بوثائق تثبتها وتؤكدها (١٧٤) .

وقلنا من قبل أنهم قاموا بحماية المقدسات المسيحية ، التي يملكها المسيحيون العرب من اغتصاب اللاتين ، ومن الجدير بالذكر أن خادم كنيسة القيامة ظل مسلماً منذ أيام السلطان سليمان القانوني حتى الآن ، ولما انتصر الحلفاء في الحرب العالمية الأولى توجه حارسها المسلم بمفاتيح القيامة يسلمها للفاتح الانجليزي اللورد اللنبي ، ولكنه رد المفاتيح مرة أخرى اليه ، وكان تصرفه هذا نتيجة اتفاق بين كل الطوائف المسيحية ، على أن تظل مفاتيح القيامة في يد مسلم دفعاً للخلاف بين الطوائف عليها (١٧٥) .

وقد لوحظ أنه بعد عدة أشهر من الاحتلال الاسرائيلي للقدس في يونيو سنة ١٩٦٧ ، وفي نفس العام ألح الفاتيكان إلى ضرورة تدويل القدس ، وغرضه من ذلك إعطاء البابا سلطة روحية عليها ، وبالتالي إعادة خضوعها للاتين كما كانت أيام الصليبيين ، وهذا بدوره يؤدي إلى اعادة السيطرة على الأماكن المقدسة غير الكاثوليكية . بعد تغلغل الدول الأوروبية في نظام الإدارة الدولي المقترح ، وأبدى الفاتيكان اهتماما زائدا بهذا الموضوع ، فأسرع بابا روما بزيارة بطريرك القسطنطينية في محاولة لكسب الكنيسة الأرثوذكسية

هناك رغم القطيعة التى دامت بينها عدة قرون ، وأسرعت الصحافة العالمية بالترحيب بهذه الفكرة ، كما نادى البعض فى أوربا الغربية (مثل ماكس بيلوف الأستاذ بجامعة أكسفورد) بأنه يجب إنابة بابا روما عن كافة المسيحيين فى الاشراف على الاماكن المقدسة بفلسطين ، وهو ما تعارضه الكنائس الرسولية الأخرى بشدة . وقد بدا من تصريحات اليهود فى حينه بأنهم لايعترضون على السلطة الروحية للفاتيكان ، واستخدم اليهود هذه الورقة الرابحة لتحقيق أغراضهم ، كما استخدموها عدة مرات من قبل ، فقد حدث أن قامت فرنسا بتسليح اليهود قبل العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ ، بعد معاهدة سرية تعطى الفرنسيين حق الإشراف على المقدسات المسيحية ، التى فى أيديهم بفلسطين المحتلة ، ثم إتجه اليهود أيضا إلى الولايات المتحدة قبل عدوان سنة ١٩٦٧ يعرضون عليها علنا الاشراف على هذه المقدسات . ولكن أخيراً نبذت اسرائيل فكرة التدويل ، لأنها لاتحقق أهدافها كاملة ، وأعلنت رسمياً تمسكها بالقدس كعاصمة يهودية لها ، وتحدت كل قرارات المنظمة الدولية ، التى تصر على عروبة القدس .

وعلى أية حال فإن فكرة التدويل تعنى بصراحة إنهاء الوجود العربى كسلطة إدارية للمدينة ، وبالتالى تدخل الأجانب فيها ، وما يترتب على ذلك من مشاكل ومنازعات على الاماكن المقدسة والرئاسات الدينية ، كما يؤدى التدويل إلى اشراك اليهود مع العرب فى الحكم الدولى ، وهو ماترفضه كل الدول العربيـــة والاسلامية ، لأنه يتنافى مع حقائق التاريخ التى تؤكد أن القدس ظلت طوال القرون الماضية فى يد العرب حتى سنة ١٩٠٧ ، ولأنه تنازل بطريق غير مباشر عن أرض عربية مقدسة للصهيونية والاستعمار . اللذين سيعمدان على أساس هذا الوضع إلى انتهـــاز الفرصة والعمل على تهويد المدينة المقدسة وتغيير معالمها الدينية ، واغتصاب الممتلكات الارثوذكسية العربية ، وخاصة ماهــو معروف عن اليهود من الغـــدر والخيانة والكراهية الشديدة للمسيحيين . بالاضافة الى البدء فى انشاء المعبد اليهـــودى على أنقاض الحرم الشريف بعد هدمه بالاضافة إلى هدم الكثير من المقدسات المسيحية والاسلامية لبناء المساكن مكانها للمهاجرين اليهود ، وهو ما أقدمت عليه إسرائيل بعد عدوانها الأخير فعلا .

خاتمـــة الفصل التاريخى

استعرضنا فى الباب الثانى موجزا سريعاً لبعض الملامح العامة لتأريخ المدينة المقدسة الطويل ، منذ أن سكنها اليبوسيون العرب ، حتى احتلها اليهـــود فى يونيو سنة ١٩٦٧ ، وأبرزنا ميزة الحكم العربى ومعاملته الحسنة مع أهل الذمة ، وهو ما أكده الرئيس جمال عبد الناصر فى حديثه مع شوفيل الصحفى والمعلق السياسى الفرنسى فى ١٩٦٩/٤/٣٠ حيث قال سيادته « ان اليهود والمسيحيين والمسلمين عاشوا فى فلسطين جنبا الى جنب ، بدون أى خلافات قبل أن تفكر الصهيونية فى انشاء وطن قومى لليهود » .

والجدير بالذكر أن اليهود هم الذين أيدوا هذا الرأى فى البداية ، ففى مارس سنة ١٩١٨ خطب الدكتور حاييم ويزمان بحضور رونالد ستورز Storrs أول حاكم عسكرى بريطانى فى القدس بعد احتلالها ، فقال ويزمان « إنه من الخبث والخيانة أن يستمع أحد إلى هؤلاء الذين يرددون أن لليهود أية أطماع سياسية فى فلسطين » . . وكل مايطمع فيه اليهود هو مكان يعيشون فيه بجوار الفلسطينيين »(١٧٦) ، وهو مايظهر فيما بعد أنه أكذوبه لخداع العرب ، ويصرون الآن على عدم الانسحاب من الاراضى المحتله ، طبقا لقرار المنظمة الدولية فى ٢٢ / ١١ / ١٩٦٧ ، أو عدم تغيير الوضع الراهن فى القدس ، طبقـا لقرارات مجلس الأمن المتكررة ، ومحاولة اسرائيل مساومة العرب للخروج من الحرب بغنيمة جديدة ، يوسعون بهـا رقعتهم الضيقة فى فلسطين على حساب العـرب بعد ازدياد الهجرة اليهودية اليها ، ورفض انشاء دولة عربية يهـــوديه لأنها - على حد تعبير جريدة دافار الاسرائيلية فى أحـد مقالاتها يوم ١٩٦٨/٣/٩ - « ستخلق متاعب لاتنقطع لليهود وأن على الاسرائيليين أن يضعوا برامجهم على أساس التخلص من العرب لتحقيق فكرة الدولة اليهودية الخالصة من النيل الى الفرات » .

ويمـكن القول بايجاز أن المشكلة هى أن هناك محاولة وضع شعب وافـد من عدة أقطار محـل شعب قديم ، وأن ما يرفضه العـرب ليس إقامة بعض الأجانب فى أرضهم ، وإنمـا محاولة زرع دولة أجنبية فى قلب الوطن العربى تفصل بـين مشرقه ومغربه . ولا نذهب لبعيد إذا قلنا أن العـرب قد فتحوا صدورهم ليضموا كل الأرمن ، الذين هربوا من الاضطهـــاد التركى سنة ١٩٢٠ ، وعاشـوا معهم ، وفى وسطهم معززين

مكرمين للآن ، بل أن الكثير من اليهود أنفسهم قد أقاموا فى جميع البلاد العربية قبل أن تتخذ هجرتهم طابع الحركة الصهيونية الاستعمارية ، وعاشوا بسلام ، وما زال عدد منهم يعيشون بينهم للآن ، وقد أيدنا كلامنا عن حياتهم العادية فى البلاد العربية بكتابات اليهود أنفسهم .

ولا مفر من إعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم ، وإرجاع قسم كبير من اليهود إلى البلاد التى هاجروا منها حديثا لاسرائيل ، وإقامة دولة التلافية فيها ضمان لحقوق العرب واليهود المقيمين فيها ، وإلغاء الامتيازات التى منحت لليهود ، والقوانين التى قامت على العنصرية الدينية ، وبالتالى تعود القدس للإدارة العربية الأمينة على حماية الأماكن المقدسة ، وإلا فلا مفر أيضا إلى نهج سبيل آخر لارجاع القدس وبقية الأرض المحتلة وهو طريق النضال المسلح ، فى عصر لايعترف إلا بالتفوق الحربى ، وان وحدة المكان ووحدة الامكانيات العربيه كفيلة بتحقيق ما فشلت فيه الدبلوماسية .

وسوف نعود إلى القدس ، وسوف تعود القدس إلينا بعون الله .

مصادر الباب الثانى

(١) د. نجيب ميخائيل ابراهيم : الشرق الأدنى القديم جـ ٣ ص ٢٦ .

(٢) — Eugene Hoade, op. cit p,7.

— لبيب يعقوب : الجغرافيه الاجتماعيه للكتاب المقدس (١٩٤٠) ص ٢٠٠

(٣) Stade, Geschishte des Volkes Israel. p. 309.

(٤) Marmorosch, op. .cit, p. 2.

(٥) أرنولد توينبي : مختصر دراسه التاريخ - ترجمة فؤاد شبل جـ ١ ص ١٥٤ .

(٦) Schaff. op. cit, p. 131.

(٧) الآباء الفرنسيسكان : السير السليم فى تاريخ يافا والرملة واورشليم ص ٥١ .

(٨) Harmsworth, op. cit, p. 4406.

(٩) المطران يوسف الدبس : تاريخ سوريا ص ٢٦٢ ؛

(١٠) Eugene H. op. cit, p. 9.

(١١) Ibid, p. 15

(١٢) نجيب ميخائيل - المرجع السابق جـ ٣ ص ٢١٤ .

(١٣) Stimpson George, op. cit, p. 216.

(١٤) Josephus, Antiquities, 7, 3, 61.

(١٥) Ibid, 7, 5, 71.

(١٦) Milman, The history of the Jews, Vol. I; p. 239.

(١٧) Schaff, op. cit. p. 133.

(١٨) Josephus, Wars, 5, 4, 2.

(١٩) Schaff, op. cit, p. 133.

(٢٠) Josephus, op. cit, 5, 4, 2.

(٢١) يمكن الرجوع الى المراجع الآتية بهذا الخصوص :

— De Breve, Relation Des voyages, Grèce, Terre Sainte, p. 131.

— George Sandys, Relation of Turkish Empire of Egypt and the Holyland. p. 56.

— Doubdan, Le Voyage de la Terre Sainte., p. 56.

— Devine, Abyssinia, Her History & Claims to the Holy Land p. 32.

— Omot, Voyage à Athens, Constantinople, et Jerusalem de François Armad, p. 427.

— Heneri de Beauvau, Journaliere de Voyage, au Levant, p. 136.

— Père Eugene Roger, Recollet Missionaire En Barbarie et la Terre Sainte, p. 401.

— Nau Michel, Voyage Nouvèau de la Terre sainte. p. 148.

— Bishop Astvasadour, (Armenian) History of Jerusalem, p. 35.

— بنيامين يوانيدى : مختصر دليل الأرض المقدسة ص ٦٦٠

(٢٢) يمكن الرجوع إلى تفاصيل أكثر بهذا الخصوص فى سفر الملوك الأول من العهد القديم ، اصحاحات ٦ - ٩ ، دليـــل الكاثوليك للأرض المقدسه (طبعه روميه بالعربيه سنة ١٩١٨) ص ١٠٣ وما بعدها .

(٢٣) المرجع السابق ص ١٠٤ وما بعدها ،

(٢٤) مقـــال الدكتور جرمانوس برليس قسم الدراسات الشرقيه بجامعة المجر (جريدة الأخبار القاهريه فى ٢٦ / ٣ / ١٩٦٩) .

(٢٥) يسطس الدويرى : موجز تاريخ المسيحية (١٩٤٩) جـ ١ ص ١٧ .

(٢٦) Eugne Hoade, op. cit, P. 23.

(٢٧) The Talmud. Translated. by H. Polano. p. 331.

(٢٨) Schaff. op. cit, Vol, 4. P. 133.

(٢٩) ول ديورانت : قصة الحضارة - ترجمة محمد بدران ، جـ ١ ص ٢٠ .

برستـــد : انتصار الحضارة - ترجمة د. أحمد فخـــرى ص ١٠١

(٣٠) Wells. H. g., Short History of the World, 21, p. 85

(٣١) Breasted, History of the Ancient Egyptians (London 1920) p. 362.

(٣٢) ابن العـــبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٨١

(٣٣) Schaff, op. cit, p. 133

(٣٤) Eugene H, op. cit, p. 27

(٣٥) بولس رحمانى : مختصر التواريخ القديمة ص ١٦٩ .

(٣٦) لبيب يعقـــوب ـ المرجع السابق ص ٢٤٣ .

(٣٧) يسطس الدويرى ـ المرجع السابق جـ ١ ص ١٨

(٣٨) أنظر أسفار المكابيين الثلاثة ـ العهد القديم ، طبعة رومه .

(٣٩) Lionel Cust, Jerusalem, p. 79.

(٤٠) Josephus, Antiquities, 14, I. p. 2

(٤١) Ibid. 9, I. p. 3

(٤٢) رسائل بيلاطس ص ٥١ ، عارف العارف : تاريخ القدس جـ ١ ص ٣١ .

(٤٣) Marmorosch, op. cit, p. 55

(٤٤) Josephus, Wars, 6, 7, p. 8

(٤٥) Ibid, p. 9

(٤٦) إيلى ليفى ـ يقظة العالم اليهودى (القاهرة سنه ١٩٣٤) ص ٣٨ .

(٤٧)
- Shaff, op. cit, Vol, 2, p. 39
- Harmsworth, op. cit, p. 4407
- Via'tar, op. cit, p. 18

(٤٨) يسطس الدويرى ـ المرجع السابق جـ ١ ص ٢٦ .

ـــ ول ديورانت : قصة الحضارة ـ المرجع السابق جـ ٣ ص ٧ :

(٤٩) Schaff, op. cit Vol, 2, p. 37

(٥٠) Waston, Defenders of The Faith, p. 15

(٥١) شنودة السرياني : الاستشهاد في المسيحية ص ٥٢ .

(٥٢) القلقشندي : صبح الاعشى جـ ٤ ص ٦٠١ .

(٥٣) ديورانت - المرجع السابق جـ ٣ ص ٧ .

(٥٤) Schaff, Vol, 6, p. 134, Marmorsch, op. cit, p 13.

(٥٥) Viatar, op. cit. 22

(٥٦) ايلى ليفي - المرجع السابق ص ٣٩ .

(٥٧) جبرائيل تاوضروس السرياني : مقال عن تاريخ القدس(مجلة المحبة عدد يوليو ١٩٦٧ ص ١٤٩) .

(٥٨) الواقدي . فتوح البلدان جـ ٢ ص ١٠٥ .

(٥٩) - ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ ١ ص ٢٨ ؛
— ابن الاثير : الكامل في التاريخ ص ١٩٤ .

(٦٠) Marmorosch, Op. cit, p. 13

(٦١) شحاده ونقولا خوري : خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الارثوذكسية(طبعة القدس سنة ١٩٢٥) ص ٢٥ .

(٦٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك جـ ١ ص ٢٤٥ .

(٦٣) محمد صبيح : المعتدين اليهود من عهد موسى إلى عهد ديان ص ٩٥ .

(٦٤) - المرجع السابق ص ٩٦ .
— الاسقف ايسيذوروس : الخريدة النفيسة جـ ١ ص ٩٥

(٦٥) عارف العـــارف - المرجع السابق ص ٤٧ - ٤٨

(٦٦) السير ت. أرنولد : الدعوة الإسلام . ترجمة د. حسن ابراهيم وآخرين ص ٥١

(٦٧) Thomas of Marga, Books of the Governers, Vol, 2, p. 156

(٦٨) Eugene. H, op. cit, 46, Viatar. p. 22, Marmorosch. p. 13

(٦٩) The pilgrimage of Arteulfus, p. 195

(٧٠) مجير الدين : الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل صـ ٤٩ .
- عارف - المرجع السابق صـ ٥٢
- محمد علي كرد خطط الشام جـ ١ صـ ١٤٩

(٧١) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٢٩

(٧٢) البستانى - المرجع السابق جـ١١ ص ١١

Schaff. op. cit, p. 135

Viatar. op. cit. p. 51

(٧٣) ابن تغرى : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٠

(٧٤) عارف - المرجع السابق ص ٥١

(٧٥) كامل صالح نخله : تاريخ الكرسى الأورشليمى للأقباط الأرثوذكس - مخطوط بالدار البطريركية ص ١

- يسطس الدويرى : تاريخ الكنيسة - جـ ٢ (مذكرات غير منشورة) ص ٩٥

(٧٦) محمد صبيح - المرجع السابق ص ١٢٠

(٧٧) Schaff, Vol, 6. p. 136

(٧٨) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٥٥

(٧٩) د. أحمد سامح : المعاهد المصريه فى بيت المقدس ص ٤

(٨٠) فيشر : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى - ترجمة د. محمد زيادة ، د . الباز العرينى ص ١٧٢ .

(٨١) البستانى جـ١١ ص ١٣ .

- ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق جـ ٢ ص ١١

- ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ١١

(٨٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١ ص ٥٥٠

- أبو الفداء : المختصر جـ ١ ص ٤٠

- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣٣٨

- المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٢٣

(٨٣) Gibbon, Decline & Fall of Roman Empire. Vol. I. p. 184

(٨٤) - Grousset, Sum, of History, p. 177

- Heer, Medevial World, p. 111

(٨٥) Gayle Strange, Description of Syria Including Palestine p. 226.

(٨٦) Fasstick, A pilgrimage to Palestine. p. 255

(٨٧) Burchard, Description of the Holy Land p. 102

- مملكة بيت المقدس الصليبية ص ٨٣ .

(٨٨) د. جوزيف نسيم هزيمة لويس التاسع ص ١١٧

- محمد أبو زهرة : نظرية الحرب فى الاسلام ص ١١٨

- محمد شديد : الجهاد فى الاسلام ص ٩٠

(٨٩) Runciman, Ahistory of the Crusaders p. 294

- خليل ابراهيم تاريخ أورشليم ص ٧١ .

(٩٠) Atyia, A. S, Crusades, Commerce & Culture p. 39

محمد شفيق غربال وآخرين : الموسوعة العربية الميسرة (القاهرة١٩٦٥) ص ٤٥٤

(٩١) البطريرك مكسيموس مظلوم تاريخ الحروب المقدسة ص ١٧٤

- بولس شحاته وآخرين : تاريخ القدس ص ٢٨

- النجوم الزاهرة جـ٥ ص ١٤٨

(٩٢) Rienodau, Notice sur la Vie de Salah Eddine, p. 36

(٩٣) أبو المكارم سعد الله بن جرجس : مخطوط طبع Evetts بالعربية والانجليزية بلندن .

- جرجس فيلوثاؤس : أملاك القبط فى القدس الشريف ص٦

(٩٤) أبو الفداء : معجم البلدان ص ١٢٠

(٩٥) فى كتاب عنوانه : Guillaume de Tyre (خليل إبراهيم - تاريخ أورشليم ص ٧١)

(٩٦) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٢١٢

- ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٦٦

- ابن كثير : البدايه والنهايه جـ ١٣ ص ٨٣ - ٨٤

- أبو الفداء المختصر جـ ٣ ص ١٢٨

(٩٧) - القلانسى ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٧

- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٥ ص ١٤٩

(٩٨) عارف - المرجع السابق ص ٧١ - ٧٢

(٩٩) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة د. السيد باز العرينى ص ٤٠
(١٠٠) - رحلة ابن جبير ص ٢٧٧
- أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ص ١٠٥
(١٠١) د جوزيف - المرجع السابق ص ٦٧
(١٠٢) عارف - المرجع السابق ص ٧٤
(١٠٣) أسامه بن منقذ - المرجع السابق ٩٩
(١٠٤) خليل ابراهيم - المرجع السابق ص ٧٤
(١٠٥) » » » » ص ٧٥
(١٠٦) Schaff., op. cit, Vol, 6 p. 135
(١٠٧) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ص ٢٦٠
(١٠٨) ابن العماد : الفتح القسى فى الفتح القدسى ص ١٠٤
(١٠٩) Michaud, Histoire des croisades P. 39.
(١١٠) Rienodau; op. cit, pp. 36 - 37
(١١١) Stimpson G, A book About the Bible, p, 218.
(١١٢) ديورانت - المرجع السابق ص ٤١
(١١٣) - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ٢٠٧
- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١١٠
- ابن الجوزى : مرآة الزمان ج ٨ ص ٢٥٤
(١١٤) المقريزى : السلوك ج ١ ص ١١٥
(١١٥) عارف - المرجع السابق ص ٨٣
(١١٦) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢
(١١٧) خليل ابراهيم - المرجع السابق ص ٨٠
- البستانى ج ١١ ص ١٣
Schaff. op. cit, p. 135 -
(١١٨) خليل ابراهيم - المرجع السابق ص ٨١

(١١٩) البستانى ـ المرجع السابق ج ١١ ص ١٣
(١٢٠) للاستزادة من وقائع الحروب الصليبية يمكن الرجوع لكتابات المؤرخين المعاصرين لها . وعلى وجه الخصوص ابن خلدون . ابن الأثير . القاضى الفاضل . ابن خلكان .
(١٢١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٧ ص ١٩٤
(١٢٢) مجير الدين القاضى : الأنس الجليل المرجع السابق ص ٦٠٦
(١٢٣) خليل إبراهيم ـ المرجع السابق ص ٨٩
(١٢٤) عارف ـ المرجع السابق ص ٩٩
(١٢٥) Viatar, op. cit, p. 23
(١٢٦) خليل ابراهيم ـ المرجع السابق ص ٨٤
(١٢٧) عارف ـ المرجع السابق ص ١٠٤
(١٢٨) خليل ابراهيم ـ المرجع السابق ص ٨٢
(١٢٩) أوليا جلبى ـ مخطوط سنة ١٦٧٠ (عارف ص ١٠٥)
(١٣٠) المرجع السابق ص ١٠٦
(١٣١) Neophitos, Annals of Palestine (1821 - 41) p. 115
(١٣٢) عارف ـ المرجع السابق ص ٢٦٠
(١٣٣) المرجع السابق ص ٢٧٢
(١٣٤) » » » ٢٧٣
(١٣٥) مترى رزق ـ قصة الأقباط فى الأرض المقدسه ص ٥٢
(١٣٦) Marmorsch, op. cit, p 67
(١٣٧) إيلى ليفى ـ المرجع السابق ص ١٠٥ ـ ١٠٦
(١٣٨) Eugene. H, op. cit, p. 8
(١٣٩) Ibid, p. 80
(١٤٠) عارف ـ المرجع السابق ص ١٣٨
(١٤١) مكتب الهيئة العربيه العليا لفلسطين ـ حقائق عن قضية فلسطين (١٩٥٧) ص ٦٥
(١٤٢) ايلى ليفى ـ المرجع السابق ص ٢١٧

(١٤٣) للتوسع فى هـــذا الموضوع يمكن الرجوع لملحق الاهرام عن فلسطين فى ١٧ / ٥ / ١٩٦٩

(١٤٤) Harmsworth, op. cit, Vol. 5 p. 4420

(١٤٥) Ibid, p. 5935

(١٤٦) La Rouse du xxe Siècle, Tom. 4, p 173

(١٤٧) LandShut, S., Jewish Communities in the Moslem countries of, The Middle East, p. 10

(١٤٨)، (١٤٩)، (١٥٠) - ايلى ليفى - المرجع السابق ص ٦٩ ، ٥٤ ، ١٠١ على التوالى

(١٥١) Federbush, World Jewry To-day (London 59) p. 30

(١٥٢) Lilienthal, A., what price Israel, p. 3

(١٥٣) ملحق جريدة الاهرام عن فلسطين يوم ١٧ / ٥ / ١٩٦٩

(١٥٤) مجلة المصور المصريه، عدد ١٤ / ٧ / ١٩٤٤ (د. عبد الله حسين المسألة اليهوديه)

(١٥٥) Eugene H. op. cit, P. 09.

(١٥٦) دكتور عبد الله حسين : المسألة اليهودية ص ٨١

(١٥٧) Jewish Encyclopedia, Vol, 6.

(١٥٨) Friedrich Herz, Race & Civilization, p. 313

(١٥٩) Ripley. W. Z. Races of Europe. p. 392

(١٦٠) البـــلاذرى - فتـــوح البلدان ص ٢٠٨

(١٦١) أنظر مقال الدكتور جرمانوس بجريدة الاخبار المصريه يوم ١٩٦٩/٣/٢٦.

(١٦٢) د. فيليب رفله وآخرين - جغرافية الوطن العربى ص ٣٢٩ .

(١٦٣) قداسة البـــابا شنودة الثالث : محاضرة عن رأى المسيحيه فى اسرائيـــل الحالية بدار نقـابة الصحفيين بالقـاهرة فى ٢٦ / ٦ / ١٩٦٦ ص ٨٣ - ٨٤

(١٦٤) د. مراد كامل : اسرائيل فى التوراة والانجيل ص ١٨ - ١٩

(١٦٥) Encyclopedia Americanna, Vol, 16, p. 99

(١٦٦) جانن يانج : مقال عن القدس تحت وطأة الاحتلال بجريدة الاوبزرفر البريطانية وترجمه ونشره الاهرام فى ١٩ / ٩ / ١٩٦٩ .

(١٦٧) مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين : حقائق عن قضية فلسطين ص ٢٢٤

(١٦٨) Encyclopedia Britannica, Vol. 13 - pp. 6-7 (1964)

(١٦٩) د. فيليب رفله وآخرين ـ جغرافية الوطن العربى (القاهرة ١٩٦٥) ص ٣٠٥

(١٧٠) جورج توفيق ـ مقال بجريدة وطنى المصريه فى ٥ / ١٠ / ٦٩ / بعنوان « ماذا تقول اسرائيل عن هذه الوثيقة »

(١٧١) جون هربرت : مقال بعنوان « القدس لمن ؟ » نشره الاهرام فى ١٠/٥/١٩٦٩ .

(١٧٢) د. السيد رجب حراز : مقال بعنوان « نوايا اسرائيل إزاء المقدسات الاسلامية والمسيحيه » بجريدة الجمهورية القاهرية فى ٤/ ٩ / ١٩٦٩ »

(١٧٣) د. عائشة راتب ـ مقال بعنوان « موقف القانون الدولى من مؤامرة اسرائيل ضم القدس » بجريدة الاخبار القاهريه فى ٦ / ٧ / ١٩٦٩

(١٧٤) د. يسرى رزق ـ المرجع السابق ص ٨٠

(١٧٥) محمد حسن الباقورى ـ مقال عن « تدويل القدس » بمجلة العربى الكويتيه ، عدد يناير سنة ١٩٦٩ .

(١٧٦) Ronald Storrs, Orientations. p. 20

الباب الثالث

المقدسات المسيحية والاسلامية

(مهداه الى الذين حرموا من زيارتها)

الفصـل الأول

الجاليـات المسيحية فى القـدس

١ — الروم الأرثوذكس :ـ

هى الجالية القديمه ، التى عاشت فى القدس منـذ العصور المسيحيـة الأولى ، وقـد أوضحنا فى الباب السابق مقدار ما عانتـه هذه الطائفة من آلام على يد اللاتين ، وكيف استردوا كل حقوقهم كاملة على يد الحكم العربى

وفيما يلى أهم ممتلكاتهم بالمدينة المقدسة [١] :ـ

١ - دير أبينا ابراهيم فى جنوب شرق ساحة القيامة وبه كنيستان .

٢ - « مار يوحنا المعمدان بين سوق علون وحارة النصارى .

٣ - « مار سابا على مقربة من بركة سلوام فى الجنوب وبه كنيسة

٤ - « العذراء بين كنيسة القيامه والمسجد العمرى الذى فى جنوبها .

٥ - « المركزى (الكبير) جنـوب بطريركيـة الروم ، فى حارة النصارى ، وبه ٣ كنائس وهيكلان ، وهو قاعـدة أديرة الروم بفلسطين .

٦ - كنيسة القديسة مريم فى وادى قدرون ، وبها قبور يواقيم وحنة والعذراء ، ويوسف النجار ، وهى للروم والأرمن وبها هيكل لكل من الأقباط والسريان .

٧ - دير القديس ثيؤدوسيوس بين بيت لحم ومار سابا .

٨ - « المصلبـة فى غرب القـدس .

٩ - « البنات فى شمال خان الأقباط وبه كنيستان .

١٠- « مار اليـاس على طريق بيت لحم فى جنوب القدس .

١١- « الجليل فوق جبـل الطور ، وبه كنيستا غاليليا والعذراء ، وقـد ظهر فيه المسيح لتلاميذه بعد القيامـــة .

١٢- دير القطمون (أو سمعان) غربى القدس ، وبه قبر القديس سمعان

١٣- « حبس المسيح ، على طريق الآلام .

١٤- « مار خرالامبوس شرق المدرسة الصلاحية .

١٥- دير السيدة على مقربة من المدرسة الصالحية .
١٦- « مار إفتيموس ، وهو ملاصق لدير السيدة من الشمال .
١٧- « العدس (أو نيقوديموس) فى حارة السعدية .
١٨- « صهيون ، على جبل صهيون فى جنوب القدس .
١٩- « مار جرجس ، وهو ملاصق لدير اللاتين فى الشرق .
٢٠- « مار جرجس شرق دير الأرمن .
٢١- « مار ميخائيل ، فى شمال بطريركية الروم الأرثوذكس
٢٢- « القديسة كاترين فى حارة النصارى بين الصلاحية ودير اللاتين .
٢٣- « مار سبيريدون فى حارة الجدادين .
٢٤- « مار ديمترى فى حارة النصارى .
٢٥- « مار نقولا غرب البطريركية
٢٦- « مار تادرس بجوار مبنى الكازانوفا .
٢٧- « القديس أنوفريوس (أبا نوفر القبطى) فى الوادى بين جبل صهيون وجبل أبى ثور فى جنوب القدس الجديده .
٢٨- « دير أبى ثور على جل المكبر فى جنوب القدس .
٢٩- « اليعازر فى اليعازرية فى شرق القدس .

٢ — الروم الكاثوليك :-

أنشأ أبروشيتهم البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٩٤٨ ، ويقع مقرها فى حارة الموارنه . ولهم فيها نائب بطريركى ، يتبع بطريرك الروم الكاثوليك فى دمشق ، وممتكاتهم بالقدس :-

أ- كنيسة القديسة حنة بين باب حطة وباب الأسباط فى شمال الحرم
ب- « « فيرونيكا على طريق الآلام .

٣ — اللاتين الكاثوليك :-

أنشأ البابا الرومانى /٩ بطريركية اللاتين بالقدس سنة ١٨٤٧ ، ولهم عدة رهبانات فى القدس وهى[٢] :-

أ ـ الفرنسيسكان :ـ وتزعموا حراسة الأماكن المقدسة من ١٢٩١-١٨٤٧ ومن أملاكهم : ـ

١- دير المخلص (أو دير اللاتين) شمال غربي حارة النصارى .
٢- الكازانوفا (الدار الجديده) بين الباب الجديد ودير الإفرنج ـ مقر للحجاج .
٣- دار البطريركية قرب الكازانوفا ، وبها مدرسه لاهوتيه وكنيسه باسم يسوع.
٤- كنيسة الجسمانيه بوادى قدرون (١٩٢٤م) .
٥- « مار فرنسيس شمال قبر النبي داود (١٩٣٠م).
٦- « حبس المسيح قرب طريق باب الأسباط .

بـ الدومنيكان ـ جاءوا للقدس سنة ١٨٨٢ ولهم فيها :

دير وكاتدرائية سان إيتيان (أو أسطفان) شمال باب العمود به هيكل كنيسة باسم الكنيسة الملوكية الصغرى (١٨٩٨).

حـ ـ الآباء الكرمليون : جاءوا سنة ١٦٣٦ ولهم دير صغير بحى الطالبيه وهيكل باسم القديسه تريزا .

د ـ راهبات مار يوسف : ـ ج.ش. سنة ١٨٤٨ ولهن مستشفى قرب الباب الجديد في الشمال ، ودير مار يوسف في حارة الموارنه (١٨٥٠) ، وبه مدرسه للبنات ، ومدرسه ثانوية أخرى خارج السور.

هـ ـ رهبان مار يوسف :ـ (١٨٧٩) ولهم مستشفى بين القدس وبيت لحم .

و ـ راهبات صهيون : ولهن مدرسة صناعيه بجوار مقبرة ماملا في الغرب، والمنزل النمساوى في حارة الوادى على طريق الآلام .

ز ـ راهبات الكرمل : (١٨٧٣) ولهن دير على جبل صهيون ، وهن لا يظهرهن لأحد طوال حياتهن .

س ـ رهبان الآباء البيض: (١٨٧٨) ولهم كنيسة القديسة حنه .

ش ـ راهبات الورديه : (١٨٧٩) ولهن دير بجوار بطريركية اللاتين ، ودير جنوب قبر ماملا في غرب القدس .

ص - رهبان السكركير (القلب المقدس) - ١٨٧٩ - ولهم دير قرب بيت لحم ، وكانت لهم مدرسة لاهوتية ثم نقلوها لفرنسا فى آخر سنة الانتداب .

ض - راهبات مار فرنسيس - ١٨٨٤ - ولهن دير فى حارة النصارى .

ط - راهبات القديسه كلارا - ١٨٨٤ - ولهن دير بجبل المكبر ، ولا يختلطن بأحد .

ظ - راهبات المحبه - ١٨٨٦ - ولهن معهد للأيتام والعجزة والعميان فى طريق ماملا .

ع - الرهبان الإنتقاليون (الأغسطينيون) - ١٨٨٧ - ولهم عمارة ضخمة تسمى نوتردام دى فرانس قرب الباب الجديد فى الشمال . لايواء الحجاج وبه كنيستان ومتحف ومدرسه دينيه ومكتبه .

غ - راهبات السجود - ١٨٨٨ - لهن دير أمام المستشفى الفرنسى على طريق سانبان ، وبه هيكل باسم القربان المقدس ، ترى أمامه فى أى وقت راهبتان ساجدتان . وتتبادل الراهبات السجود مرة كل ساعة .

ف - الرهبان العازريون - ١٨٩٠ - ولهم عمارة بباب العمود ، اتخذها الحاكم البريطانى فى أوائل الاحتلال مقراً له ، ولهم دير فى جنوب مقبرة ماملا .

ق - الراهبان الترابيست - ١٨٩١ لهم دير فى اللطرون ويعيشون فى صمت تام

ك - راهبات مريم الفرنسيات المرسلات - ١٩١٨ - ولهن دير بباب العمود .

ل - الرهبان الكبوسيون - ١٩٣٥ - ولهم دير فى الطالبيه ، ومدرسه بها .

م - الجزويت (اليسوعيون) - ١٩٢٧ - ولهم معهد للآثار فى حى النيقوفورية

ن - وهناك أيضا إرساليات كاثوليكية أخرى فى القدس ، منها رهبان وراهبات السالزيان فى حى المصرارة ، ورهبان وراهبات البندكت على جبل صهيون ، راهبات الجلجثة . والآباء المعزون وغيرهم ،

٤ — الأرمن :-

كانوا سنة ١٩٤٥ نحو ٥٠٠٠ أرمنى وهما فئتان . - إحداهما قديمه تعيش فى دير مار آركنجل - ويسمى أيضا بالزيتونه - ويقع فى شرق دير مار يعقوب وطائفة أخرى حديثة جاءت للقدس بعد اضطهاد الأرمن على يد الأتراك فى الحرب العالمية

الأولى . ويعيشون فى دير مار يعقوب قرب باب النبي داود فى الجنوب ، ومن ممتلكاتهم :-

أ - دير حبس المسيح على جبل صهيون . وبه كنيسة صغيرة وقبور لبطاركتهم .

ب - كنيسة الجلجثة الثانية بالقيامة وهى أمام القبر المقدس ، وكنيسة ماركريكورلوسكا (وتسمى بكنيسة القديسة دميانة) وكنيسة مار يوحنا بساحة القيامة ؛

حـ - لهم عدة جمعيات خيريه ودينية كثيرة .

٥ — الأقباط :-

عاشوا فى القدس منذ منتصف القرن الرابع الميلادى ؛ وكانوا مخلصين لصلاح الدين ، فرد لهم أملاكهم التى اغتصبها الصليبيون ، وكانت شئونهم تدار بمعرفة رجال الكنيسة الانطاكية السريانية ، وفى سنة ١٢٣٦ أقيم أول مطران قبطى[٣] . وفى الخمسينات كان عدد الأقباط نحو خمسمائه وارتفع أخيراً إلى ”وألف“ ، وممتلكاتهم بالقدس :-

أ - دير السلطان وبه كنيستا الملاك والأربعة حيوانات .

ب - « مار أنطونيوس شمال شرقى القيامه ، وبه كنيستان باسم انطونيوس وهيلانه .

حـ - « مار جرجس فى حارة الموارنة قرب باب الخليل .

د - خان الاقباط للحج «١٨٣٩» فى حارة النصارى بين باب الخليل وكنيسة القيامة .

هـ - كنيسة السيدة العذراء بالجسمانيه بجبل الزيتون .

و - هيكل على جبل الزيتون .

ز - كنيسة باسم مار يوحنا - خارج كنيسة القيامة .

ص - « صغيرة باسم الملاك ميخائيل . ملاصقه للقبر المقدس من الغرب .

٦ — الأحباش :-

جاءوا للقدس بعد القرن الرابع الميلادى ، وكان لهم فيها كنائس وأديره كثيرة إلا أنهم أضاعوا أكثرها من أيديهم وبقى معهم :-

أ - كنيسة الأحباش خارج السور فى الشمال الغربى من المسكوبية « ١٨٩٠ » .

ب - دير الحبش وهو ملاصق لكنيسة القيامة فوق مغارة الصليب ، وهو جزء من دير السلطان القبطى الذى لم ينقطع الخلاف حوله حتى الآن .

وقد ساءت أحوال الأحباش فى القدس فى أوائل القرن التاسع عشر . وتناقص عددهم ، فلم يبق منهم سوى سبعين شخصاً فقط قبل سنة ١٩٤٨ .

٧— السريان :-

جاءوا للقدس منذ القرن الميلادى الأول ، وزاد عددهم أيام الصليبيين . ثم رحلوا معهم ، وقل عددهم بعد ذلك وهم فئتان :-

أ - السريان الأرثوذكس : وعددهم نحو ٢٠٠٠ ولهم فى القدس :-

١- دير مارجرجس بين حارتى الأرمن واليهود ، وبه كنيسه باسم العذراء
٢- « العدس شمال قوس ايتشى هومو على طريق الآلام (١٥٧٦ م)
٣- « مار توما فى الشارع المؤدى لحى النبي داود .
٤- هيكل صغير بكنيسة القيامة باسم يوسف ونيقوديموس .
٥- « فى كنيسة ستنا مريم قرب الجسمانية .
٦- « على جبل الزيتون .

ب - السريان الكاثوليك : وعددهم ٤٠٠ ولهم بالقدس :

١- دير بين باب العمود ونوتردام (١٩٠١) وبه كنيسة صغيرة .
٢- « مار مبارك شرق سلوام (١٩٠٣) وبه كنيسة .

٨ — الموارنة :

ينتمون لطائفة مار مارون (الذى عاش فى لبنان حوالى القرن الرابع الميلادى). وغير معروف موعد وجودهم فى القدس ويعيشون فى دير باسمهم (١٨٩٥) بحارة الموارنة بين سوق علون وحارة الأرمن .

٩ — الروس :-

كانوا أول من بنى خارج السور فى مكان واسع يسمى المسكوبية (١٨٥٦). وهو على بعد نصف ميل فقط بالقرب من باب الخليل فى الغرب ، وبه دار الأسقفية ،

وكنيستان إحداهما كبيرة - وتسمى بالثالوث المقـــدس (ولها سبع قباب مغطاه بالرصاص) والأخرى صغيرة باسم القديس اسكندر نيفسكى. ومكان للحجاج وقد استخدم الانجليز مبانى المسكوبية وعماراتها كمقار لإدارة مصالح حكومة الإنتداب منذ الحرب العالمية الأولى وكان للروس أيضا :-

أ - دير آخر يسمى المسكوبية قرب باب خان الزيت شرقى كنيسة القيامة .

ب - كنيسة باسم مريم المجدلية قرب الجسمانية على جبل الزيتون (١٨٨٩) .

حـ - « الصعود على جبل صهيون (وهى أعلى بناء فى القدس على الإطلاق)(١)

١٠ - الألمان :-

جاءوا سنة ١٨٥٣ م للقـــدس وهم فئتان :-

أ - الألمـــان البروتستانت : ولهم حى يسمى الكولونية الألمانية قرب محطـــة السكة الحديد جنوب القدس ولهم :

١ - دار الأيتام السورية (مدرسة شنلر سنة ١٨٦٠) خارج القدس فى الشمال الغربى ، لإيواء المكفوفين وتعليم الحرفيين .

٢ - مدرسة طابيثا قومى (وتسمى شرلوطه سنة ١٨٦٨ غرب السور من الخارج

٣ - « ترازيا (١٨٧٦) غرب بركة مامللا .

٤ - المستشفى الألمانى فى حى الشيخ عكاشة غرب المدينة سنة ١٨٩٤ م

٥ - كنيسة المخلص (أو الدباغه) وحضر تدشينها الأمبراطور غليوم سنة ١٨٩٨

٦ - منزل أوغستا فيكتوريا ، على جبل الزيتـــون ويسميه العرب أم الطلعة ، وأقام فيه المندوب السامى البريطانى سنة ١٩١٨ .

ب - الألمان الكاثوليك : ولهم بالقـــدس :

١ - كلية شميت للبنات (١٨٨٦) ويقوم بالتعليم فيها راهبات القديس شارل ، ويساعدهن راهبات عربيات ، شمال مقبرة مامللا .

٢ - دير القديس شارل بروميوس (١٨٨٧) ، للحجاج الألمان .

٣ - منزل القديس بولس ، شمال باب العمـــود (١٩٠٨) ، جعلته الحكومه البريطانيه مقرا لحاكمها سنة ١٩١٧ .

٤ - كنيسة الدورميثيو (نياحة العذراء) غرب مقــام النبي داود .

١١ - الانجليز :

جاءت مجموعه من المبشرين البروتستانت الانجليز الى القدس سنه ١٨٨٢ ، بزعامة رجل يهودى تنصر اسمه يوسف وولف ، وزادت حركة التبشير فى عهد المطران نيقـولا ياسون (١٨٣٢) ، والمطران ميخائيل ألكسندر ، الذى كان مقره كنيسة مار يعقوب ، وهو يهودى تنصر أيضاً ، وكان حاخاما فى انجلترا ، واستخدمه الانجليز فى الدعايه للمسيحية بين اليهود فى القدس ، وبنى كنيسة يسوع تجاه قاعة داود ، وتولى بعده صموئيل جوبات (١٨٤٦) وقضى ٢٣ عاما فى مدرسة صهيون ، ثم المطران يوسف باركلى سنه ١٨٧٩ ، ثم جورج فرنسيس سنة ١٨٨٧ ، الذى أسس مدرسة القديسة مريم لليتامى من اليهود ، وكنيسه ومدرسه أخرى باسمه ، ومستشفى فى ظهر المدينه . وتلاه المطران جورهام براون سنة ١٩٣٢ (٥).

١٢ - الأمريكان :-

جاءت أول قافلة أمريكيه للقدس تضم ١٣ شخصا ، وشيدوا الكولونيه الأميريكيه بحى الشيخ جراح فى منتصف القرن الماضى ، وبلغ عدد الأميركيون فى المدينه المقدسة سنة ١٩٤٥ مائة وخمسين فقط ، ولهم كنيسة فى شارع الأنبياء ، ومدرسه الآثار الشرقيه ، ومنزل للزوار ودار للقنصليه (١٨٥٧) (٦) .

الفصل الثـانى

وصف تفصيلى لأهم المقدسات المسيحية بالقدس

أولا : المقدسات التى داخـل الأسوار

١ - كنيسة القيامة :

أجمع المؤرخون وعلماء الآثار على أن تل الجلجثة (مكان الصلب) كان واقعا خارج

أسوار المدينة فى أيام المسيح (كما يتضح من الخريطة الخاصة بهذه الفترة ص ٣٧) ، وكان بالقرب من باب يسمى باب الجنة (أو القضاء) ، وقد حاول الامبراطور الرومانى هدريان أن يمحى هذا الأثر المقدس ، فعمد إلى ردم القبر والجلجثة ، ووضع اليهود فوقهما طبقات كثيفة من التراب ، وزرع المكان كحديقة لجوبتر وفينوس آلهته . كما ذكر المؤرخ يوسابيوس القيصرى وايرونيموش ، ولكن المسيحيين لم يكفوا أبدا عن زيارة هذا المكان المبارك ، كما ذكر العلامة أوريجانوس وغيره .

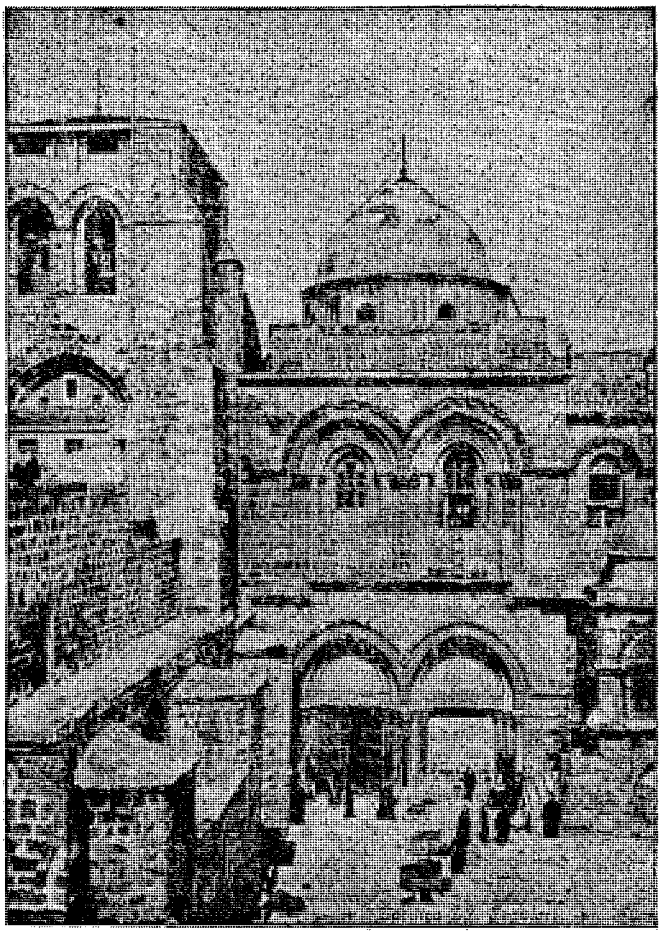
وفى سنة ٣٢٦ توجهت القديسة هيلانه أم الامبراطور قسطنطين إلى القدس ، حيث بحثت عن صليب المسيح ، بعد أن أغرت بعض اليهود المسنين بالذهب لإرشادها عن مكانه .



(المسيح مكللا بالشوك)

ويذكر التقليد أنها تمكنت من إزالة الردم ، فوجدت ثلاثة الصلبان ، التى كان من بينها صليب المسيح وصليبا اللصين الذين صلبا معه ، وحينما وضعت أحد الصلبان الثلاثة على أحد الموتى قام ، فأدركت أنه صليب المسيح ، وعندما قامت الملكة بهدم التل الصخرى ، حتى أصبح بموازاة القبر ، ولم يبق قائما على ارتفاعه الاول سوى محل الصليب وأقيم حول القبر على دائرة واسعة عشرون عمودا من الرخام يحيط بها جدار مستدير ينعطف فى جهاته الأربع إلى هيكلين عن اليمين وعن اليسار ، وبينهما هيكل ثالث إلى الوراء يقابله المدخل الكبير ، ويضم الجميع قبة كبيرة . وسمى هذا المكان بكنيسة القيامة ، وقد دشنها البابا السكندرى أثناسيوس الرسولى سنة ٣٣٠ م ثم شيدت بالقرب من القبر المقدس كنيسة موازية له تنقسم بالأعمدة الرخامية إلى خمسة أروقة فسيحة ، سميت بكنيسة المرتيريون (أى الآلام) ، وكان بينها وبين البناء المستدير على القبر المقدس المسمى أنسطاسيس (أى القيامة) عدة أبواب تفصل بينها وبين الجلجثة ، التى تركت مكشوفة ، يحيطها درابزين فضى ، وعليها هيكل إلى جهة الصليب يصعد إليه بسلالم . أما المغارة التى وجد بها الصليب فكانوا ينحدرون إلى كنيستها السفلية من منتصف هيكل القيامة .

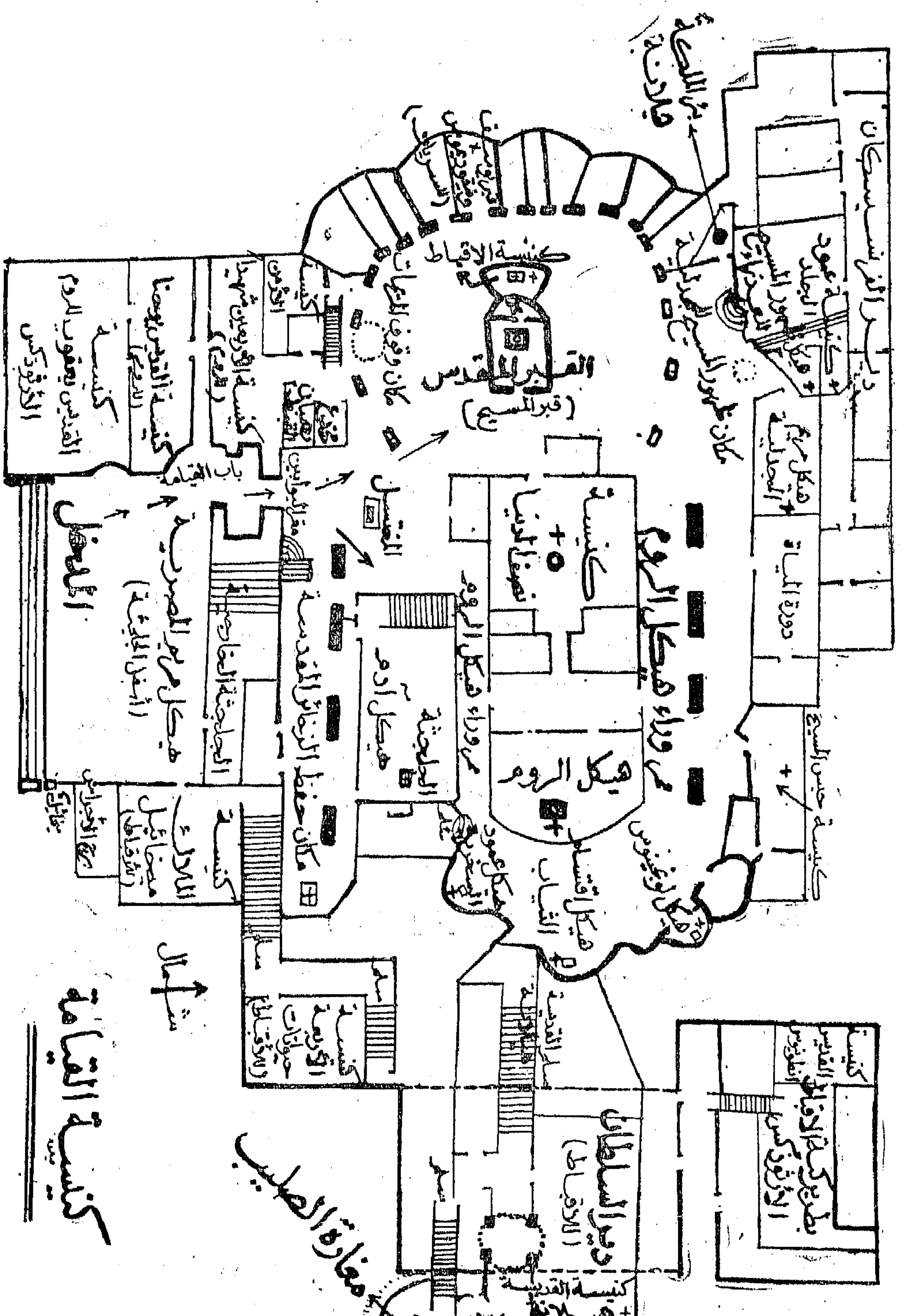
وظلت هذه الأماكن على هذا الوصف حتى سنة ٦١٤ م ، حين خربها كسرى الثانى



(مدخـــل كنيسة القيامة)

ملك الفرس ، عندما جاء فى حملة على فلسطين وقبض ـ بإيعاز من اليهـــود ـ على زكريا بطريرك القدس وأخذه معه أسيراً ، وهكذا بقيت أبنية قسطنطين مدة ٢٧٨ عاماً .

وبعد خروج الفرس قام مودستس رئيس دير ثيؤدوسيوس باستئناف عمارة كنيسة القيامة ، ولكنه لم يتمكن من إعادة البناء إلى رونقه الأول لكثرة النفقات ، فجدد هيكل القيامة والجلجثة وجزء من المرتيريون ، وما بقى من المساحة الفسيحة بين الانسطاسيس ومغارة الصليب والجلجثة فقد تحول إلى أروقة محاطة بأبواب وكنائس صغيرة ، حيث كانت ذخائر الآلام ، وكنيسة العـــذراء حيث ظهر لها المسيح بعد قيامته . وقد تهدمت أجزاء من كنيسة القيامة سنة ١٠١٠ م فى أول عهد الحاكم بأمر الله ، لكنه سمح بعد قليل بإعادة بنائها ، كما سبقت الاشارة ، فتم تجديد بناء كنيسة القبر المقدس والجلجثة ومغارة



كنيسة القيامة

الصليب وكنيسة العذراء . وفى سنة ١١٤٠ م قام الصليبيون بتوصيل كل معابد القيامة فى كنيسة واحدة «أنظر الرسم» ، وبنوا شرق القبر المقدس كنيسة باسم نصف الدنيا، حيث أشيع أنها مركز العالم القديم ، وشيدوا برجا للأجراس ، واستغرق ذلك العمل تسع سنوات . وعندما فتح صلاح الدين القدس ، أشار عليه بعض أصحابه بأن يهدم كنيسة القيامة ، كى لا يبقى لمسيحى الغرب حجة لغزو القدس مرة أخرى ، فرفض وأمر المسلمين ألا يصيبوها بسوء . وقيل أنه فى عهد صلاح الدين سلمت مفاتيح القيامة إلى عائلتين مسلمتين ، هما عائلتا نسيبة وجودة . ولا يزال أحفادهما يحتفظان بهذا الحق للآن، على أساس أن المفاتيح بيد آل جودة . وأما عملية فتح الابواب واغلاقها فمن واجب آل نسيبة ، والأرجح أن ذلك العمل تم فى عهد السلطان سليمان العثمانى . ويرى البعض أن ذلك قد تم بناء على رغبة الروم ، حيث كان الخلاف على أشده بين الروم الأرثوذكس واللاتين أثناء الاحتلال الصليبى كما سبقت الاشارة ، حيث تمكن اللاتين من السيطرة على القيامة إلى أن أعادها صلاح الدين للروم ، وللأسف ـ حدثت عدة خلافات أخرى بين الطوائف فيما بعد ، حتى أن الكاتب أشبى Ashbee قال فى إحدى مذكراته عن هذه الفترة ـ كشاهد عيان «ان السلام الذى بشر به المسيح ، قد يكون ظاهرا فى أى مكان ـ ولكن للأسف ـ لا يوجد بين جدران القيامة ، حيث شهدت صراعا بين الطوائف المسيحيه ، حتى ليخيل للمرء الذى يتتبع أنباء هذه الاختلافات أنه ليس لهذه الكنيسة ، التى تقدسها جميع الطوائف أية صلة بتعاليم المحبة الحقيقية التى نادى بها المسيح(٧)».

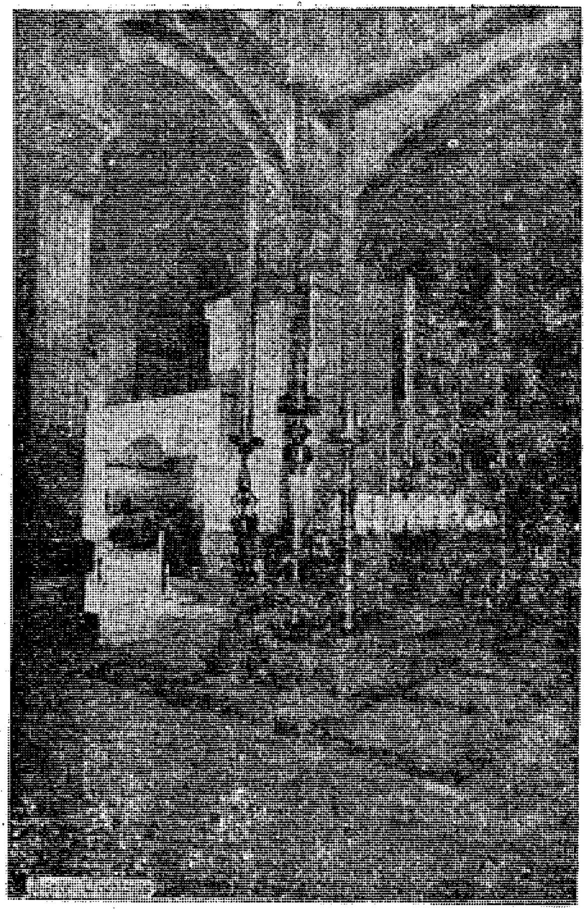
ومن الأمثلة الأخرى إختلاف اللاتين والكرج حول كنيسة الجلجثة سنة ١٤٩٣ ، ورفع شكواهما للقاضى المسلم بالقدس ، الذى أمر بأن تقسم بينهما . فى خط من الشمال الى الجنوب ، كما تعددت شكاوى الأرمن وغيرهم لقاضى القدس ، وكانت أحيانا تصل الى دار الخلافة العثمانية فى أسطنبول ، ومن أبرز المشاكل التى مازالت حتى الآن إدعاء الأحباش بملكية دير السلطان التابع للأقباط . ولهذا قام الحكام المسلمون بتنظيم ملكيه الطوائف ومنع حدوث المصادمات عن أحقيتها فى دخول القبر المقدس قبل الأخرى يوم سبت النوره فرتب هذه العملية مجلس إنعقد فى دار المحكمة الشرعية سنة ١٥٤٢ م برئاسة مجموعة من القضاة المسلمين ، بحضور ممثلى الطوائف ، وحدد طريقة الدخول إلى قبر المسيح ومواعيد الزيارة ، واتفق الحاضرون على أن يحمل الرؤساء الدينيون الشموع المضاءة بنفس الترتيب عند خروجهم من كنيسة القيامة (٨).

وقد تم إعادة ترميم كنيسة القيامة بعد الحوادث فى سنوات ١٢٤٤ ، ١٤٠٠ ، ١٧١٩ ،

وبعد حريق سنة ١٨٠٨ (الذى امتد من كنيسة الأرمن إلى أنحاء كنيسة القيـــامة) ، والذى لم يسلم منه سوى جانب من الجلجثة وكنيسة القديسة هيلانة وهيكل اللاتين . وفى هذه المرة أزيلت القبور اللاتينية الكثيرة التى شيدها الصليبيون ، وقام مهندس يونانى بالاستعاضة عن الأعمدة بالدعائم الثقيلة عقب التصدعات ، التى أحدثها زلزال سنة ١٨٣٤ وجعل كل خورس كنيسة قائمة بذاتها ، وأقام الجدران بدل الحنايا (أنصاف الأقواس). وبذلك تغطى المكان بعد أن كان مكشوفا ، أما القبة الوسطى فلم يمض عليها خمسون عاما حتى تداعت ، وقد تجددت سنة ١٨٦٩ م .

وتقع كنيسة القيـــامة الحالية بالقرب من باب الخليل ، والطريق الذى يؤدى اليها يسمى حارة النصارى ، ويوصل إلى سوق القيـــامه ، وهو مكان فسيح يقف فيه باعة التحف والمسابح والأيقونات الدينية والشموع التى تباع للحجاج والسياح. وأمام الكنيسة ميدان فسيح مربع يسمى بساحة القيامة ، كان يقف فيه الزوار منذ عهد السلطان العثمانى سليمان القانونى لدفع رسوم دخول الكنيسة ، حتى عهـــد ابراهيم باشا الذى ألغى هذه الرسوم سنة ١٨٣٢ . بعد خضوع المدينـــة المقدسة للحكم المصرى(٩). وعند المدخل نجد ثلاث درجات عليها آثار أعمدة المدخل القديم ، ومنها عمود قائم حتى الآن ، ويرجع للقرن التاسع ، ويكتنفه جدار من جهاته الثلاثة ، حيث توجد كنيسة مار يعقوب الصغير وكنائس مار يوحنا ، ومريم المجدلية والأربعين شهيداً (وهى تسمى أيضا بالثـــالوث الأقدس) ، وفيها مكان قديم للعماد، وقبور لبعض بطاركة الروم الارثوذكس بالقدس . وفى اليمين ثلاثة أبواب ، يوصل أحدهما لدير الروم المسمى باسم القديس ابراهيم ، وقد أخذوه من يد الأحباش ، والثانى يوصل لجرس المنـارة . ومن الباب الثالث ندخل إلى كنيسة المـــلاك ميخائيل القبطية ثم كنيسة الإفرنج ، التى يصعد اليها بأثنى عشرة درجة حجرية ، حيث كان مدخل الجلجثة ، الذى سده اللاتين سنة ١١٨٧ وجعلوه هيكلا باسم أم الأحزان ويوحنا الحبيب ، وتحته هيكل بنفس حجمه باسم القديسة مريم المصريه (التى كانت امرأة شريرة ، أتت من الاسكندريه سنة ٣٧٣ مع الحجـــاج المصريين باستخفاف ، وأرادت دخـــول كنيسة القيامة فأحست كأن يداً غير منظورة تمنعها من الدخول(١٠) فتابت وعاشت فى قفار الأردن ٤٨ عاما فى زهد وتقشف وعبادة).

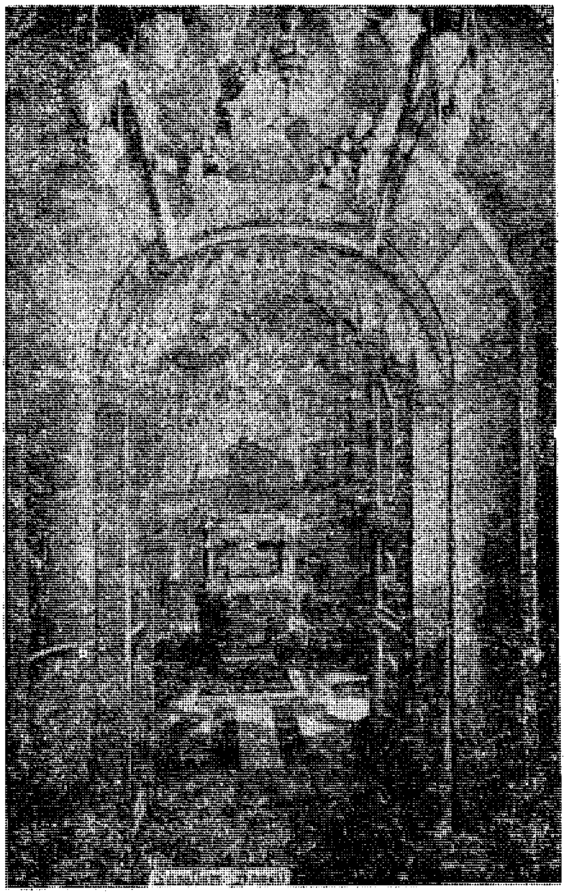
وبعد ذلك نتجه مباشرة نحو باب القيـــامة الرئيسى ، وهو فى جنوب الكنيسة (أنظر الرسم) ، وكان هنـــاك باباً آخر فى الغرب ، يدخل منه الزوار من ناحية حارة النصارى ولكنه سد سنة ١٨٠٨ م. وبعد الدخول نجد عن شمال البـــاب الرئيسى مكان



المغتسل داخل كنيسة القيامة

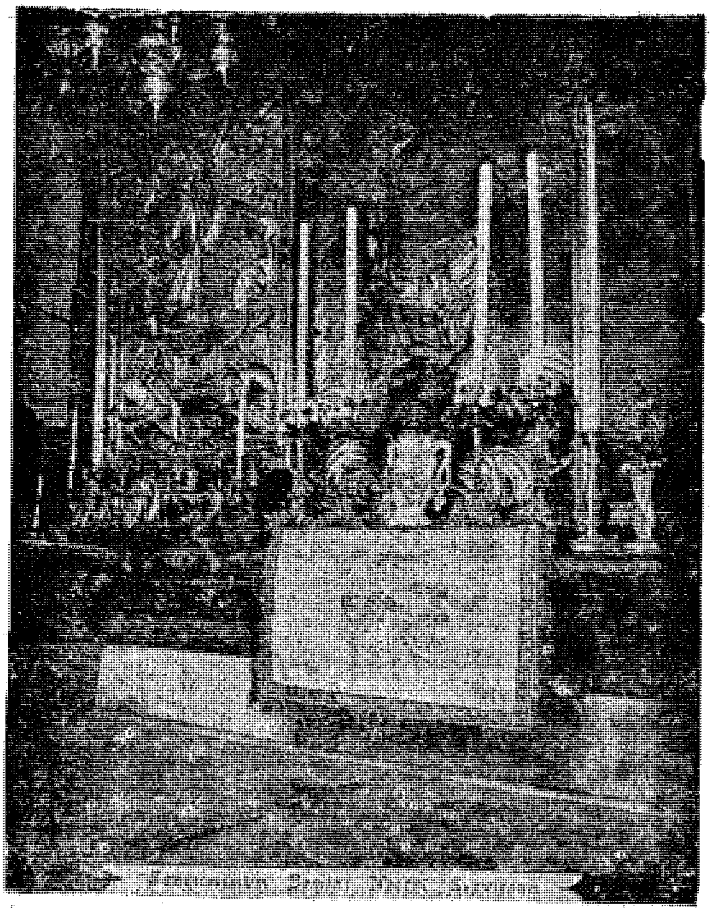
البوابين المسلمين ، وعن يمينه سلالم الجلجثة ، وأمامه حجر أحمر ارتفاعه نصف ذراع يسمى المغتسل ، وفى هذا المكان أنزل يوسف الرامى ونيقوديموس اليهودى جسد المسيح من على الصليب ، ووضعوه على هذا الحجر ، بعد أن وضعوا عليه الطيب والحنوط . وكان فى هذا المكان هيكل باسم العذراء مريم أزاله الافرنج عند بناء الخورس الفسيح ، وأمام المغتسل يوجد القبر المقدس الذى دفن فيه المسيح ، وأضيف اليه هيكل الملاك مكشوفا ، وغطيت القبة والجدران بالرخام فى القرن التاسع ، أما فى القرن الحادى عشر فقد وضع الصليبيون تمثالا فضيا للمسيح ، أكبر من الحجم الطبيعى بقليل ، ثم غطوا قبة القبر المقدس بصفائح فضية مطلية بالذهب ، ثم أقيمت ثلاثة جدران حول هيكل الملاك .

وفى سنة ١٥٤١ جدد الأب بونيفاسيوس راغوس القبر وزينه ، وسد بابى هيكل



واجهة القبر المقدس ، ويبدو الحجر الذى دحرجه الملاك على فم القبر

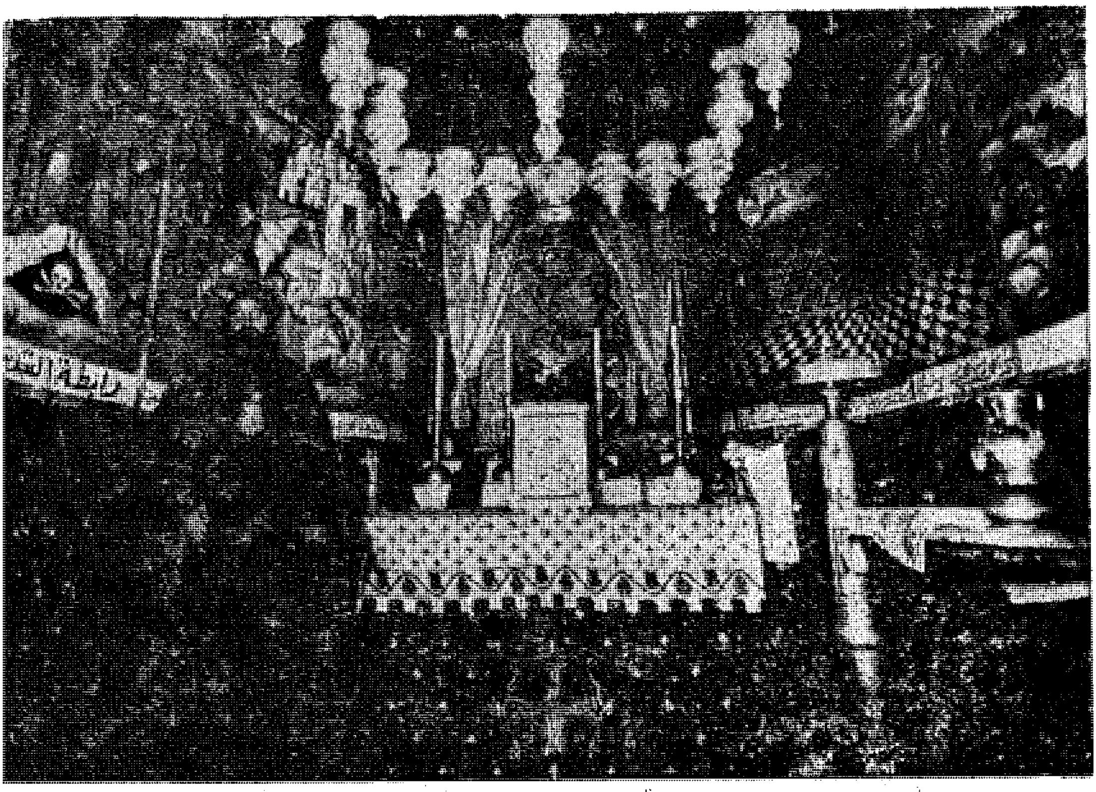
الملاك ، فلم يبق له إلا الباب الأوسط . وفى سنة ١٠٥٥ أقام الأقباط هيكلا لهم ، وراء القبر المقدس من الغرب، ظلوا محتفظين به للآن، رغم محاولات الكثيرين انتزاعه منهم (١١).
وبعد حريق سنة ١٨٠٨ خرم الروم الأرثوذكس القبة تماما وأزالوا إنحناء الواجهة ، فجعلوها على زاويتين قائمتين بعد أن كانت على شكل نصف دائرة . وأما الرخامة التى على القبر المقدس فهى قديمة ، فقد أشار البوا أحد الزوار سنة ١١١٢ م وقال أنها كانت مثقوبة بثلاثة ثقوب تمكن الزوار من النظر الى الصخر وتقبيله . واذا سرنا شمال القبر نجد هيكل القديسة مريم المجدلية ، حيث قابلت المسيح بعد قيامته وظنته البستانى (يوحنا ٢٠ : ١) وفى شماله نصعد أربع درجات الى كنيسة ظهور المسيح للعذراء مريم بعد القيامة كما يذكر التقليد ، وفيها مذبحان فى أحدهما قطعة صخرية من العمود الذى جلد عليه الجند الرومان السيد المسيح وطولها ٧٥ سم . ووراء هذه الكنيسة يقع دير الفرنسيسكان ثم منحنى



القبر المقدس من الداخـــل

البتول ، وهو ممر مظلم قائم على سبع قناطر ، يقود فى آخره الى هيكل صغير مظلم قائم على قنطرتين . يسمى هيكل حبس المسيح (وربما ترجع هذه التسمية الى أنه كان يضم ذخائر الآلام) (١٢) ويرجع للقرن ١٤ م . وقد أكتشف فى أوائل القرن الحالى، على بعد عشرة أمتار فى الشمال الشرقى قبر يوسف الرامى ، مما يدل على أن هذه الأماكن كانت فى ظاهر المدينة المقدسة خارج الأسوار أيام المسيح ، كما سبقت الاشاره ، لأن الدفن بالمدينة كان محرما لدى اليهـــود .

وبعد ذلك نجد هيكلا نصف دائرى للقديس لونجينوس (وهو الجنـــدى الرومانى ، الذى طعن المسيح بحربته ، فنزل من جنبه دم وماء ، وهو على الصليب حسب ما جاء فى الانجيل ، ويقول التقليد أنه آمن بالمسيحية فيما بعد) . وقد ذكر بعض الحجاج منذ القرن الخامس أنهم شاهدوا ـ فى هذا المكان ـ الحربة والاسفنجة ، التى سقى بها الجند



هيكل الأقباط وبجواره تيافة الأنبا باسليوس المطران الحالى

الرومان المسيح خلا بمزوجا بمر مفروضتان للزوار . وبجواره هيكل آخر باسم هيكل إقتسام الجند لثياب المسيح ، واقتراعهم على قميصه ، وقيل أنه كان محفوظا به كفن السيد المسيح حتى القرن السابع ، ويليه هيكل السخرية (حيث سخر الجند من المسيح) ، وهو عن يمين مدخل كنيسة القديسة هيلانه ، وبه العمود الذى جلد عليه الجند المسيح ، بعد أن أجلسوه عليه ، ووضعوا على رأسه إكليلا من الشوك المضفور ؛ وطول القطعة الباقية منه الآن ٤٠ سم ، وقيل أن هذا الإكليل ظل حتى القرن السادس فى كنيسة صهيون ، وأرسل جزء منه إلى القسطنطينية، ثم وهبه الملك بودوان الثانى عام ١٢٣٨ إلى الملك لويس الفرنسى . وبعد ١٥ مترا نجد درجات سلم توصل إلى الجلجثة ، التى تقع على التل الذى صلب عليه المسيح بين إثنين من اللصوص ، وكان الامبراطور قسطنطين قد بنى حوله كنيستى المرتيريون والانسطاسيس ، وأوصلهما معاً بالقناطر المرتفعة القائمة على أعمدة رخامية ، وقد ظلت مكشوفة ومرصوفة بالفسيفساء ومحاطة بالدربزينات . وفى سنة ٤٣٦ أقامت القديسة هيلانيا الصغرى هيكلا خربه الفرس سنة ٦١٤ م وجدده مودستوس

ثم أدخله الصليبيون مع بقية الهياكل المجاورة للقبر المقدس فى إطار كنيسة القيامة ، وفى محل موضع صليب المسيح على التل نجد فراغا مغطى بالفضة عن يمينه وعن يساره حجران من الرخام الأسود يشيران إلى موضع صليبى اللصين ؛ وهناك قطعة من الصفيح المعدنى تحتها إنكسار فى الصخر أحدثته الزلزلة التى تمت حينما أسلم المسيح الروح ، وهو عبارة عن شق اتساعه ١٥ سم ؛ وتحت الجلجثة ينحدر سلم إلى ممر ضيق مظلم يسمى معبد آدم (حيث يظن البعض أنه يضم جمجمة آدم) ، وعن يمينه يقع قبر جودفرى ، أول ملك صليبى القدس (١١٠٠ م) ، وعن شماله قبر الملك بودوان الأول الصليبى (١١١٣م) ، وكان هناك الكثير من المقابر الصليبية فى هذا المكان ، أتلفها الفرس أثناء هجومهم الثانى سنة ١٢٤٤ ، وأزيل الباقى تماما سنة ١٨٠٨ ، مع كل الكتابات والشواهد اللاتينية الموجودة عليها .

ثم نجد بعد ذلك هيكلا آخر باسم ملكيصادق الكاهن ، وأول حاكم يبوسى لاورشليم وقيل أنه صلى مع ابراهيم الخليل فى هذا المكان عندما التقيا قديما كما تقول التوراة ؛ وانتوسط كنيسة نصف الدنيا أبنية القيامة (ويزعم العامة أن مركز العالم تحت قبتها تماما) ولها جدران تنتهى بأروقة طويلة من جهاتها الثلاث ، عليها صور ورسوم روسية قديمة ، وإذا خرجنا منها من ناحية هيكل الملاك فى الغرب نجد حاجزا (درابزينا) حديديا عاليا يليه هيكل اللاتين ، حيث يقيمون طقوسهم أمام القبر المقدس[١٣] .

٢ - دير السلطان :

هو الدير الوحيد بين الأديرة المسيحية ، الذى يحمل إسماً إسلامياً ، لأن كلمة السلطان لاتطلق إلا على ملوك المسلمين ، وقد جرى العرف على تسمية الأديرة المسيحية بأسماء القديسين[١٤] ، وهناك عدة آراء بخصوص هذه التسمية . فقد قال البعض أنه هبة من أحد السلاطين لأقباط مصر فنسبوه إليه إقراراً بفضله ، وقيل أن هذا السلطان هو صلاح الدين نفسه[١٥] ، ويذكر ويليامز السائح Williams أنه لما زار هذا الدير سنة ١٨٤٢ روى له قسيس بأن أحد سلاطين المماليك عرض على كاتبه القبطى نظير إخلاصه فى خدمته مدة طويلة مكافأة مادية ، فاعتذر عن قبولها ، والتمس أن يسمح له بتعمير الدير الخرب بالقدس[١٦] ، ومن هنا جاءت التسمية ، وهذه القصة - وإن كانت لاتؤيدها الأسانيد التاريخية أو الأثرية - ، لكنها تعنى تجديد الدير ، وأنه كان فى يد الأقباط قبل سقوط دولة المماليك . وفى رواية أخرى للكاتب دى سولسى De Sauley

أن الدير شيدته السلطانة روكسلانا Roxalana زوجة سليمان العثماني (١٧)، ولكن هذا الرأي ليس له ما يبرره ، حيث أنه من المعروف في تاريخ المدينة المقدسة أنها أقامت ما يعرف بتكية وعاصكي سلطان ، سنة ١٥٥٢ في عقبة المفتي فقط، ولم تنشؤها بدافع التقـوى ، ولكن لمجرد التظاهر بالتدين فقط (١٨).

وهذا الدير يقع بجوار كنيسة القيـامة ، داخـل نطاق موضع الصلب ، وهو مهم للأقباط ، لأنه طريقهم الوصول من دار البطريركية (دير مار أنطونيوس) ، إلى كنيسة القيامة ، ومساحته ١٨٠٠ متر مربع ، وتقع ساحته فوق كنيسة القديسة هيلانه ، وفي الزاوية الجنوبية الغربية من هذه الساحة تقع كنيستان تاريخيتان هما كنيسة الأربعة حيوانات ومساحتها ٤٢ م٢، ويحيط بها من ناحيتها الشمالية والغربيـة سياج حديدي يفصلها عن الممر الذي يسير محاذيا لها إلى السلم المؤدي إلى الكنيسة الثانية ، التي على اسم الملاك ميخائيـل وهي في الدور الأرضي ومساحتها ٣٥ م٢؛ وفي وسط ساحة الدير المذكور تبرز قبة كنيسة القديسة هيلانة ، وفي الجهة الغربية منها ، توجد الغرف التي يقيم فيها الرهبان الأحباش ؛ وفي إحداها كنيسة لهم .

وقد حافظ الأقبـاط على هذا الدير ، ولم ينتزع منهم إلا عندما إحتله الرهبان اللاتين إبان الاحتلال الصليبي للقدس ، ولكن صلاح الدين أرجعه اليهم بمجرد دخوله القـدس (١٩) ، وفي عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب أمر باعادة بناء سوره (٢٠) ، كما أمر الملك المنصور قلاوون (١٢٩٠) بألا يمنع الأحباش من دخول هياكل القيامة أو دير السلطان ، بناء على طلب ملك الحبشة ، لأن اللاتين الموجودين هنـاك كانوا يضايقونهم (٢١) ، وليس معنى هذا ملكية هذا الدير للأحباش - لأن رتشموند - الذي كان مديراً لمصلحة الآثار بفلسطين أيام الإنتداب البريطاني - قد ذكر أنه منذ سنة ١٤٠٠ كان للأقباط حقوقهم بمقدسات القيامة ، وعلى كل فإن موضوع إثبات ملكية هـذا الدير للأقباط قد كتب فيه الكثيرون مؤيدين أقوالهم بالوثائق القديمة ، وهنـاك مجموعة منها نشرها الأنبا تيموثاوس مطران القدس القبطي الأسبق بهذا الخصوص ، ونذكر منها على سبيل المثـال وثيقة ذكرها عبد الله حسين (٢٢) ، وهي بتوقيـع القاضي الشرعي بالقـدس في ١٣ شوال سنة ١٠٩٨ هـ (= ٢٢ أغسطس سنة ١٦٨٦ م) وهي تبدأ بالآتي : -

« بالمجلس الشرعي المحرر المرعي أجله تعالى لدى جناب سيدنا ومكنا ومولانا أقضى قضاة الاسلام ، أولى ولاة الأنام بدر سماء المعـالي الفخام الحاكم الشرعي ، الموقع خطه الشرعي وختمه الكريمين في أصله أعلاه ، دام فضله وزاد علاه ؛ لمـا كان سابق على

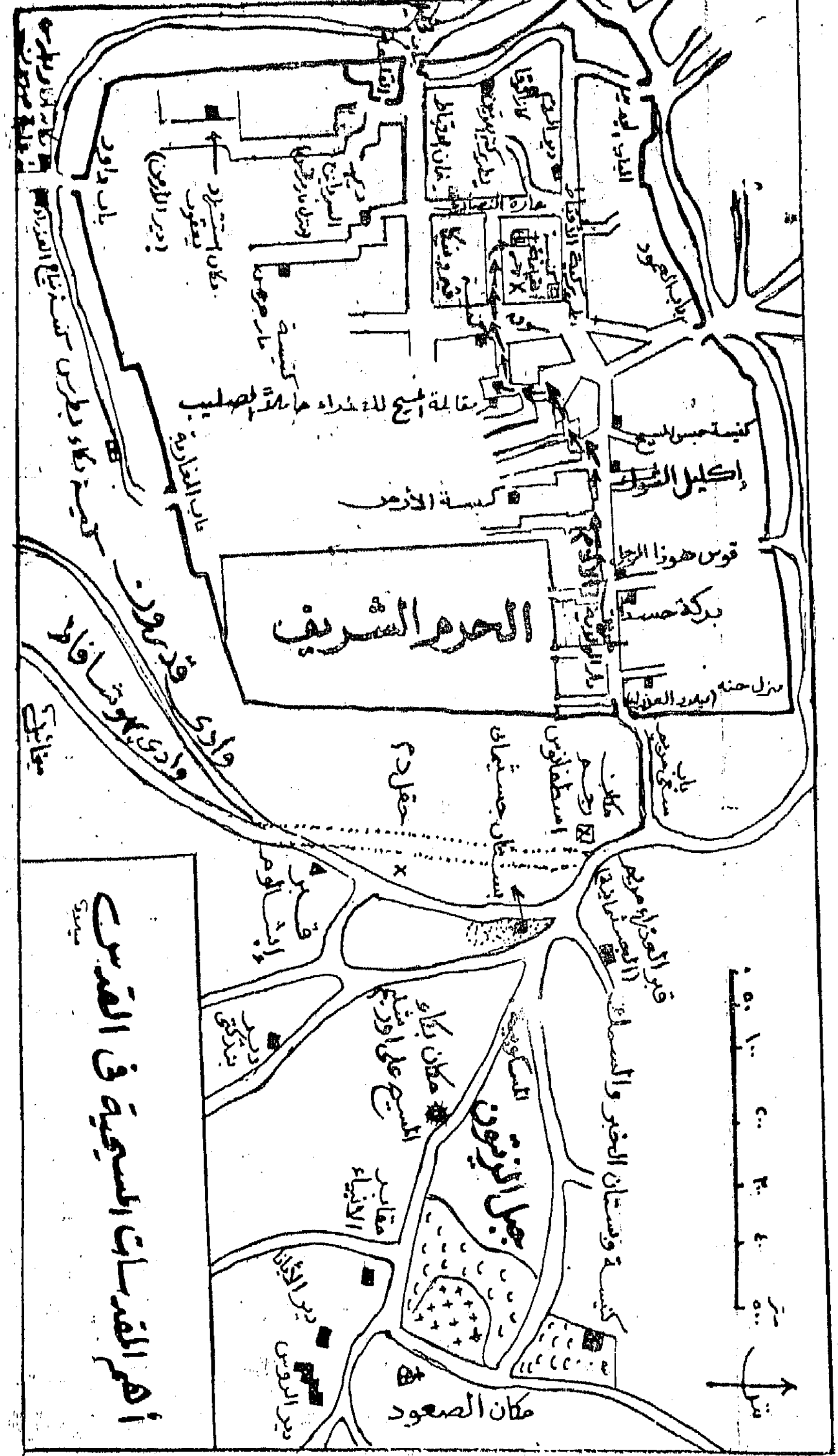
تاريخ أدناه كشف على دير طائفة نصارى القبط بمحمية القدس المنيف المعروف قديما بدير السلطان بمحلة النصارى . المحدود بمقتضى حجته السابقة الآتي بيانها فيه يطلب المعلم سالم البنا المتكلم على أوقاف نصارى القبط، ووجد الدير المذكور مشرفا على الخراب، وبعض أماكن فيه تحتاج إلى الترميم والتبطين والعقادة والتكحلة الضروريان ، وأذن مولانا الحاكم الشرعي المشار اليه ، للمعلم سالم المتكلم المسطور أعلاه بترميم وتبطين .. الخ، وقد ختمت هذه الحجة بخاتم فضيلة القاضي الشرعي الشيخ أحمد راقم .

وعلى كل فالخلاف بين الاحباش والاقباط على ملكية هذا الدير يحتاج إلى بحث طويل ، ونرى الرجوع فيه إلى الوثائق والكتابات السابقة لخروجه عن هدف هذا الكتاب(٢٣).

٣ - دير مار أنطونيوس :

يقع شمال كنيسة القديسة هيلانة بالقيامة، وقد أصلح وأضيفت اليه مبان جديدة سنة ١٨٧٥ م بتبرعات أغنياء القبط ، وعمر مرة أخرى سنه ١٩٠٧ م ؛ وبعد خمسة أعوام صار لائقا لجملة مقراً للمطرانية القبطية بعد تجديد كنيسته وأساساته القديمة ، وقد ذكر الكثير من الزوار والرحالة (٢٤) مستودع ميـــاه باسم القديسة هيلانة ، يوجد بداخل الكنيسة القبطيـة الصغيرة باسمها في الدور الارضي من الدير، وللمستودع (البئر) سلم دائري للهبوط عليه للحصول على المياه ، وهو مكون من إحدى وخمسين درجة ، وعلى بعد ستة أمتار من هذه الكنيسة تقع المرحلة التاسعة من مراحل حـــمل الصليب ، التي سقط عندها المسيح للمرة الثالثه (٢٥)، كما سيجيء بعد قليل في وصف طريق الآلام .

وتوجد بالدور الأول من الدير كنيسة باسم القديس أنطونيـوس ، وهي ملاصقة للحائط الشمالي لكنيسة القيامـة ، وأمامها فناء واسع ، يقع على سطح الدور الأرضي ، يحده من الجنوب والشرق مساكن للرهبان ، ومقر رئاسة الدير والكلية الأنطونيه ، وقد دشن هذه الكنيسة الأنبا تيموثاوس سنة ١٩٠٣ ، كما يتضح من الكتابة المدونة فوق بابها ، ولها هيكل واحد ، وقد قام المطران الحالي الأنبا باسيليوس باصلاحها وشيد لها منبراً جديداً . أما في الدور الثالث فنجد كنيسة أخرى أنشأها ـ في إحدى الحجرات ـ المطران الراحل الأنبا ياكوبوس تذكاراً لظهور العذراء في هذه الغرفة لبعض طالبات مدرسة القديسة دميانة في يوليو سنة ١٩٥٤ م (كما أشارت الصحف العالمية) ، أما الدور الرابع


أهم المقدسات المسيحية في القدس
الحرم الشريف
جبل الزيتون
مكان الصعود
وادي قدرون
إكليل الشوك
بركة حسدا
كنيسة الأرمن
قوس هوذا الرجل
كنيسة حبس المسيح
باب داود
باب المغاربة
دير الروس

فهو مقر المطران وبه غرف لنزول الضيوف والحجاج وبه مكتبة ضخمة (٧٦) ، وقد سبقت الاشارة إلى أن الكنيسة السريانية الأرثوذكسية هي التي كانت ترعى شئون الاقباط في القدس ومع ذلك فقد كان مطران الدقهلية ودمياط القبطي المصري يتوجه مع اكليروسه إلى القدس في أعياد الميلاد والقيامة والعنصرة ليترأس الصلوات في هذه الأعياد .

وقد أدت رعاية السريان للأقباط أن استولوا على عدة أماكن مقدسة قبطية ، مثل منزل القديس مرقس الرسول ، الذى كان مقراً لمطارنة القبط ، الذين كانوا يفدون على المدينة المقدسة ، قبل إتخاذ الدير الحالى مقراً لهم ، ولهـــذا أقام البابا كيرلس الثالث السكندرى ـ الأنبا باسليوس أول مطران قبطى للكرسى الأورشليمى سنة ١٢٣٦ م ، وظلت تتبعه الأرض المقدسة ومحافظات القنال والشرقية والدقهلية بالوجه البحرى ، حتى سنة ١٩٤٦ حين أصبح الاسم الكنسى الرسمى « الكرسى الاورشليمى والشرق الادنى » ، والمطران الحـالى (الأنبا باسليوس الرابع ١٩٥٩ م) هو المطران القبطى العشرون على هذه الابروشية ، وقد بلغ تعداد الاقباط بفلسطين فى أوائل القرن الحـــالى ١٠٫٠٠٠ ووصل عددهم بالقدس أخيرا إلى نحو ألف ، والباقون منتشرون فى قطاع غزه وبيت لحم ويافا وعكا وحيفا والناصرة واللد والرمـــلة وأريحا من الاماكن المحتلة حاليا بيد المستعمرين اليهود الذين يضطهدونهم بشدة .

٤ ـ دير مارجرجس :

دير قبطى يقع فى حارة الموارنة ، على مقربة من باب الخليل ، ويرجع للقرن السابع عشر ، وقال الأثرى روبنسون (٧٧) بأنه يقع فى الجانب الشمالى لموقع بركة حزقيا (٢ ملوك ٢٠ : ٢٠) ؛ وللدير كنيسة بها هيكل واحد ، يصلى فيه قداس كل يوم خميس ، ويقيم به الأرمن قداساً عندما يحتفلون بعيد الشهيد مارجرجس فى يوم ٧ أكتوبر من كل عام ، وذلك مقابل إقامة الأقباط قداسا ليلة عيد الميلاد وصباحه على مذبح الأرمن بكنيسة المهد الارميقية ببيت لحم .

وبالدير مدرسة باسم القديسة دميانة للبنات ، وهى ابتدائية وثانوية ، وتلقى إقبالا كبيراً من أهل القدس من المسلمين والمسيحيين على السواء .

٥ ـ القلعـة (برج داود) :

تقع عند باب يافا فى الغرب ، ويذكر أحد كتبة العرب من رهبان دير مار سابا ، وكان

أسيراً عند الفرس ، أنه رأى فيها هيكلا للمسيحيين ومحراباً للمسلمين باسم النبي داود (٢٨) والحصن الحالي مع الفناء الذى أمامه إلى الشرق هو مكان القصر الثانى ، الذى شيده الملك هيرودس الكبير لسكناه ، وهناك أتاه المجوس يسألونه عن المسيح قائلين « أين هو المولود ملك اليهود ؟ » (متى ٢ : ٢) ، وعندما دمر تيطس القدس سنة ٧٠ م لم يهدم هذا الحصن ، ولكن الامبراطور سافيروس خربه ، فأعاد هدريان تشييده على شكل قلعه ، ثم تخرب عدة مرات ، خاصة فى عهد الخليفه المعتصم سنة ١٢١٩ م .

وأما البناء الحالى فقد تم فى عهدى سليم الأول وسليمان الثانى فى القرن السادس عشر ، ما عدا الزاوية الجنوبية الشرقية فهى من بقايا ماشيده هدريان ، وقد استخدم فى أوائل القرن العشرين كمعرض للصناعات الفسلطينية القديمة .

٦ - دير القديس يعقوب الكبير :

دير أرمنى يقع بجوار القلعة فى حارة الارمن ، التى تقع عن يمينها بساتين البطريركية الارمينية ، وعن شمالها مقرى مدير الدير والبطريرك وكنيسة الرسول يعقوب الكبير ، التى شيدت فى مكان استشهاده ، كما يقول التقليد الكنسى ، حيث قطعت رأسه سنة ٤٤ م بأمر الملك هيرودس أغريباس الاول حفيد هيرودس الكبير ، بايعاز من اليهود ، وترجع الكنيسة للقرن ١٢ م ، وترممت فى القرن ١٣ م ، وكان لها قبة قائمة على أربع دعائم من جهة وعلى الجدران من جهة أخرى ، وقد أزيلت الأعمدة سنة ١٢١٩ ، ولم يبق منها إلا تيجانها المربعة ، المغطاة بألواح القيشانى الازرق الاسبانى ، وعند الحائط الشمالى هيكل صغير ، حيث قطعت رأس الشهيد ، وبه كرسى قديم يدعونه عرش يعقوب الرسول ، وقد خصصت هذه الكنيسه لاسبانيا ، وكان لم يزل شعارها عليها حتى القرن الثامن عشر (٢٩) ، (على أساس أن هذا الرسول هو مبشر أسبانيا وشفيعها) ، وأمامها مطبعة ومنزل للغرباء ومدارس البنين والبنات ، وفناء به مسكن طلبة اللاهوت ، ومتحف صغير ، ثم دير الزيتونة للراهبات الارمينيات ، وكنيسه باسم الملائكة القديسين (وترجع للقرن ١٢ م) ، وهى مبنية محل منزل حنان حمو قيافا رئيس الكهنة ، حيث إقتاد الجند لرومان السيد المسيح ، بعد ما قبضوا عليه فى بستان جسثمانى (وكان يوسيفوس قد ذكر أن حنان هذا كان رئيسا للكهنة أيضاً ، وبقى فى منصبه ٩ سنوات حتى عزله الوالى غراتوس ، وبقى صهره فى وظيفته ١٩ عاما . ومع أنه كان معزولا أيام القبض على المسيح إلا أنه ظل مسيطراً على مجمع اليهود ، ولهذا السبب إقتيد يسوع إليه أولا) .

وقد ذكرت المخطوطات القديمة ، الموجودة بالدير أنه سمى بالملائكة ، لأنها سترت وجوهها عندما صفع الخدم وجه المسيح فى هذا المكان . . وبعد ذلك نصل إلى دهليز يقود إلى باب النبى داود الواقع فى السور الجنوبى حاليا ، الذى شيده السلطان سليمان الثانى سنة ١٥٤١ م ، وأخذ حجارته من السور القديم ، وعلى بابه كتابة لاتينية من فرقة رومانية فى ذكرى انتصارها فى عهد تراجان سنة ١١٦ م .

٧- كنيسة القديس توما :

تقع فى زقاق بالقرب من كنيسة الرسول يعقوب الكبير ، وقد جعلت جامعاً بعد خروج الصليبيين ، ثم تهدم الجامع ، وبنى محله كنيسة بمعرفة الألمان فى القرن الماضى ، وظلت فى أيديهم بعد ذلك .

٨- دير السريان :

وهو منزل مرقس الرسول ، ويقع على بعد ٢٠٠ متراً فى شمال شرق كنيسة القديس توما ، وفيه يقيم أسقف السريان ، وقد استولى السريان عليه من الاقباط أثناء رياستهم الدينية عليهم . وقد ذهب إلى هذا المكان القديس بطرس الرسول ، بعد أن أنقذه الملاك من السجن (أعمال الرسل ١٢ : ١٢) . وكنيسة الدير الحالية ترجع للقرن ١٢ م ، وأقيمت على آثار قديمة قبلها ، ربما ترجع للقرن السادس ، وعلى هيكلها صورة قديمة جداً للعذراء مريم ، قيل أنها من رسم القديس لوقا الانجيلى ، وهناك حوض معمودية رخامى قيل أن العذراء مريم تعمدت فيه (٣٠) .

٩- كنيسة الثلاث مريمات :

هى كنيسة صغيرة تقع حيث ظهر المسيح للمريمات ، وأمرهن أن يذهبن ويخبرن تلاميذه - المجتمعين فى علية صهيون - بأنه قام من بين الأموات وسيذهب اليهم ليلتقى بهم فى الجليل (متى ٢٨ : ٨) . وقد قال البعض ان هذه الكنيسة فى موضع كنيسة القديس يعقوب الرسول ، ولكن المرجح غير ذلك لأن كثيرين قالوا أن كنيسة هذا الرسول كانت فى شرق هيكل سليمان (أى فى محل استشهاده ، حيث رماه اليهود من فوق الهيكل ثم ضربه أحدهم بمدق فسقط شهيداً) . وقد كانت هناك كنيسة أخرى فى شمال كنيسة الثلاث مريمات ، أمام مدخل حصن داود ، جعلت بيتا للسكنى فى أوائل القرن الحالى .

١٠- كنيسة القديسة حنة وبركتي بيت حسدا :

بالقرب من بوابة ستي مريم يقع دير الآباء البيض ، يسكنه كهنة من الأغريق الكاثوليك ، وبه متحف الكتاب المقدس ، وأصله دير قديم أشار اليه ثيؤدوسيوس الشماس في زيارته للقدس سنة ٥٣٠ م ، وفي عهد الصليبيين صار ديرا للراهبات ، وبعد دخول صلاح الدين للمدينة المقدسة سنة ١١٨٧ م تحول إلى مدرسة عالية للقرآن عرفت بالصالحية ؛ ثم تخرب في القرن الخامس عشر وكان في فنائه كنيسة باسم القديسة حنة والدة القديسة مريم العذراء ، حيث تذكر التقاليد القديمة أنه منزل حنه وزوجها يواقيم .

وفي سنة ١٨٥٦ منح السلطان عبد المجيد خرائب الكنيسة وتوابعها هدية للامبراطور نابليون الثالث ملك فرنسا ، (لنوال بعض المكاسب السياسية كما سبق القول) ، فرممها وفتحها للعبادة وأعاد بناء الدير القديم ثم سلمه للآباء البيض ، وبالقرب من هذا المكان في الشمال الغربي أكتشفت صدفة سنة ١٨٦٠ آثار بركة حسدا ، وكانت خريطة الرحالة مادبا Madeba (القرن الخامس) قد حددت موقع البركة في هذه البقعة ، وقد سماها القديس يوحنا الرسول في انجيله (٥ : ٢) باسم بركة بيت حسدا ، ومعناها بيت النعمة ؛ وكانت لها خمسة أروقة ؛ وفوق الجزء الشمالي منها تقع كنيسة بيزنطية تسمى كنيسة العذراء بروباتيكا St. Maria Probatika (وتعني باليونانية الضأن) ؛ وترجع لسنة ٣٨١ م وقد سميت البركة بهذا الاسم أيضا (يوحنا ٥) لقربها من باب الضأن في السور الشرقي للقدس (٣١) .

وطبقا لما رواه المؤرخ يوسابيوس القيصري (القرن الرابع) يتضح أن هناك بركتين بجوار بعضهما ؛ إحداهما استخدمت لغسل الأغنام (٣٢) التي كانت تقدم كذبائح في هيكل سليمان ؛ ولذا سميت ببركة الضأن ؛ وقد ذكر المؤرخ جيير Geyer أن سائحا من بوردو - زار أورشليم سنة ٣٣٣ م - حكى له أنه رأى بركتين كبيرتين بجوار الهيكل وقصر هيرودس (٣٣) ؛ وقد جفت هاتان البركتان وطمرهما التراب على مر الزمن .

١١ - طريق الآلام : (Via Dolorosa)

هو الطريق الذي سار فيه المسيح حاملا الصليب من قصر بيلاطس حتى الجلجثة ، أي عبر القدس من الشرق إلى الغرب ؛ وينقسم إلى ١٤ مرحلة وصفها كما يلي :—

أ ـ المرحـــلة الأولى : وتبدأ من قصر بيلاطس البنطى ـ حاكم القدس أيام القبض على المسيح (٣٣ م) ـ بمكيدة اليهود والحكم عليه بالموت صلبا . وليس هناك خلاف بين المؤرخين والأثريين فى أن القصر المذكور كان إلى الشمال الغربى من هيكل سليمان فيما كان يدعى بحصن أنطونيـــا ؛ وكان له فناءان ، كانت محاكمة المسيح فى أعلاهما وهو الداخلى ؛ حيث إمتنع اليهود عن الدخول لئلا يتدنسوا حسب اعتقادهم قبل عيد الفصح ؛ ولذا كان بيلاطس يكلم اليهود من الفناء السفلى الخارجى .

ب ـ المرحـــلة الثانية : ويحددها معبد التكليل ويرجع للقرن ١٢ م ؛ وأقيم تخليداً لذكرى وضع إكليل الشوك على رأس المسيح إمعانا فى تعذيبه ؛ وهو بناء قائم الزوايا مربع طول ضلعه ٨ أمتار ؛ تعلوه قبة ترتكز على ركائز بارزة من الجدران ؛ يجمعها إفريز مثمن الأضلاع يدور حولها .

حـ ـ المرحـــلة الثالثة : عند كنيسة أجيا صوفيا ، التى تخربت سنة ٦١٤ م أثناء هجـــوم الفرس ، فأعاد المسيحيون بناءها فى القرن ١٢ م. أما الحجر الذى كان المسيح واقفا



البلاط (جباثا) وهو حاليا دير راهبات صهيون

عليه أثناء سماع الحكم بالموت ؛ فقد نقل لكنيسة العلية فى جبل صهيون جنوب القدس (خارج الأسوار) وكان موجوداً فى الفنـــاء السفلى لقصر هيرودس (Letectratos)

د ـ المرحلة الرابعة : وتميزها كنيسة الجلد (أوحبس المسيح) وكنيسة الحكم بالموت ؛ ويقعان داخل دير للفرنسيسكان ؛ والكنيسة الأخــــيرة قديمة جداً وطول ضلعها ١٠ أمتار ؛ ولها قبة على أربعة أعمدة وتقع فى المكان الذى بدأ فيه المسيح حمل الصليب إلى تل الصليب (المسمى بالجلجثة). أما الكنيسة الاولى فهى على بعد خطوات من الأخرى وقد أخذها العرب لكن هارون الرشيد أرجعها للمسيحيين (مع كنيسة أجيا صوفيا القريبة منها)؛ وقد تخربتا فى القرن الثانى عشر ، فأعيد تشييدهما ؛ ثم استولى عليهما الرهبان الفرنسيسكان سنة ١٦١٨ ؛ وخرجتا من قبضتهم ثم عادتا اليهم مرة أخرى سنة ١٨٣٨ حيث أعادوا ترميمها ، وظلتا معهم حتى الآن .

هـ ـ المرحلة الخامسة : وتقع عند مايسمى بقوس « هوذا الرجل » وهو قوس قديم



قوس « هوذا الرجل » فى طريق الآلام

قديم أقيم فى الحائط وتحت طرفيه حجران وقف المسيح على أحدهما ، ووقف بيلاطس البنطى الوالى على الثـانى وقال مشيرا إلى المسيح باللاتينيـة ecce Homo أى « هوذا الرجـل » وقد تسمى القوس بهذه التسمية منذ القرن ١٦ م . وتقع تحته كنيسة بنفس الاسم ؛ خارجها دير الراهبات به جزء من البركة التى أقام هيرودس فوقها قناطر حجرية تقسمها . ثم شيد فوقها حصن أنطونيا (نسبة إلى العاهل الرومانى المعاصر له وهو مرقس أنطونيوس) . ويعتبر قوس هوذا الرجل أحد أبوابها .

و ـ المرحلة السادسة : ينحدر الطريق بعد ذلك إلى محل سقوط المسيح من التعب . وهنا اقتربت العذراء مريم منه ؛ وسخر الجند الرومان سمعـان القيروانى (الليبى) لحمل الصليب عن المسيح . وتتميز هذه المرحلة بعمود قديم مكسور بجوار معبد الفرنسيكان . وكنيسة حديثة للأرمن الكاثوليك . وقد اكتشف أثناء حفـر الأساسات طريق مرصوف بالفسيفساء وعلامة قدمين يظن أنهما قدمى المسيح .

ز ـ المرحلة السابعة : ينحرف الطريق بعد ذلك نحو الجنـوب وعند زاويته الجنوبية شيد الفرنسيسكان حديثاً كنيسة باسم سمعان القيروانى وهى تدل على هذه المرحلة .

ح ـ المرحلة الثامنة : بعد صعود ٨٠ خطوة توجد قطعة من عمود فى حائط تدل على موقع هذه المرحلة . حيث دنت من المسيح إمرأة تسمى فيرونيكا (أى المحبة) خرجت من دارها ومسحت وجه الكريم بمنديل فأنطبعت صورة وجهه عليه كهدية منه جزاء لعملها العظيم . ويقال أن هذا المنديل مازال موجودا فى روما حتى الآن . وقد وجدت فى هذه البقعة بعض القناطر المنغمسة فى التربة ، جعل الروم الكاثوليك تحتها هيكلا كما بنوا فوقها هيكلا آخر باسم هذه القديسة . وقد شوهد عند حفـر الأساسات وجود آثار بيت يهودى قديم . أجمع الأثريون على أنه يرجع للعصر الرومانى وهو الذى عاشت فيه القديسة فيرونيكا عندما مر أمامه المسيح .

ط ـ المرحلة التاسعة . بعد ٣٠ متراً نصل إلى مكان السور الغربى (الذى كان فى عهد هيرودس) . وكان به فى عهد المسيح أحد أبواب المدينـة من الغرب . وسماه المسيحيون باب القضاء لأن بيلاطس علق على أحد أعمدته حكم الموت على المسيح على حسب العـادة السائدة فى ذلك العصر . وهنا سقط المسيح ثانية . وفى الزاوية الغربية من الطريق هيكل صغير نصعد منه إلى كنيسة أكبر . وفى الطريق قناة عميقة

محفورة فى الصخر يقوم عليها عمود وتعلى قاعدته فى حائط رومانى طوله ٧ أمتار . ويقرر علماء الآثار أنه كان موجودا عندما مر موكب المسيح الى الجلجثة .

ل - المرحلة العاشرة : بعد اجتياز الطريق عبر باب العمود (أو القضاء) نجد منزلا للبروتستانت الالمان . ثم مكانا خاليا كان أيام المسيح خارج السور الغربى . وهنا نظر المسيح زمرة من النساء اليهوديات يبكين عليه . فالتفت نحوهن وقال لهن « يابنات أورشليم لاتبكين على . بل على أنفسكن وعلى أولادكن » . وعند حائط إلى الشمال نجد رسماً بارزا لصليب يشير إلى هذه المرحلة .

م - المرحلة الحادية عشر : بعد نزول ٢٨ درجة على سلم عريض ماثل ، وراء منزل مرتفع للرهبان الروس نسير ٩٠ متراً فنصل إلى باب المطرانية القبطية (دير مار أنطونيوس) حيث نجد عموداً فى الجدار يدل على هذه المرحلة ، التى سقط عندها المسيح للمرة الثالثة وهو حامل الصليب . وقيل أن المسيح فعل ذلك إما لكى يستريح . أو لأن الجنود أجبروه على حمله . حيث جرت عادة الرومان على أن يحمل المحكوم عليه آلة عذابه إلى موضع تنفيذ الحكم . وإلى شمال المطرانية القبطية يتم الانحدار على بعض درجات إلى سطح تنفذ فى وسطه كنيسة القديسة هيلانه (مغارة وجود الصليب) . وهو أسفل كنيسة قسطنطين (المرتيريون) .

ن - المراحل الثلاثة الأخيرة : لإتمام طريق الآلام يقتضى الرجوع إلى درب العمود . . الى كنيسة القيامة حيث المراحل الثلاثة الباقية . التى وصفت عند الحديث عن هذه الكنيسة .

ثانيا : المقدسات المسيحية خارج الأسوار

فيما يلى أهم الاماكن المقدسة الموجودة فى جنوب القدس :-

أ - ممر جنازة البتول وكنيسة نياحها :

على بعد عشرين متراً فقط من باب النبي داود (فى السور الجنوبى) . نجد عموداً على حائط . تذكاراً للأعجوبة التى حدثت عندما كان تلاميذ المسيح حاملين جسد السيدة

العذراء مريم إلى قبرها فى الجسثمانية فى شرق القدس ، هجم عليهم بعض اليهود المتعصبين . وتجاسر أحدهم على أن يدفع التـــابوت المقدس من يد حامليه فيبست يده فى الحال . كما عميت عينـــاه وكل من كانوا يشاركونه هذا الفعل الردىء : ولكنهم ندموا على عملهم . فصلى التلاميذ من أجلهم فشفاهم الله وآمنوا بالمسيحية . وقد روى مؤرخ أرمنى فى القرن الخامس أنه كانت هناك ـ فى هذا المكان ـ قبة على أربعة أعمدة من الرخام فوقها صليب نحاسى ، تهدم أثناء هجوم الفرس سنة ٦١٤ م . وبعد عشرة أمتار نجد كنيسة نيـــاح البتول ، وهى كنيسة حديثة البناء يسكنها الرهبان البندكت الألمــان . وتقع بالقرب من علية صهيو ن . وهو المكان الذى عاشت فيه العذراء فى بيت يوحنا الرسول ، (بنـاء على طلب المسيح) حتى نياحها . وكان الامبراطور الألمانى غليوم الثانى قد اشترى هذا المكان ، ووهبه للرهبان الألمـــان الكاثوليك (البندكت) : الذين أسسوا به ديراً وكنيسة مستديرة سنة ١٩٠٦ م :

٢ ـ كنيسة حبس المسيح فى دار قيافا ومكان إنكار بطرس :

بعد الخروج من باب الخليل (النبى داود) نجد طريقاً مرتفعاً يؤدى إلى دير الأرمن وكنيسة باسم حبس المسيح ، وكان منزلا لقيـــافا رئيس الكهنة . حيث أقتيد المسيح لسؤاله أولا قبل تقديمه للمجمع اليهـــودى للمحاكمة . وكان خارجه مكان انكار بطرس معرفته بالمسيح عندما سألتـه جارية . حينما جاء خلف المسيح ليشاهد ما يجرى له . وقد أشار الكثير من قدماء الكتاب إلى مغارة بكى فيها عندما صاح الديك بعد منتصف الليل (وكان المسيح قد ذكره من قبـــل بأنه سينكره ثلاث مرات قبل صياحه) : وتوجد قرب سور القدس الجنوبى من جهة باب هيكل سليمان الجنوبى وعلى بعد ١٠٠ متر من دار قيافا ، وكان يصلى فيها المسيحيون قديماً وبها آثار للفسيفساء وحولها بعض مبـــان متهدمة ، يظن أنها من بقايا كنيسة قديمة باسم بطرس ، وقد بقيت أطلالها حتى عهـــد الصليبيين . ويحيط بها أيضا قبور لبطاركة الأرمن .

وكان المسيح قد أقتيد من منزل حنـــان ليلا لمنزل صهره قيافا رئيس الكهنة . وانتظره بطرس فى الفنـــاء السفلى (الخارجى) ثم أسلم المسيح لإهانة الخدم والجند انتظاراً الفجر حيث تم نقله إلى مجمع السنهدريم لمحاكمته (يوحنا ١٨ : ٧) ، (لوقا ٢٢ : ٥٤) . وقد نوه المؤرخون إلى هـــذا المكان من القرن الرابع حتى الثالث عشر وقال بعضهم أنه يشاهد من علية صهيـــون . وقال غيرهم أنه قرب مكان نياحة العذراء (أى فى بيت يوحنا الرسول) . وقال آخرون أنه شمال جبل صهيون ، ومن آثاره عمود ربط عليه

المسيح حتى الفجر . وقيل أنه جلد عليه أيضا . وقد نقل إلى باب كنيسة صهيون . وبعد غزو الفرس وتهدم هذه الكنيسة سنة ٦١٤ م انكسر العمود إلى نصفين . بقى نصفه فى كنيسة صهيون ، ونقل النصف الآخر إلى الكنيسة التى بنيت فى دار قيافا . التى شيد الارمن على جزء من أطلالها هيكلا صغيراً (٣٤) وبعد اجتياز فناء للشمال نجد هيكلا قديما باسم حبس المسيح . وهو يشبه هيكل إكليل الشوك الذى أمام كنيسة حبس المسيح فى قصر بيلاطس ولكن بدون قبة ، وعلى الهيكل قطعة من الحجر الكبير الذى دحرج على فم القبر المقدس .

٣ - علية صهيون :-

فى جنوب شرق دار قيافا نجد العلية التى يرجح أنها كانت فوق سطح منزل القديس مرقس الرسول وفيها أعد للمسيح الفصح ثم العشاء الربانى مع تلاميذه بعد أن غسل أرجلهم جميعاً (ليعلمهم التواضع) وفيها حل عليهم الروح القدس بعد صعوده حيا إلى السماء . وصارت هذه العلية ملتقى المؤمنين الأوائل بعد صلب المسيح ، وفيها أيضا ظهر المسيح للرسل مساء أحد القيامة ، وعاد للظهور فى الأحد التالى لتثبيت إيمان تلميذه توما ، بعد أن تحسس موضع مسامير الصلب فى يديه ورجليه ، ومكان الحربة التى طعنه بها الجندى الرومانى لونجينوس فى جنبه وهو على الصليب ، وهناك قضت العذراء أيامها السعيد . ويخبرنا القديس أبيفانيوس بأن هذا المكان كان فى يد المسيحيين حتى سنة ١٣٥ م؛ وكانوا يصلون فى كنيسة بالطابق الاعلى . وقد شيدت الملكة هيلانة كنيسة باسم الملك داود ؛ حيث تذكر التوراة أن قبره هناك فى هذا المكان . ويذكر القديس كيرلس الاورشليمى سنة ٢٥٠ م أنه كانت فى عهده هذه الكنيسة العليا التى دعاها باسم الرسل .

وفى القرن الرابع أقيمت كنيسة جديدة وصفها أحد مؤرخى الارمن بأن طولها ١٠٠ ذراع وعرضها ٧٠ ذراعا ، وتقوم على ٨٠ عموداً مرتبطة معا بقناطر ، وسقفها الخشبى رسم عليه إكليل ينحدر على رأس المسيح ، وقد أشاد المؤرخون سنة ٣٩٢ م ، سنة ٤٣٨ م بعظمة هذه الكنيسة وفخامة رسومها ، وقد خربها الفرس سنة ٦١٤ م ثم ترممت بعد ذلك ، حيث رآها أحد السياح سنة ٦٧٠ ، ثم تهدمت سنة ١١٠٢ فأعادها الصليبيون إلى حالتها الاولى ، طبقا لوصف أحد مؤرخيهم سنة ١١٦٠ ، وظلت فى يد رهبان القديس أوغسطينوس حتى القرن ١٢ م ، ثم أخذها رهبان السريان .

وقد نجت العلية من الخراب الذى حدث لأكثر مقادس المدينة المقدسة من زلزال سنة ١٢١٩م؛

كما يشهد مؤرخو ذلك العصر، وبعدما عقد الصليبيون معاهدة مع الملك الكامل سنة ١٢٢٨ أسرع الفرنسيسكان باغتنام الفرصة ، واستولوا عليها مع القادس الأخرى بأمر البابا غريغوريوس التاسع ، ويتضح ذلك من منشوره الذى أرسله إلى بطريرك إنطاكيه وأورشليم سنة ١٢٣٠ (٣٥)، واستطاع الفرنسيسكان الحصول على أمر من السلطان ركن الدين بيبرس الثانى سنة ١٣٠٩ بتثبيت أرجلهم فيها، ولكى تكون لهم حرية التصرف فيها زار روبرت دانجو ملك صقلية وقرينته السلطان محمد الناصر المصرى ، الذى خصصت له الأراضى المقدسة فى عهدهما ، ودفعا له ٢٢٫٠٠٠ دوكاً ثمناً للأرض المحيطة بالعلية بما فيها من آثار ووهباها لكرسى روما ، بشرط أن تترك فى يد رهبان الأخوه الأصاغر إلى الأبد ، ووافق البابا اكليمنضس السادس على هذا الشرط ، وأيده بمنشوره المسمى Nuper Carissimi المؤرخ فى ٢١ / ٢ / ١٣٤٢ ، جدد هؤلاء الرهبان بناء العلية ، على ما هو عليه الآن تقريباً (٣٦) .

٤ - بركة السلطان وجبل المؤامرة وحقل الفخارى وبئر المجوس :-

فى غرب جبل صهيون وجنوب باب الخليل نجد بركة السلطان ، وهى عبارة عن حوض طبيعى يتجمع فيه ماء المطر، طوله ١٨٠ متراً وعرضه ٨٠ متراً وعمقه ١٠ أمتاره وقد أقيم بسد الوادى من طرفيه بحائطين أحدهما لحجز الأتربة والآخر لتجميع ميساه السيول ، وبجواره يقع جبل المؤامرة ، وهو تل مواز لوادى يهوشافاط ، ودعى بهذا الاسم منذ القرن ١٢ م ، لقربه من دار قيافا ، الذى اجتمع فيه رؤساء اليهود للتآمر على المسيح (يوحنا ١١ : ٢٧) والقبض عليه وقتله ، ويوجد به دير على اسم لوقا البشير ، ويسميه العرب جبل القبور لوجود مغارات صغيرة عديدة ، وهى قبور عبرانيه قديمه من القرن الأول الميلادى ، وهناك كتابات يونانية تدل على قيام الرهبان بدفن موتاهم .

كما يوجد معبد بيزنطى قديم ، استولى عليه الأغريق سنة ١٨٧٤ ، وجعلوه كنيسة باسم القديس أنوفريوس (أبا نوفر القبطى) ، وفى غربها يوجد حقل الفخارى ، الذى اشتراه رؤساء الكهنة اليهود بثلاثين من الفضه ، بعد أن رد يهوذا الاسخريوطى (تلميذ المسيح) هذا المبلغ حين ندم على تسليم المسيح لهم ، وقد جعلوه مقبرة للغرباء ، وسمى أيضا حقل دم كما قال القديس متى (٢٧ : ٣) ، وقد أعطى لرهبان مستشفى مار يوحنا سنة ١١٤٣ فجعلوه مقبرة ثم تهدم بعد ذلك ، وإلى جنوبه نجد بئراً يسمى باليونانيه

قاديسمو (وتعنى راحة) ، حيث يذكر التقليد القديم أن العذراء مريم استراحت عنده ، وهى فى طريقها لبيت لحم ، وبجوار البئر كنيسة باسم العذراء ، وقد سمى بعض الكتاب هذا البئر باسم المجوس حيث ظهر لهم النجم من جديد بعد غيابه عنهم ، وهم فى طريق زيارتهم للطفل يسوع فى بيت لحم (متى ٢ : ٨) . وبجواره حقل ملىء بالحصى ، قال قدماء المؤرخين (٣٧) أن صاحبه قد كذب على العذراء عندما سألته أن يعطيها طعاما لتسد جوعهـا ، فتحول الحمص الموجود لديه إلى حصى .

وفيما يلى المقدسات الموجودة فى شرق القدس :ـ

١ ـ مقدسات وادى قدرون (يهوشافاط)

ويقع على بعد كيلومترين من القـدس ويبدأ من شمالها الغربى على مقربة من قبور الملوك ، ثم ينحدر على جانب جبل سكوبس ، حيث يلف بزاوية قائمة نحو الجنوب ، ويفصل بين المدينة المقدسة وجبل الزيتون ، وقيل أن سيدنا ابراهيم التقى بملكيصادق هناك ، ويظن البعض أنه مكان القيامة استنادا لقول يوئيل النبى (٣ : ٢) وأجمع جميع الأمم وأنزلهم بوادى يهوشافاط وأحاكمهم هناك . وربما توطد هذا الإعتقاد بمجىء المسيح الثانى لهذا المكان (أعمال الرسل ١ : ١١) ، طبقـا لكلام الملاكين للرسل بعد صعود المسيح للسماء ، ومن مقدساته :ـ

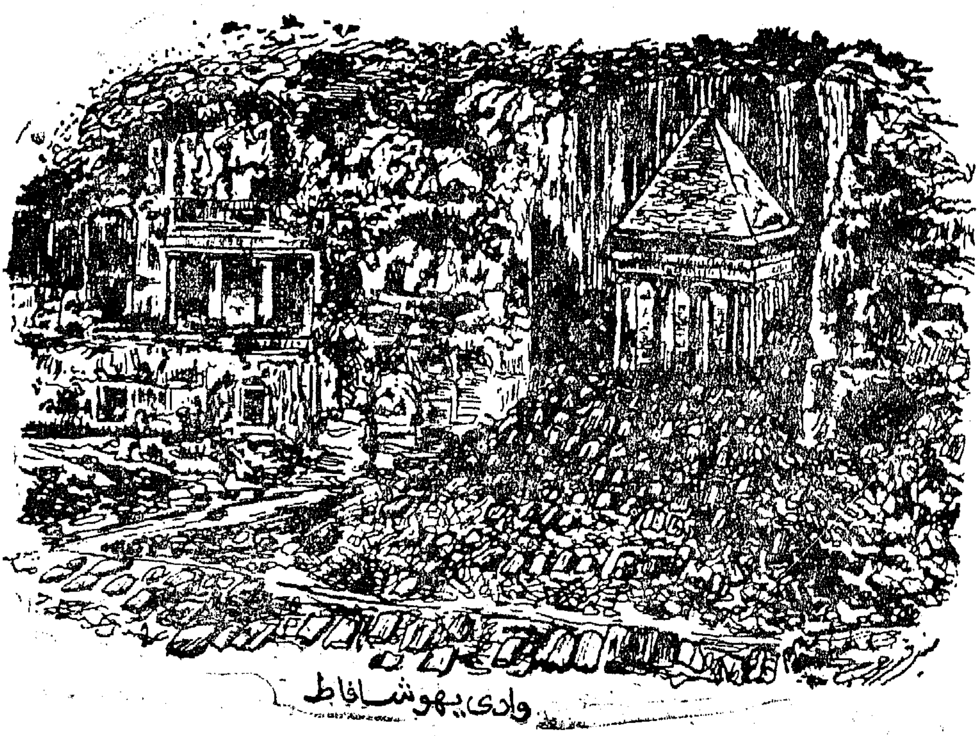
أ) مكان استشهاد القديس اسطفانوس :ـ

رجم اليهود الشهيد اسطفانوس (أول شهداء المسيحية)فى قاع هذا الوادى . وإن كان بين العلماء المحدثين من يعتقد ـ استناداً لبعض الروايات التاريخية حدوث الرجم فى مكان آخر ، وعلى أية حال فإن جسد هذا القديس قد نقل سنة ٥٦٠م من جبل صهيون إلى الكنيسة ، التى تحمل اسمه بقرب باب دمشق ، فى شمال غربى القدس .

ب) قبور إبشالوم ويهوشافاط وزكريا :

فى وادى قدرون يقع أيضاً قبر قديم جدا يسمى قبر ابشالوم ، وهو ابن داود النبى ، وكان قد ثار على أبيـه فى ثورة سياسية قتل فيها ، ويسمى مقامه بطنطور فرعون ، وهو مكعب الشكل ، طول ضلعه ٦٨٠ سم ، وينفصل عن الصخر المقطوع منه ، وعلى اركانه أربعة أعمدة ، وعليه بناء هرمى . وعندما كان يمر اليهـود عليه

قديماً يرمونه بحجارة دلالة على اشمئزازهم من الولد العقوق الذى ثار على أبيه ، وقد تجدد فى عهد هيرودس . وعلى بعد ٣ أمتار نجد قبر يهـوذى ، سد اليهود بابه فى فى أواخر القرن الماضى ، ويدعى قبر يهوشافاط ، رغم أن العهد القديم قد ذكر أن هذا الملك قد دفن مع آبائه فى مدينة داود (جبل صهيون) ، وربما أخذ هذا البناء اسمه من الوادى نفسه . وبجواره من الجنوب قبر القديس يعقوب ، ويسميه السكان العرب بديوان فرعون ، وعلى إفريزه كتابة آرامية تدل على أنه قبر لأحد معاصرى هيرودس الكبير المسمى عازر ، ويشير التقليد إلى أن الرسول يعقوب الرسول قد اختفى بعد صلب المسيح ، وظل فيه حتى ظهر له المسيح هنـاك بعد قيامته [٣٨]، وبجواره قبر آخر يدعوه اليهود بقبر زكريا ، ويسميه المسلمون قبر زوجة فرعون (أنظر الشكل) ، وهو مربع طول ضلعه ٥٣٠ سم ، وعليه افريز عليه نقوش مصرية قديمة. والجدير بالذكر أن هذه القبور تمتاز بزخرفتها ، وقد أقيمت لتعظيم الأشخاص وليس لمجرد الدفن ، وقد أشار المسيح إلى هـذه الظاهرة عندما أنب الكتبة والفريسيين اليهود قائلا « إنكم تشيدون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين ، وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما كنا شاركناهم فى دم الأنبياء فانكم تشهدون على أنفسكم أنكم بنو قتلة الأنبياء » (متى ٢٣ : ٢٩ - ٣١).



وادى يهوشافاط

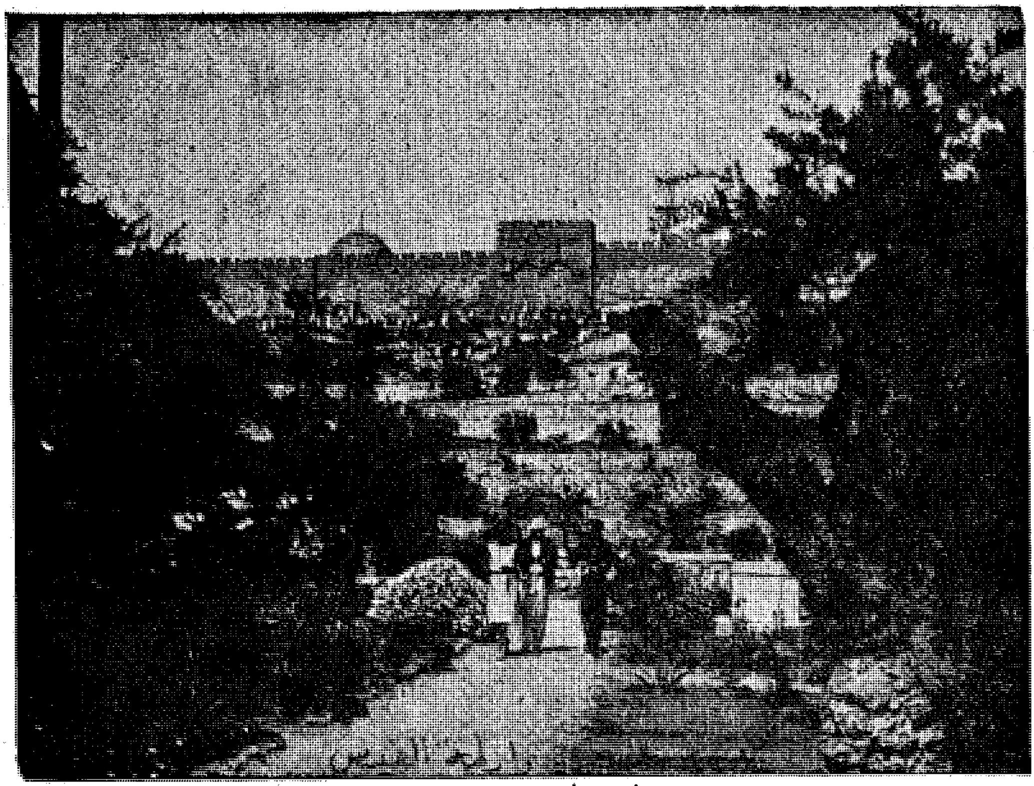
ﺟ) كفر سلوام وبركة مريم وبئر يعقوب وكنيسة المخلص :ـ

تبعد قرية كفر سلوام ٣٠٠ متراً عن قبر زكريا النبى ، وأمامها قبور عبرانية منحوته فى الصخر ، وقد استعملها النساك والمتوحدون المسيحيون كصوامع للعبادة من القرن الرابع حتى السابع ، وعلى مقربة منها عين ماء قديمة تمتلأ منها بركة سلوام (التى اغتسل فيها الرجل المولود أعمى فأبصر بعد أن طلى المسيح عينيه بالطين وأمره بالاغتسال فيها) ، ومنها تستقى البساتين المجاوره (وتسمى أيضا بعين ستى مريم ربما لقربها من الجسثمانية ، وقد ذكرت فى أسفار يشوع والملوك باسم عين روجل) ، ويذكر يوسيفوس أن بساتين سليمان الملك كانت فى هذه المنطقة .

ومع ميل الوادى نجد بئراً ترجع للقرن السادس الميلادى ، وتدعى بئر يعقوب وزعم بعض كتاب القرن ١٢ م بأن أيوب الصديق هو الذى حفرها ، ويتسرب اليها الماء من الصخور ، وينخفض مستواه صيفاً إلى عمق ٢٥ متراً بينما يفيض فيها شتاء . ويقع فى جنوبها حوض كبير دعاه يوسيفوس ببحيرة سليمان ، ويسميه السكان العرب البركه الحمراء ، وفى جنوبها الشرقى شجرة توت قديمة جدا قيل أنها محل استشهاد أشعياء النبى (٧٠٠ ق.م) ، الذى نشره اليهود بالمنشار هناك ، وبجوارها بركة أبعادها ١٦ × ٥ × ٦ متر ، وتصلها قناة على شكل سرداب من عين ستى مريم ، ويرجعها المؤرخون إلى عهد أشعياء النبى ، وقد أيد ذلك كتابة أثرية وجدت سنة ١٨٨١ م ، وإلى شمال البركة شيدت كنيسة باسم المخلص المنير سنة ٥٧٠ م ، وتهدمت من مدة طويلة ، ويحل محلها الآن جامع حديث بنى فى أوائل القرن الحالى .

٢ ـ الجسثمانية وكنائسها :ـ

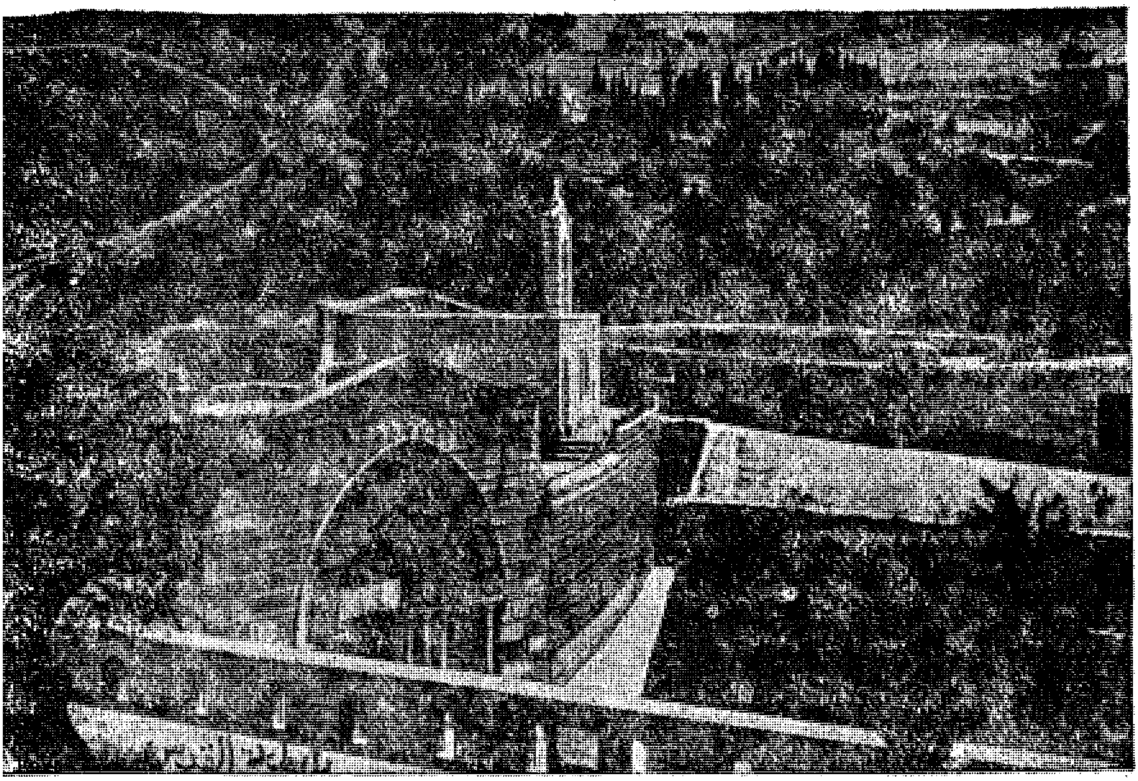
بعد عبور وادى قدرون شرقا نصل إلى مكان يسمى بالجسثمانية (وتعنى معصرة الزيت) ، وقد وصفها القديس مرقس البشير بأنها حقل ، وسماها متى الرسول بالضيعة (اى عقاراً أو ارضا مستقلة) ، ودعاها يوحنا الحبيب بالبستان . وهى مزار مسيحى مقدس ، حيث كان يتردد عليها المسيح ويقضى الليالى الطويلة فى الصلاة ، وقد دفنت فيها العذراء مريم بعد نياحها ، وتم القبض على المسيح هناك ليلا ، ويعتقد البعض بأنها كانت ملكا لأحد التلاميذ ، وبعد أن نعبر الجسر للوجود لمسافة ثلاثين متراً نجد سلماً ينحدر



بستان جتسيمانى والأبواب الدهرية (شرق القدس)

١٥ درجة إلى فناء مربع طول ضلعه ١٥ متراً ، وهو ساحة كنيسة انتقال العذراء للسماء، والكنيسة ذاتها تحت الارض ، وقد أقيمت فى الساحة كنيسة أحدث ، فى القرن ١٢ م أمام الدرج المؤدى إلى قبر البتول مريم (التى حمل الملائكة جسدها الطاهر إلى السماء كما رآه ورواه تلاميذ المسيح) .

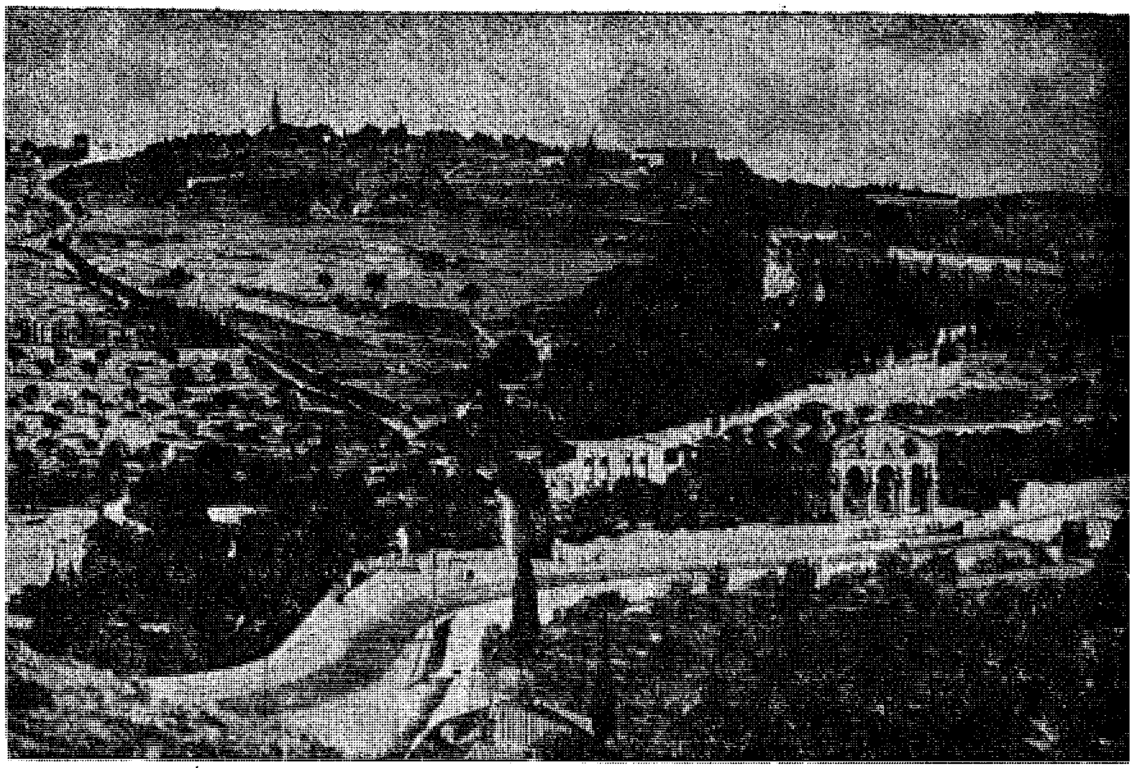
ويذكر بعض المؤرخين أن الامبراطور البيزنطى مرقيانس وزوجته بولشريا قد طلبا من أسقف أورشليم عند حضوره مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م أن ينقل التابوت واللفائف المقدسة ، التى كانت بالجسثمانية . فتم نقلها فعلا إلى كنيسة مريم البلوكرنية فى عاصمة الامبراطورية البيزنطية ، ثم نقلت من القسطنطينية إلى كنيسة أخرى شيدت خصيصاً لها، وسميت بكنيسة تابوت البتول . وفى سنة ١٠١٠ م رمم الصليبيون كنيسة قبر العذراء بالجسثمانية ، وفى سنة ١١٣٠ أقاموا بجوارها ديراً للبندكتيين ، ولكنه تهدم وبقيت الكنيسة ، وتمكن الإخوة الاصاغر (الكاثوليك) من الحصول على أمر باسترجاعهم إياها سنة ١٣٦٣ ، وبقيت فى حوزتهم حتى القرن ١٧ م ، ثم استرجعوها ثانية بفرمان عثمانى سنة ١٦٦٦ ، وفى سنة ١٧٤٠ أخذت منهم . ثم استردوها ولكنهم فقدوها عام ١٧٥٧،



واجهـــة كـنيسة الجسمانية (قبر العذراء)

وهى على شكل صليب وطولها ١٨ متراً ، وفى وسط الهيكل الأيمن قبر العـــذراء مريم ، وهو محفور فى الصخر وينخفض ١٢ متراً . وبجواره هيكل للأرمن وآخر للروم ، والهيكل الذى فى غرب القبر ملك للأقبـــاط منذ عهد قديم ، كما شهد بذلك رئيس الدير الروسى جريثينيوس Grethenios الذى زار المنطقـــة سنة ١٤٠٠ ، وغيره من الكتاب (٣٩).

وفى شمـال الكنيسة دهليز تنحدر منـه على تسع درجات إلى مغارة الجسثمانية ، التى كان يصلى فيها المسيـح ، وكانت على جدرانها صور مازالت آثارها باقيـة للآن ، وكانت حتى عهد الامبراطور ثيؤدوسيوس (٥٣٠ م) بلا نوافذ ، ثم اقيمت فيها فتحة أعلاها ، وهذه المغارة طولها ١٧ متراً وعرضها ٩ أمتار وارتفاعها ٥ ر ٣ متر ، وبها أربعة هياكل وهى فى حوزة الرهبان الكاثوليك منذ سنة ١٣٩٢ ، ويوجد بها ارتفاع صخرى فى الشمال يسمى صخرة الرسل، حيث طلب المسيـح من الرسل أن يمكثوا هناك ليلة القبض عليه . وبجوار الصخرة عمود داخل حائط يدعوه اليونان بعمود « يا أبتــاه » وهو مكان صلاة المسيح ، وقـد شيد المسيحيون كنيسة فى هـــذا المكان فى القرون الاولى ، وكان أسقف



بستان جشيماني وجبل الزيتون

أورشليم منذ سنة ٣٨٥ م يخرج إليها مع جمهور كبير يوم خميس العهـــد ، حيث يقرأ هناك من الأناجيل الفصول المخبرة بما حدث للمسيح فى هـــذا المكان ، وقد تهدمت الكنيسة مرتين وأعيد بناؤها لثالث مرة فى القرن ١٥ م ، وما زالت أنقاضها باقية للآن؛ وبجوارها بستان الزيتون . وبه ٨ أشجار من الزيتون قطر الواحدة ٦ - ٨ متر وهى قديمة العهد جداً ، وقد زرع فيه الرهبان الصبير ، ثم سوروه بحائط مربع طول ضلعه ٧٠ متراً وتوزع من أزهاره على الزوار ؛ وعـــلى قمة صخرة الرسل شيد الامبراطور الروسى اسكندر الثالث كنيسة باسم مريم المجدلية سنة ١٨٨٨ سكنها الرهبان الروس ولها سبع قبـــاب .

٣ - مقدسات جبل الزيتون :-

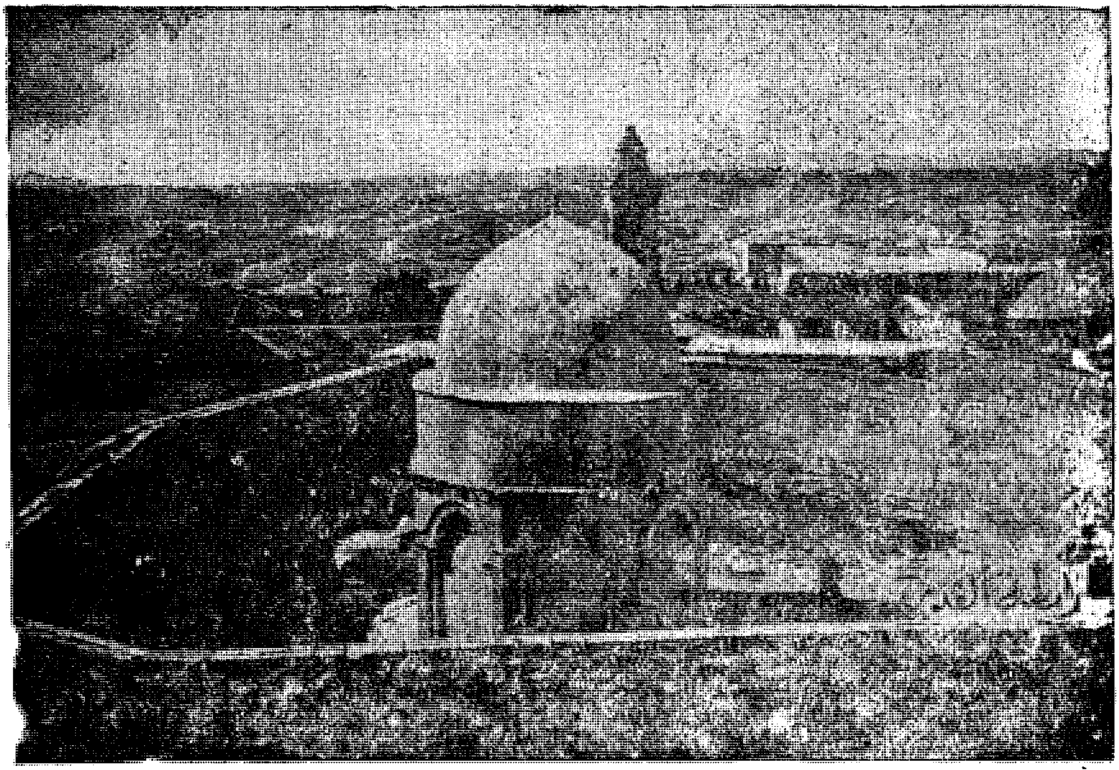
أ) فى الطريق إلى جبل الزيتون شرقاً نقابل مغارة مستديرة قطرها ٣٥ متراً ، اشتهرت منذ القرن ١٦ م بانتسابها لأرميا النبى (حيث كتب مراثيه المشهورة)، وبعدها كنيسة جديدة للألمان الكاثوليك ، وفى الطريق نقابل أيضاً قـــبرا عبرانيا قديما ،

عليه إشارة الصليب رسمها أحد النساك ، بعد أن اتخذه مسكناً له ، وفي مقابله نجد ديراً لرهبان الدومينيكان ، وبه مدرستهم اللاهوتية وكنيسة باسم القديس أسطفانوس ، وفي شمالها يقع تل المصابن ، الذي في يمينه نجد كنيسة بروتستانتية ومكان أسقفهم ، ثم باباً يقود إلى ساحة تضم قبـــور بعض ملوك بني اسرائيل وقد ورد ذكرها في كتابات يوسيفوس ، وقبورها عبارة عن باب قائم كمصراع الباب ، يدخل طرفاه بين حفرتين ينزلق عليها ، ويحتاج إلى قوة رجل جبار لفتحه ، وطرازها مثل طراز القبر الذي دفن فيه المسيح (إذ طلبت المريمـــات شخصا لكي يدحرج لهن الحجر عن فم القبر عند زيارتهن له) .

ب) كنيسة الصعود: —

بعد تتبع طريق نابلس من جهة وادي الجوز صعوداً نصل إلى الخط الحديدي (الذي أنشيء سنة ١٨٩٨ م) ، حتى نبلغ قمة جبـل الزيتـون ، ويدعوه العامة بجبل الطور ، وله ثلاث قمم تسمى الشمالية منها جبل الجليل (وقد تسمت بذلك منذ القرن ١٤ م حسب كلام الملائكين لتلاميذ المسيح القائمين هناك يوم صعوده حياً للشمال - أعمال الرسل ١ : ١١) وتسمى حاليا بكرم الصياد ، وعـــلى هذه القمة يقع بيت أسقف أريحا للروم ، وعلى القمة الثانية وعلى بعد ٣٠٠ متر من الأولى نجد مكان الصعود ، ويرتفع عن مستوى الحرم الشريف في القـــدس بنحو ٦٠ متراً ولا يبعد عنه سوى ٧٠٠ متر ، والقمة الثالثة فيها قبور الأنبياء ، وهي على مستوى الحرم . ويذكر تيوفيتوس في يومياته أن القديسة هيلانه شيدت كنيسة على الصعود وذكر غيره أنها أقامت أيضا بناء آخر دعي الزيتونات عند المغارة التي تنبأ عندها المسيح بخراب أورشليم ومجيئه الثاني (متى ٢٤ : ٣) . وليس لها أثر واضح حاليا ، إذ تعرضا للتدمير أثناء معركة قامت بين الصليبيين وصلاح الدين هناك ، ولم يبق من الكنيسة سوى قبة صغيرة تركها صلاح الدين لأن المسلمين يحترمون مكان الصعـود ، حيث يؤمنون بأن المسيح رفع حياً إلى السماء ، وقد حصل الاقباط عـــلى أذونات كتابية بالصلاة في الجانب الشرقي ، من القضاة والحكام المسلمين في أزمنـــة مختلفة ، كذلك منح هؤلاء إذنا بالصلاة مرتين في السنة ، كما يفعلون الآن(٤٠) .

وأما الصخرة التي صعد المسيح منها إلى السماء فيبدو عليها أثر لإحـــدى قدميه المباركتين ، وكانت محاطة بسور معدني ، وفي القرن ١١ م بني البندكت جداراً حولها



قبة الصعود

وقد ذكر القديس إيرونيموس أنه رأى أثراً فى أيامه لإحدى القدمين ، وتقام هناك مذابح مؤقتة تقدم عليها الصلاة عشية عيد الصعود من كل عام .

ج) كنيسة ظهور الملاك جبرائيل للعذراء مريم :

ذكرها المؤرخون منذ القرن الرابع الميلادى ، وينحدر الطريق نحوها فى جنوب غرب قمة الجليل ؛ ويذكر التقليد أن الملاك جبرائيل ظهر للعذراء هناك ، عندما كانت ذاهبة لتصلى فى جبل الزيتون ، فبشرها بأنها ستنتقل من هذا العالم الفانى بعد ثلاثة أيام (٤١).

د) كنيسة الأبانا ودير الكرمليات :ـ

فى سيرنا نحو الشرق نجد ديراً فسيحاً لراهبات الكرمل ، وبه كنيسة تسمى باسم « الأبانا » حيث يذكر التقليد أن المسيح علم تلاميذه صلاة « أبانا الذى فى السموات . . . » هناك (لوقا ١١ : ١) ، وكانت الأميرة الفرنسية توردوفرن

Tourdauverne قد اشترت أرض هذا الدير سنة ١٨٦٩ وبنته على نفقتها وسلمته لراهبات الكرمل . ويوجد فى شماله بئر قديم يدعى مغارة « اؤمن » ، وبجواره أيضا نجد كنيسة من القرن الرابع وهى قرية من قرية بيت فاجى ، حيث التقى المسيح مع مريم وأختها مرثا ، وعزاهما عن موت أخيهما لعازر ، ثم ذهب معهما حيث أقامه من بين الأموات فى اليوم الرابع بعد دفنه (يوحنا ١١) ، ويقال أن للمسيح بدأ ركوبه الأتان فى أحد الشعانين (السعف) من هذا المكان ، منطلقا به الى الهيكل داخل أورشليم .

الفصل الثالث

المقدسات الإسلامية بالمدينة المقدسة

كان المسلمون يولون وجوههم نحو القدس فى الصلاة نحو سبعة عشر شهراً ، إلى أن اتخذوا الكعبة قبلة ، ولهذا سميت بأولى القبلتين ، وروى الحديث الشريف « أن الصلاة فى المسجد الأقصى أفضل من الصلاة فى غيره بخمسمائة مرة » ، وأن « من أهل بالحج والعمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر الله ماتقدم من ذنبه وما تأخر » ، ولهذا سمى المسجد الأقصى بثانى الحرمين ، وكان له أهمية دينية كبيرة فى نظر المسلمين طوال العصور ، وكان يفد إليه الحجاج من جميع أقطار العالم الاسلامى والقدس غنية بآثارها الاسلامية القديمة فهى تضم ستة وثلاثين جامعــا (٢٩ منها فى القدس القديمة داخل الأسوار ، منها ٦ داخل ساحة الحرم ، ٢٣ خارجها) علاوة على مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى .

والحرم القدسى يقع فى جنوب شرق المدينة المقدسة داخل الأسوار ، ويشمل المسجدين المشار اليهما ، وما بينهما من منشآت دينية ، ومساحته تعادل سدس مساحة القدس القديمة (٦٥٠ ر ٢٦٠ م٢) وطوله من الشرق ٤٧٤ م ، وفى الغرب ٤٩٠ م ، ٣٢١ م فى الشمال ، ٢٨٣ م فى الجنوب (أى مايعادل مساحة ٢٥ فدانا) وله ١٣ بابا ولم يكن مصرحا لليهود بدخوله ، أما المسيحيون فيدخلونه فى غير أوقات الصلاة لقاء رسم قدره خمسة وعشرون قرشاً [٤٣] .

وفيما يلي إحصاء عام لمساجد المدينة المقدسة :—

ا) المساجد التي توجد في ساحة الحرم الشريف :

١ - جامع قبة موسى تجاه باب السلسلة (في الشرق منه) .
٢ - « باب حطة « « حطة (جنوبه) .
٣ - « كرسي سليمان وهو ملاصق للسور الشرقي .
٤ - « المغاربة في شرق باب المغاربة .
٥ - « الغوانمة في شرق باب الغوانمة .
٦ - « دار الإمام عند باب المجاهدين (مهجور حاليا) .

ب) المساجد التي في خارج الحرم (داخل السور) :

١ - جامع باب خان الزيت في سوق خان الزيت .
٢ - « حارة اليهود (الكبير) جنوب حارة اليهود (مهجور حاليا) .
٣ - « « « (الصغير) شمال « «
٤ - « سوق علون في سوق علون .
٥ - « القلعة ، داخل قلعة داود بباب الخليل .
٦ - « الخانقاه في شمال غرب كنيسة القيامة .
٧ - « قنبر ، ملاصق للسور الشمالي عند الباب الجديد .
٨ - « العمري في حارة النصارى جنوب كنيسة القيامة .
٩ - « اليعقوبي في شرق القلعة بباب الخليل .
١٠ - « بني حسن « « « « (مهجور)
١١ - « حارة الأرمن بالقرب من دير الأرمن («)
١٢ - « طريق النبي داود على شارع النبي داود («)
١٣ - « حارة الجوالدية أمام دير الافرنج في الغرب («)
١٤ - « الشيخ لولو عند باب العمود على مقربة من السور .
١٥ - « الصغير عند مفترق طريق الوادي وباب العمود .
١٦ - « البراق ، ملاصق لحائط البراق في حارة المغاربة .
١٧ - « جامع عثمان السلطان بسوق باب السلسلة .
١٨ - « القرمي ، بحارة القرمي (مهجور)

١٩- جامع حارة النصارى ، على طريـــق خان بيت الزيت :
٢٠- « البـــازار ، فى سوق البـــازار .
٢١- « الزاوية النقشبنـدية على طريــــق الآلام .
٢٢- « المولوية ، داخـل الزاوية المولوية بحارة السعدية .
٢٣- « زاوية الهنـــود ، تجاه باب الساهرة .

ب) المساجد التى فى القدس الجديدة (خارج الاسوار) :

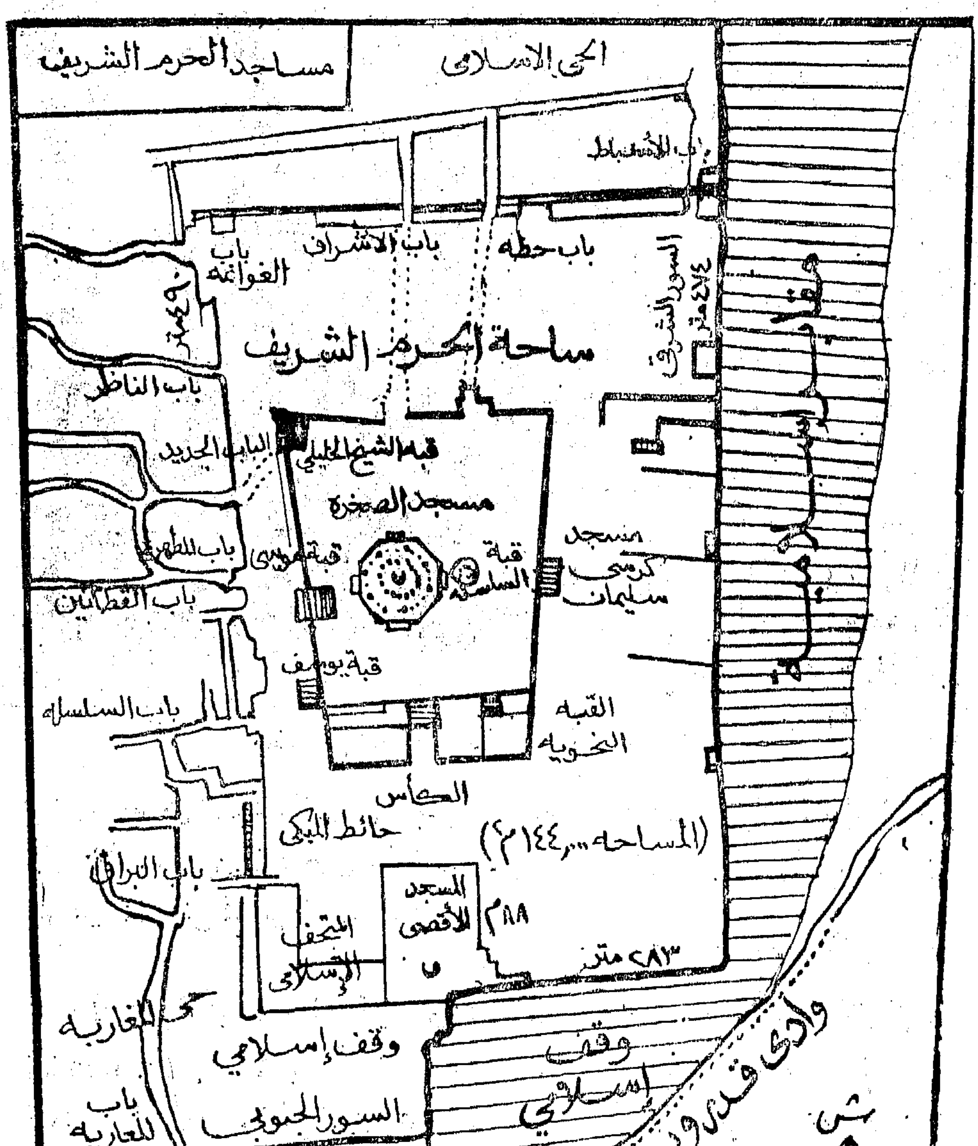
١- جامع الشيخ جراح على طريق نابلس .
٢- « المسعـــودى « « «
٣- « وادى الجوز ، فى حى وادى الجـــوز .
٤- « حجـــازى فى حى باب الساهرة .
٥- « النبى داود فى جنـــوب القدس .
٦- « عكاشة فى حى زخرون موشى الـــيهودى .
٧- « المطحنة ، بين جامع النبى داود وحارة الشرف (مهجور)

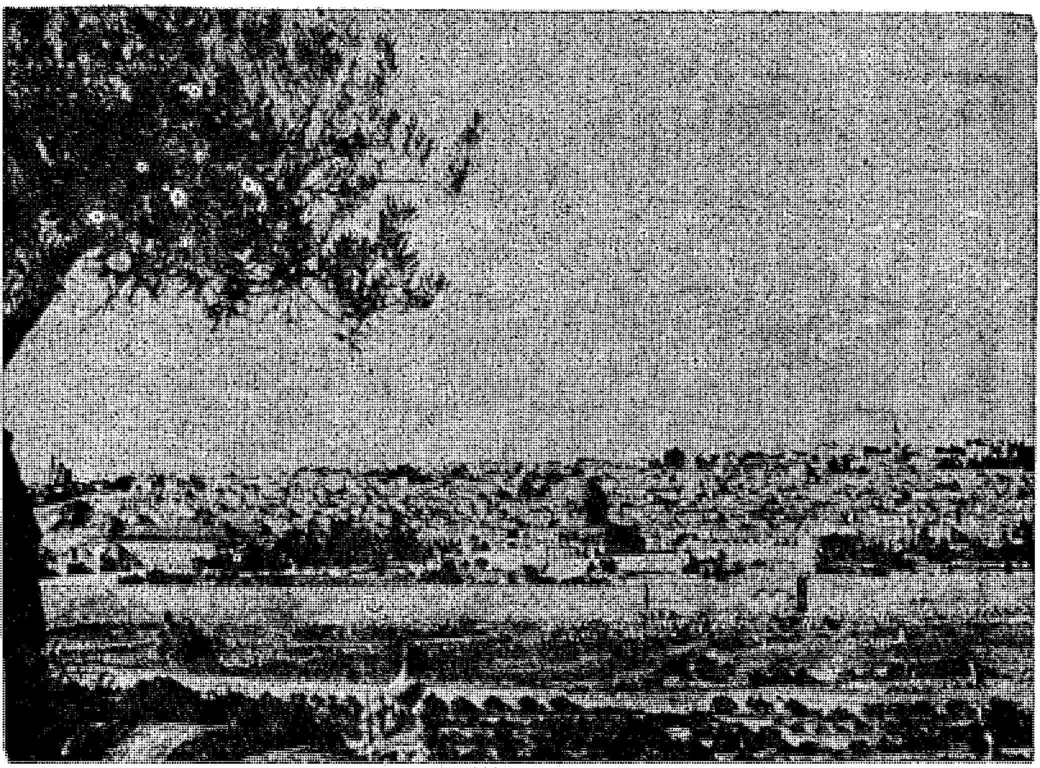
وهناك ١٤ زاوية دينية أعدت لاجتماع أتباع الطرق الصوفية ونزول الغرباء من المسلمين الذين ينتمون لهذه الطرق ، ويهبطون إلى القدس للزيارة .

ونختتم هذا الفصل الأخير بوصف تفصيلى لمسجدى قبة الصخرة والأقصى :-

(أ) مسجد قبـــة الصخرة :-

بناه الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان ، وكان قد رصد لبنائه كل خراج مصر لسبع سنين ، وأشرف عـــلى انشائه العالمـان العربيان رجاء الكندى ويزيد بن سلام ، فأتماه سنة ٦٩١ ، وقرر الخليفة منح المائة ألف دينـار المتبقية من نفقات العمل جائزة لهما فرفضا ، فأمر الخليفة بأن تسبك ذهبا وتفرغ على القبة والأبواب ؛ وقد امتـــاز البنـــاء بروعة الهندسة العربية الممتزجة بالطراز الفارسى والاسلوب البيزنطى ، وكان أجمل بنـــاء فى زمانه (٤٤) ، ويذكر بعض المؤرخين أن الامويين أرادوا ان يجعلوا القدس هى المدينـــة الإسلامية الاولى ، حتى يحج إليها المسلمون بدلا من مكة لمعارضتهم لعبد الله بن الزبير والى الحجاز (٤٥) ولهذا أمر عبد الملك بأن يقيم الناس مواكب دينية حول القبة ، كما يحدث عند الطواف بالكعبة أثناء الحج (٤٦) .


مساجد الحرم الشريف
الحي الاسلامي
باب الأسباط
باب حطه
باب الاشراف
باب الغوانمه
ساحة الحرم الشريف
السور الشرقي
باب الناظر
الباب الحديد
قبة الشيخ الخليلي
مسجد الصخرة
قبة موسى
باب المطهرة
قبة السلسلة
مسجد كرسي سليمان
باب القطانين
قبة يوسف
باب السلسله
القبه النحويه
الكأس
حائط المبكى
(المساحه ١٤٤,٠٠٠ م٢)
باب البراق
المسجد الأقصى
المتحف الإسلامي
٨٨ م
٢٨٣ متر
حي المغاربه
وقف إسلامي
باب المغاربه
السور الجنوبي
وقف إسلامي
وادي قدرون
ش
ميخائيل



منظر عام لمدينة القدس في وسطها قبة الصخرة

وقد تعرض المسجد لكثير من الأضرار على مر الزمن بسبب الزلازل والعواصف والأمطار ، وما من حاكم عربي حكم القدس ، إلا وكان له شرف ترميمه ، كما مر بنا في العرض التاريخي للقدس في الباب السابق .

وفي عهد الصليبيين جعلوه كنيسة وبنوا على الصخرة مذبحا باسم هيكل الرب Templum Domini بعد أن غطوها بالمرمر ، ثم أزال صلاح الدين معالم هذه الكنيسة سنة ١١٩٤ ، فرفع المذبح ومحا الصور الدينية وأزال التماثيل وغطاء الصخرة الرخامي ، وزين القبة بنقوش جميلة وغطاها من الداخل بالقيشاني ، وكتب عليها آيات قرآنية بالذهب (بالخط الكوفي) ، وقد عني جميع بني أيوب بهذا المسجد ؛ فكانوا يكنسونه بأيديهم ويغسلونه بماء الورد ، كما إهتم المماليك بعمارته وأوقفوا عليه بعض الأملاك ، وقدم السلطان جقمق ٢٥٠٠ دينار ذهب ، ٢٠ قنطاراً من الرصاص لترميم السقف ، وفي عهد العثمانيين غطى السلطان سليمان الجدران من الخارج وقبة السلسلة بالرخام والقيشاني والفسيفساء .

ويقع هذا الجامع وسط فناء واسع مرتفع عن أرض الحـــرم ، قبته متعددة قطرها ٤٤ ر ٢٠ مترا وارتفاعها ٣٥ متراً عن أرض المسجد ، ولها طبقتان خشبيتان العليا من الرصاص والسفلى كانت مغطاه بفصوص ذهبية ثم طليت بالجص ، وتحتها مباشرة تقع الصخرة ، وهي جزء من تل أوفيل ، وطولها ٧ ر ١٧ متر وعرضها ٥ ر ١٣ متر ، وارتفاعها عن الأرض من مترين إلى متر ، وحولها سور من الخشب المنقوش ، ثم يحيطه مصلى للنساء يفصل بينه وبين مصلى الرجال قضبان حديدية مشبكة ، كان الصليبيون قد صنعوها ليفصلوا المذبح عن بقية الكنيسة ويؤمن المسلمون أن من على هذه الصخرة المباركة صعد النبي محمد ﷺ إلى السماء السابعة ليلة الاسراء والمعراج ، ويؤمن اليهود أن ابراهيم الخليل قدم ابنه عليها كضحية بناء على أمر الرب ، وأنه وجد خروفاً بجوارها ذبحه عوضا عن ابنه المطيــع ، كما يعتقدون أيضا أنها مذبح المحرقات في هيكل سليمان .

وتحت الصخرة مغارة ينزل اليها بإحدى عشرة درجة ، وتسمى مغارة الأنبيـــاء ، وقيل أنها كانت حوضا سابقا(٤٤٧). وفي رقبة القبة ١٢ عموداً ، ويحيطها بنــاء مثمن الأركان مكون من تثمينتين إحداهما خارجية ، وهي التي يتكون منها جدار المسجد ، وطول كل ضلع من أضلاعها الثمانية ٩٥ ر ٢٠ متر وارتفاعه ٥ ر ١٢ وبالجدران ٥٦ نافذة من جميع الجهات ، ٤٠ منها ينفذ الضوء من خلالها ، أما التثمينة الداخلية الأخرى فهي مرفوعة على ٨ اسطوانات مكسوة بالرخام ، ١٦ عموداً مختلفة الألوان ، وبين التثمينتين رواق للصلاة . وللمسجد ٤ أبواب مزدوجة مصنوعة من الخشب ومكسوة بصفائح الرصاص ، وفناؤه واسع ومربع الشكل ومغطى بالبلاط الأبيض من أيام السلطان قلاوون ، وهو أعلى من الحرم ويصعد اليه من الأربع جهات بدرجات يقوم على كل منها قنطرة يسندها أعمـــدة من الرخام ، وفي هذا الفناء نجد قبابا أخرى منها قبة المعراج في شمال غربي المسجد ؛ وبناها عز الدين الزنجيلي والي القدس سنة ١٢٧٠ م ، ثم محراب النبي ويقع بين مسجد الصخرة وقبة المعراج ، وبناه محمـــد بك والي القدس سنة ١٥٣٨ م ؛ وعلى بعد ١٠٠ متراً جنوب مسجد الصخرة تقع قبة يوسف ، وبنيت أيام صلاح الدين سنة ١١٩١ م ، ثم القبـــة النحوية عند درج باب السلسلة ، وبناها الوالي حسام الدين سنة ١٢٠٧ م ، وقبة الشيخ الخليلي في شمال غربي قبة المعراج ، وقبة الخضر في الطرف الأخير لصحن الصخرة من الشمال الغربي (وهي قبـــة مرفوعة على ٦ أعمدة رفيعة من الرخام) ؛ وبالفناء أيضا ١٦ غرفة لرجال المسجد وجند الحراسة أنظر الرسم السابق ...

وعند المدخل الشرقى لقبة الصخرة من الخارج نجد قبة السلسلة Dome of the Chain التى سماها اليهود بمحكمة داود ، وزعموا أنه كان بها سلسلة من الذهب مدلاة من السماء تنقطع عندما يمسها شاهد زور ، وهذه القبة على طراز عربى ، بناها القاضى برهان الدين فى القرن ١٥ م ، وأسفل الرصيف نافورة جميلة سميت بسبيل قايتباى لأنها تمت فى عهده (١٤٦٨ م) . وفى الجهة الشمالية الغربية أقيمت مدارس لتحفيظ القرآن ، ومساكن ومبانى السياحة .

وأهم بوابتين فى سور الحرم الغربى هما بوابتا السلسلة والمغاربة . وفى السور الجنوبى باب تنحدر منه ٢٠ درجة إلى مدرسة للقرآن بناها الأمير طنجز سنة ١٤٨٣ ولها أقواس مدببة ، وفى شرقها خزانات عميقة للمياه على شكل فوهات لآبار عميقة محفورة فى الصخر وقطرها بين ١٣ - ٢٠ مترا ، ووراءها مئذنة جامع المغاربة (البراق) . وعند باب مسجد القبة الغربى نجد سلسلة ترتفع على أعمدة رخامية بها نسخة من القرآن الكريم من عهد عمر بن الخطاب . وفى أرض الحرم نجد أيضا قبة سليمان فى جنوب غربى باب الدوادارية (المفتى) وهو أحد أبواب الحرم الشمالية ، وقبته مثمنة وقائمة على ٢٤ عموداً من الرخام ، قيل أنها من عهد الأمويين ؛ ثم قبة موسى شرق باب السلسلة ، وأنشأها الملك نجم الدين أيوب سنة ١٢٤٩ . وفى الطرف الشمالى لمسجد الصخرة نجد مكانا يحتوى على شعرتين من لحية النبى محمد ﷺ وأسفله أثر قدم النبى (٤٨) .

ب) - المسجد الأقصى :-

بعد أن أتم ابن مروان بناء مسجد الصخرة شرع فى بناء المسجد الأقصى ، إلى الجنوب منه سنة ٦٩٣ م ، وتم فى عهد ابنه الوليد سنة ٧٠٥ م ؛ وقد سمى بالأقصى (= البعيد) لبعده عن مكة المكرمة ، ويعتقد المسلمون أن سيدنا ابراهيم الخليل قد شيده بعد أربعين عاما من بنائه الكعبة (٤٩) ؛ ويقع جنوب الحرم وطوله ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً ؛ وهو قائم على ٥٣ عموداً من الرخام ، ٤٩ سارية مربعة ومبنية بالحجارة وفى صدره قبة خشبية مغطاة من الخارج بصفائح من الرصاص ومزخرفة من الداخل بالجبس المزخرف بفصوص ذهبية ملونة ؛ وتحته محراب كبير وعلى يمينه منبر نور الدين زنكى وهو مصنوع من الخشب المرصع بالعاج والأبنوس جلبه صلاح الدين من حلب .

وفى داخل الجامع فى الزاوية الجنوبية شرقية نجد جامعاً مستطيلا آخر متصلا به اسمه جامع عمر (مع العلم بأن هناك جامع آخر باسم عمر أيضا فى الضلع الجنوبى لكنيسة القيامة

بناه شهاب الدين ابن أخى صلاح الدين سنة ١٢١٦ ولم تتم مأذنته إلا بعد قرن كامل من بنائه سنة ١٣١٧ ، وهو يقع فى المكان الذى صلى فيه عمر عندما دخل القدس خارج كنيسة القيامة) ، وفى شماله مقام عزير (= مقام الاربعين شهيداً) ، وملتصق به محراب زكريا النبى ، الذى قيل أنه رجم هناك بأمر الملك يوآش اليهودي (٢ أخبار الأيام ٢٤ : ٢٠ - ٢١) ، وطبقاً للتقليد المسيحى هناك قبر زكريا بن براخيا ، الذى يذكر الانجيل أن اليهود قتلوه بين الهيكل والمذبح (متى ٢٣ : ٣٥ ، لوقا ١١ : ٥١) ، وقد أقيم محراب المسجد الأقصى فى الحائط الجنوبى .

وللمسجد ١١ باباً ، ٧ منها فى الشمال وهى كبيرة ، وباب فى الشرق وآخر فى الغرب وفى الغرب أيضاً باب النساء يدخلن منه إلى جامع النساء ، وفى الجدار الجنوبى باب يوصل إلى زاوية كانت فيما مضى مدرسة ، وفى شمال المسجد رواق كبير أنشأه الملك عيسى المصرى ، وهو مؤلف من ٧ سبع قناطر تؤدى كل منها إلى أبواب المسجد ، وتحته دهليز واسع طويل ، يتألف من سلسلة من الاقواس ترتكز على أعمدة ضخمة .

وقد طرأ على المسجد الأقصى تغييرات كثيرة بسبب الزلازل والعوامل الجوية ، وكانت أبوابه أيام الأمويين مغطاه بصفائح من الذهب والفضة ، خلعها الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور ، وضربها نقوداً استخدمت فى تعمير المسجد بعد زلزال سنة ٧٤٧ ، وفى عهد الخليفة المهدى رمم وصلى فيه سنة ٧٨٠ ، بعد أن أنقص من طوله وزاد من عرضه ، وهدم الخليفة الفاطمى الظاهر لإعزاز الله سنة ١٠٣٤ أربعة أروقة من كل جانب وبنى القبة الحالية والأبواب السبعة فى شماله ، ويورد المقدسى وصفاً للمسجد فى حالته هذه بأنه كان له ٢٦ بابا ، وله ٧٠ عموداً تحملها اسطوانات ، ٧ أروقة من الحجر ، ويغطى وسطه بسقف جمالونى تعلوه قبة جميلة ، وتكسو السطح ألواح من الرصاص ، وقد خربه زلزال سنة ١٠٢٣ فأعاد بناءه الخليفة الفاطمى الظاهر سنة ١٠٣٥ ، وهذا البناء الأخير هو الجزء الأكبر من المسجد الحالى (٥٥) .

وعلى أيام الصليبيين سموه قصر سليمان - بحيث ذكرت التوراة أنه مكان قصره ، الذى بناه بخشب الأرز اللبنانى (١ ملوك ٧) . أى أنه لم يكن محل هيكل سليمان ، وانما كان محاذياً له فى المكان الذى أبيح دخوله للأمم (أى غير اليهود) ، وفى منتصف القرن السادس بنى الإمبراطور جستنيان كنيسة هنالك باسم العذراء مريم ، وفيها ألقى البطريرك صفرونيوس خطبته الشهيرة أمام عمر بن الخطاب والصحابة عند تسليم المدينة للإدارة

العربية الخالصة في القرن السابع ، ويذكر أحد المؤرخين ان هذه الكنيسة كانت موجودة عندما زار القدس سنة ٨٠٨ ، ويرجح أنها تخربت من حريق أو زلزال . أما المسجد الأقصى الذى شيد شمالها ، فقد أقيم أولا فى مساحة فضاء فى عهد الخليفة عمر سنة ٦٣٨ من الخشب كما سبقت الاشارة ، ولم يكن هناك بجواره أى آثار المعبد اليهودى القديم الذى إندثر منذ سنة ٧٠ م ، وانقضت جميع حجارة أساساته أثناء محاولة اليهود الفاشلة لإعادة بنائه . وبذلك فليس هناك أساس لما يدعيه اليهود من قيام المسجد الأقصى على بقايا هيكل سليمان ، الذى تهدم وصار أرضاً خربة تلقى فيها القاذورات بناء على أمر الملكة هيلانة كما توضح فى الباب السابق .

وأثناء الاحتلال الصليبى للقدس قام الصليبيون بتحويل المسجد الأقصى إلى كنيسة باسم « دخول السيدة العذراء إلى الهيكل » ، وبنوا فى الجانب الغربى ما يسمى بصالة بصالة الفرسان ، وجعلوه مسكناً لهم (وهو اليوم يسمى المسجد الأبيض ويستخدم قاعة للنساء) ، وحولوا الباقى إلى مستودع لذخائرهم وأضافوا إليه بعض القناطر . ولما استعاد صلاح الدين القدس أصلحه وجدد محرابه (١١٨٧) وكسا قبته بالفسيفساء وأزال كل الآثار الصليبية منه . وعنى الأيوبيون به فكانوا يكنسونه بأنفسهم ويغسلونه بماء الورد مثلما كانوا يفعلون بمسجد الصخرة ، ولم يكن المماليك أقل إهتماما به من الأيوبيين فجددوه ، كما تدل الكتابات المنقوشة عليه ، وكذلك رممه بنو عثمان ، فأقام له السلطان سليمان القانونى شبابيك زجاجية ملونة ، وفرشه السلطان عبد الحميد بالسجاد العجمى الفاخر ، وفى سنة ١٩٢٧ استبدلت الأعمدة القديمة التى تقوم عليها قبته بثمانية أعمدة من الخرسانة المسلحة . وقد تأثرت أجزاء من المسجد بزلزال فى نفس العام ، وفى سنة ١٩٤٧ تصدع الرواق الشرقى فأعيد بناؤه ، واستبدل الجالون الخشبى بآخر من الصلب وتمت زخرفته على نفقة الحكومة المصرية ، وأعيد الرصاص القديم فوق سطحه ، واستبدلت الأعمدة الحجرية بأعمدة حجرية استوردت خصيصاً من إيطاليا .

أما الحرم الشريف الذى يضم كل الآثار الاسلامية السابق الاشارة اليها ، فبه ٢٧ بئرا كلها عامرة بالمياه ماعدا إثنتين منها ، وبها من الماء ما يكفى القدس القديمة كلها ، وهناك حوض كبير يعرف بالكأس يستخدمه المصلون للوضوء ، ويقع بين مسجدى الصخرة والأقصى ، وهو حوض مستدير بناه الأمير طنجر (١٣٢٧) ، يأتى إليه الماء من بركة سليمان ، على بعد عشرة أميال من جنوب القدس ، وللحرم عشرة أبواب مفتوحة حاليا وأربعة مغلقة (٥١).

وبذلك نكون قد انتهينا من وصف الآثار المسيحية والاسلاميـة ، التى تضمها المدينة المقدسة ، والواضح أنها لاتضم حاليا أى آثار يهـودية ، ولهذا نرى سبباً لتذرع اسرائيل بالسيطرة عليها سوى محاولة كسب مزيد من الأرض العربية ، واستغلال القـدس فى الحصول على موارد مالية كبيرة من الحج ، وغيرها من الاسباب السياسية والاقتصادية والحربية ، وأنه كما تمكن العرب (مسلمين ومسيحيين) من طرد الصليبيين من القـدس ، فإنه سيأتى الوقت الذى يتمكنون فيه من استعادة أرضهم المقدسة قريبـاً باذن الله .

وان القـدس عربية وسوف تبقى عربية إلى الأبد ، طبقا لشهادة التاريخ والآثار ، وهو ما حاولنا إثبـاته فى السطور القليلة السابقة .

مصادر الباب الثالث

(١) عارف العارف - تاريخ القدس جـ ١ - الأماكن المسيحية ص ٢٨٥ - ٢٨٦

(٢) موبروند - تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق - ترجمة مكسيموس مظلوم ص ٣٧١

(٣) كامل صالح نخلة - تاريخ الكرسى الاورشليمى للأقباط الأرثوذكس - مخطوط ص ٢

(٤) عارف المرجع السابق ص ٢٥٨ - ٢٥٩

(٥) المرجع السابق ص ٢٦١ - ٢٦٢

(٦) Bertha Stafford, our Jerusalem: p. 30

(٧) Ashbee, Apalestine Note-book (1918 - 28) p. 6

(٨) سجلات المحكمة الشرعية بالقدس سنة ٩٤٩ هـ (١٥٤٢م) عارف ، المرجع السابق ص ٢٦٩

(٩) دليل الكاثوليك للأرض المقدسة سنة ١٩١٨ ، دليل رابطة القدس للأقباط الأرثوذكس بالقاهرة سنة ١٩٥٢ ، ديمترى رزق - قصة الأقباط فى الأرض المقدسة ص ١٨

(١٠) The Pilgrimage of Seawulf. p. 14

(١١)
- De Beauvau, Relation Journaliere du voyage. p. 125
- Egmont, Travels. vol, I, p. 306.
- Pocock, Relation Nouvelle et très Fidele voyage de la Terre Sainte Tom, 2. p. 67
- Coujon, Histoire et voyage de la Terre Sainte p. 16 g.

(١٢) دليل الكاثوليك - المرجع السابق ص ٢٠

(١٣) المرجع السابق ص ٢١ - ٢٢

(١٤) للتوسع فى دراسة تاريخ هذا الدير يمكن الرجوع إلى كتاب ديمترى رزق: قصة الأقباط فى الأرض المقدسة ص ١١٢ - ٢٤٣ ؛ وكتاب جرجس فيلوثاوس : أملاك الأقباط فى الأرض المقدسة ص ٧٣ - ٧٤

(١٥) عارف - المرجع السابق ص ٥٢

(١٦) Williams, The Holy City. p. 564

(١٧) De Saulcy, Jerusa lem (1882) p. 321.

(١٨) عارف — المرجع السابق ص ١٠٤

(١٩) يرجع لمجموعة الوثائق التى نشرها الأنبا تيموثاوس المؤيدة لملكية الاقباط للدير

(٢٠) عارف — المرجع السابق ص ٨٦

(٢١) مخطوط تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور (عن عارف ص ٨٩)

(٢٢) د. عبد الله حسين : المسألة اليهودية (القاهرة ١٩٤١) ص ٩٤

(٢٣) ديمترى رزق المرجع السابق ص ١١٢ - ٢٤٣ ؛ جرجس فيلوثاوس ص ٧٤ ،
سجلات المحكمة الشرعية بالقدس (ما نقله عنها عارف فى الجزء الاول من تاريخ القدس)

(٢٤)
- Wilson, picturesque palestine. p. 119
- Jeffery, Abrief Description of the Holy Sepulchre. p. 58
- Bedeker, Palestine and Syria p. 48

(٢٥)
- Luke & Reach, Hand book of Palestine, p. 45
- Hanauer, Walks in & Around Jerusalem, p. 97.

Elston, The Traveller's Hand book of Palestine & Syria. p. 142

(٢٦) ديمترى رزق — المرجع السابق ص ٩٣

(٢٧) Robinson, Biblical Researches in Palestine. p. 88

(٢٨) دليل الكاثوليك - المرجع السابق ص ٨١ ؛ دليل رابطة القدس القبطية ص ٤٨

(٢٩) دليل رابطة القدس — المرجع السابق ص ٨٤

(٣٠) المرجع السابق ص ٨٤

(٣١) Marmorosch, old & New Towns in Palestine & Syria p. 76

(٣٢) يوسابيوس - تاريخ الكنيسة - ترجمة مرقس داود ص ٧٧

(٣٣) Marmorosch, op. cit, p. 77

(٣٤) دليل الكاثوليك - المرجع السابق ص ٦٣

(٣٥) المرجع السابق ص ٣٥

(٣٦) المرجـــع السابق ص٩٦ .

(٣٧) « « ص١٩٦ .

(٣٨) « « ص١٦١ .

(٣٩) ديمـــترى رزق - المرجع السابق ١٠١ .

- Bernardino Amico, Places of the Holy Land p. 124

- Nau, Voyage Nouveau p. 237

- Père Loti, Jerusalem. p. 140

(٤٠) ديمـــترى رزق - المرجع السابق ص ١٠١

(٤١) دليـل الكاثوليك - « « ص ١٦٣

(٤٢) عارف - المرجـــع السابق ص ٢٧٥ - ٢٧٦

(٤٣) دليـــل رابطة القدس القبطية - المرجع السابق ص ٤٦

(٤٤) Hayter Lewis, The Holy Places of Jerusalem. p. 26

(٤٥) مجير الدين : الأنس الجليل ص ٤٩ ، عارف ص ٣٨٨ ، محمد على كرد : خطط الشام ج ١ ص ١٤٩

(٤٦) Marmorosch, op. cit. p. 71

(٤٧) Ibid. p. 71 + عارف ص ٢٩٤

(٤٨) ، (٤٩) Ibid. pp. 71 - 2

(٥٠) د. جمال محرز : مقال بعنوان « المسجد الأقصى عبر التـــاريخ » بالأهرام فى ٢٢ / ٨ / ٦٩

— السيوطى : إتحاف الإخصـا فى فضائل المسجد الأقصى ص ٥١

(٥١) Marmorosch, op. cit. p, 72

الفهـــرس

الباب الأول (جغرافية القدس)

الباب الثاني (تاريخ القدس)

الباب الثالث (المقدسات المسيحية والاسلامية)

(الخرائط والرسوم والصور)

تم بحمد الله

للكاتب

ا) موضوعات تعليمية ووعظية :

١ - الإيمان المريض - قرب على النفاذ - (دراسة علمية للحظ والسحر والقدر والتشاؤم والتفاؤل والحسد)	٧ قرش
٢ - مفهوم الزينـــة فى المسيحية	٥
(نفذت الطبعة الأولى وتحت الطبع الطبعة الثانية)	
٣ - حيـــاه الأمانة فى المفهوم المسيحى	(تحت الطبع)
٤ - الشكر المقبـول « « «	(« «)
٥ - العقاب والثواب « « «	(« «)
٦ - هل تحتاج العبادة لطقوس وأسرار ؟ !	(تحت الإعداد)
٧ - الأمراض الروحية - أسبابها وعلاجها	(« «)

ب) موضوعات فى جغرافية الكتاب المقدس :

١ - القدس عـــبر التـارخ	٣٠ قرش
٢ - بقيـة المدن الفلسطينية	(تحت الاعداد)
٣ - فلسطين أيام المسيـــح	(« «)
٤ - فجـــر المسيحيـــة	(« «)
٥ - الخمس مدن الغربية Pentapolis رسالة)	(« «)

(تطلب من مكتبة التربية الكنسية)
٢٣ شارع مراد بالجـــيزة

رقم الايداع بدار الكتب ٥٠٢٢ لسنة ١٩٧١

مطبعة رمسيس بالجيزة

الناشر

مكتبة كنيسة السيدة العذراء بالدقي